

**مقالات**

**القديس كبريانوس**

**أpostle قرطاجنة الشهيد**

**ترجمة وإعداد**

**الراهب القمص مرقوريوس الأنبا يشوى**

مقالات  
القديس كبريانوس  
أسقف قرطاجنة الشهيد

ترجمة وإعداد  
الراهب القمص مرقوريوس الأنبا بيشوى

# **SAINT CYPRIAN TREATISES**

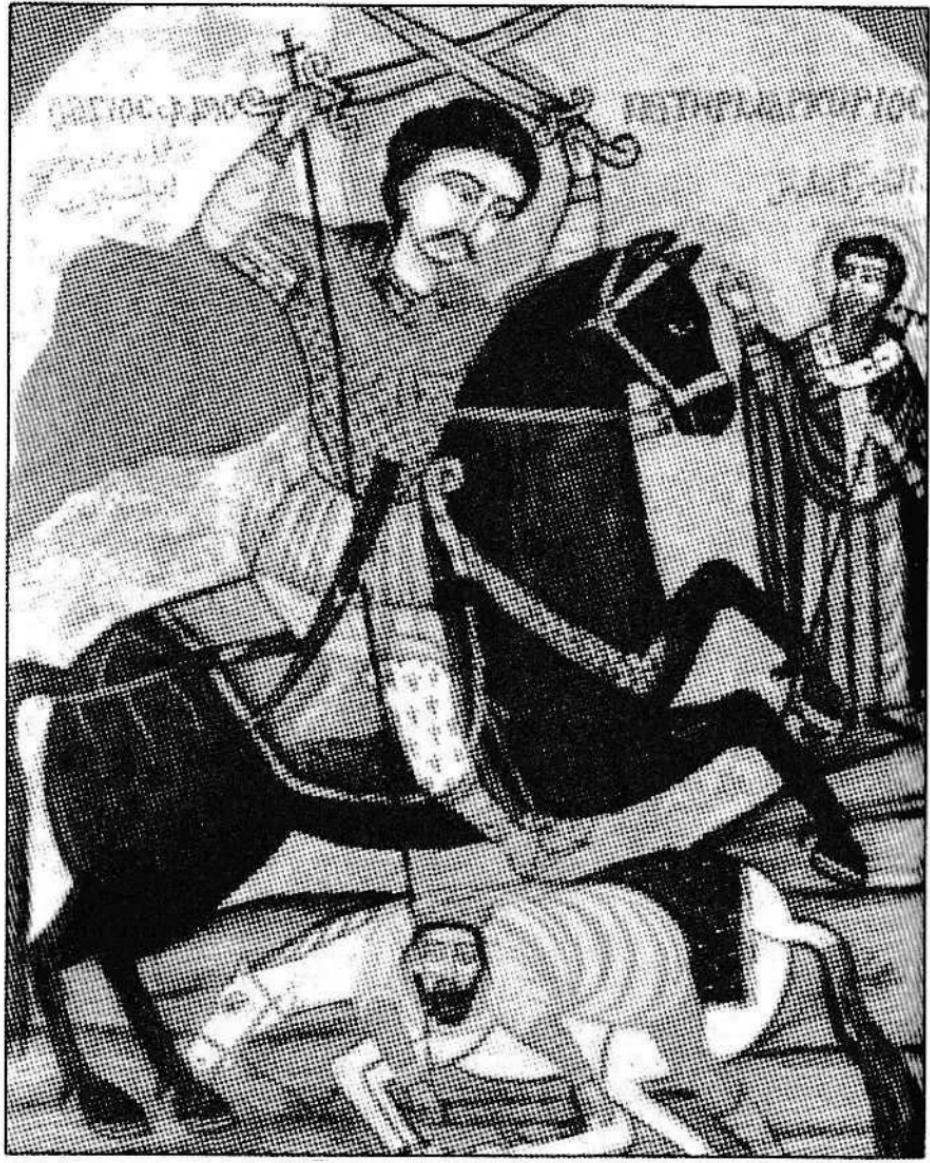
Translated and annotated by R. Deferrari,

**THE FATHERS OF THE CHURCH, VOL. 36**

The Catholic University of America Press,

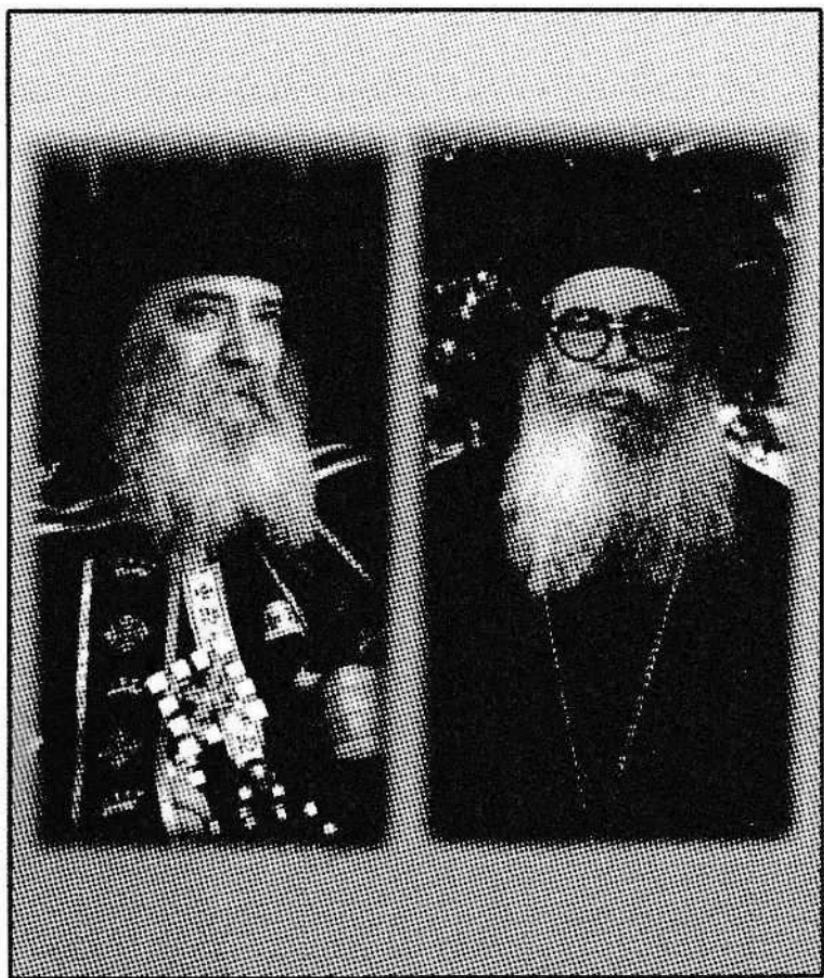
Washington, D.C 1958.

الكتاب : «مقالات القديس كبريانوس - أسقف قرطاجنة الشهيد»  
المؤلف : القديس كبريانوس - أسقف قرطاجنة الشهيد  
ترجمة وإعداد : الراهب القمص مرتقوريوس الأذبا بشوى  
الطبعة : الأولى ٢-٨  
المطبعة : مكتب النسر للطباعة ٢٦٢٩٧١  
رقم الإيداع : ٤٢٧٢ / ٢٠٨



الشهيد العظيم فيلوباتير مرقوريوس

(أبى سيفين)



قداسة البابا لمعظم الأنبا شنودة الثالث  
وذيافة الأنبا صرابامون أسقف دير الأنبا بيشوى

## مُقْتَدِمَةٌ

القديس كيريانوس هو أولاً راع. وقد التزم التزاماً جدياً مهمته الرعائية على قدر شغفه بالكنيسة.

كان أسقفاً على قرطاجنة ما يقارب العشر سنوات من سنة ٢٤٩ إلى ٢٥٨ م. وكان على الدوام يحمل هم كنيسته «الاهتمام بجميع الكنائس» (كوه ١١: ٢٨). أعطى الجميع مثال الحزم المملوء بالوداعة، وكان رجل إدارة يعي مسئoliاته وعيًا حيًّا.

كتاباته الرعوية تسمم بالاعتدال والرَّصانة، وهكذا تظهر شخصيَّته القوية والمترنة.

إن هذا الأسقف الشهيد كان له الفخر بأن يصير شريكًا في آلام المسيح، بحسب تعبير رائع ورد في رسالة وجهت إليه: «ما أجمل لأن تصير، باعترافك باسم المسيح، شريك آلامه» (رسالة ٣١).

أرجو من الرب أن يستخدم هذا العمل البسيط لحمد اسمه ولمنفعة أولاده. بصلوات أبينا الطوباوي البابا شنوده الثالث وشريكه في الخدمة الرسولية أبينا الأسقف المكرم الأنبا صرابامون.

الراهب القمص مرقوليوس الأنبا بيشهوى

تذكار استشهاد القديس

٢٥ هاتور ١٧٢٤ ش

مرقوليوس (أبي سيفين)

٥ ديسمبر ٢٠٠٧ م

# المحتويات

## صفحة

٧.....	❖ مُقدمة
٨.....	❖ المحتويات
٩.....	❖ ملخص
.....	❖ [بدء كتابات الآباء الذين كتبوا باللاتينية ٩- الكنيسة في شمال أفريقيا ١٠- القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة ١٢- أعماله ١٦- ملامح من تعاليمه اللاهوتية [٢٨]
٤٤.....	❖ المقالة الأولى، وحدة الكنيسة
٧٩.....	❖ المقالة الثانية، الصلاة الربانية
٩٩.....	❖ المقالة الثالثة، الخود
١١٥.....	❖ المقالة الرابعة، الأعمال والصدقات
١٣٧.....	❖ المقالة الخامسة، فائدۃ الصبر
١٥١.....	❖ المقالة السادسة، العینۃ والحسد
١٧١.....	❖ المقالة السابعة، ثیاب العذاری
١٨٩.....	❖ المقالة الثامنة، الجاهدين



# مُهِيَّد

❖ بدء كتابات الآباء الذين كتبوا باللاتينية.

كان لكتابات الآباء في القرنين الأول والثاني سمات هامتان، وهما: أنها كُتبت باللغة اليونانية، وأنها كانت قليلة في كميتها. ومنذ القرن الثالث بدأت تزايد هذه الكتابات، ثم أضيفت اللغة اللاتينية كلغة للتعبيرات اللاهوتية<sup>(١)</sup>.

وتتميز كتابات الآباء الالاتين في هذا العصر بواقعيتها وروحها العملية مع نقص في المثالية وتباعد عن النظارات التأملية، التي كانت تعتبر سمة الآباء الذين كتبوا باليونانية. فقد كانت تهدف فقط إلى ما هو ضروري ونافع للحياة العملية. والنوع الغالب على هذه الكتابات في هذا العصر كان هو الكتابات الدفاعية.

أما عدد الكتاب فهو قليل ومعظمهم من كنيسة شمال أفريقيا. وكان العمل العظيم الذي يواجههم صياغة التعبيرات اللاهوتية باللغة اللاتينية. وكان هذا العمل أحد الفنون التي فاقوا فيها غيرهم في هذا العصر، حيث صاغوا لغة لاهوتية، جديدة على اللغة اللاتينية. ويرجع الفضل أولاً في هذا المضمار للعلامة تريليان<sup>(٢)</sup> الذي

---

J.G. Davies, The Early Christ. Church, P.120. (١)

(٢) كان محامياً ثنياً في روما، وبعد بمانه بالمسيح استخدم موهبته هذه في الدفاع عن الإيمان المسيحي والحياة المسيحية ضد المراضة. في سنوات حياته الأخيرة انضم إلى شيعة المؤنثين (هم أنبياء متبوسون الذي رزعم أنه هو البارقيط الموعود به من السيد المسيح)؛ وربما من كانوا يسمون أنفسهم "الآباء المتندون بالروح" يبتعداً عن الرئاسة الكنسية المعاصرة، وصار حاسياً في أنكاره الروحية متطرفاً في نظرته للخطابة (لا مغفرة لم الخطأ) بعد معهودتهم، ضد الفنون، ضد الزواج... آخر). وكان يعتقد في التعليم بالحكم الأنفسي الرمزي للمسيح على الأرض.

يعتبر أنه مارس تأثيراً هائلاً على اللاهوت الغربي عموماً<sup>(١)</sup>.

## الكنيسة في شمال أفريقيا

### ❖ دخول المسيحية وانتشارها في شمال أفريقيا:

نحن لا نعلم بالضبط من الذي حمل المسيحية إلى قرطاجنة وما حاورها من ساحل أفريقيا الشمالي. ولكن يجب إلا يغيب عن بالنا أن اليهود كانوا كثرة في القيروان إحدى المدن الخمس الغربية شمال أفريقيا، وأن بعض هؤلاء حضر إلى أورشليم يوم الخميس، فسيuan الذي حمل صليب السيد المسيح كان قيريانياً (مت ٣٢: ٢٧)، وكذلك لوقيوس أحد (المعلمين)، وكانت اللغة اليونانية هي لغة الكنيسة في قرطاجنة قبل اللاتينية<sup>(٢)</sup>.

وقد انتشرت المسيحية في المناطق التي حول قرطاجنة من القرن الثاني حتى السابع. ومن المعروف أن المسيحيين كانوا سلالة المهاجرين الرومان قبل هذا العصر، لذلك فكانوا يتكلّمون اللاتينية. وأشهر من كتب باللاتينية في قرطاجنة قبل القديس كرييانوس هو العلامة ترتيليان (انتقل حوالي سنة ٢٠٣ م).

أما الإنجيل فيبدو أنه تُرجم إلى اللاتينية حوالي عام ٢٠٠ م. ولكن اقتباسات العلامة ترتيليان الواردة في كتاباته واضح أنها عن ترجمة أخرى مختلفة عن الترجمة التي اعتمد عليها القديس كرييانوس، مما يرجح انتشار ترجمات مختلفة باللاتينية للكتاب

---

(١) Patrick Hamell, Hand book of Patrology, p.70.

(٢) John Kelly, The Whole Christ, p.371.

المقدس في عصر مبكر في قرطاجنة، وقبل روما.

وعند مستهل القرن الثالث كان حجم وعدد الجماعات المسيحية يزداد بسرعة، حتى أنه في عصر القديس كبريانوس كان هناك حوالي ١٥٠ إمبراطورية<sup>(١)</sup>.

وكانت بلاد شمال أفريقيا تُعتبر ضمن المقاطعات الرومانية الغربية، وكانت مقسمة سياسياً إلى ثلاث مقاطعات. ولكن الكنيسة لم تلتزم بهذا التقسيم. فقد كان القديس كبريانوس يدعو الأساقفة الأفريقيين معًا كجامعة واحدة ليشكلوا مجتمعاً.

وبالرغم من تساوي جميع الأساقفة في الكرامة، إلا أن أسقف قرطاجنة في الواقع كان يُعتبر الأول بينهم، وكان معروفاً باسم «البابا»<sup>(٢)</sup>.

## ❖ قرطاجنة<sup>(٢)</sup> وليس روما - هي مهد اللاهوت الغربي:

في القسم الأخير من القرن الأول كانت مؤلفات الفلاسفة الالاتين بين أيدي أساقفة الكنائس في شمال أفريقيا وأسيا. وكانت قرطاجنة أكثر تلك البلاد تقدماً ونشاطاً في الاتجاه التأليفي. لذلك ليس من المستغرب أن يُترجم الكتاب المقدس هناك إلى اللاتينية. فهناك في قرطاجنة وليس في روما، بدأت المسيحية اللاتينية تشق طريقها،

(١) العالم موتسيو يحدد عدد الأساقفة الذين حضروا الخاطع الذي عقدها القديس كبريانوس بعاصمة أسقف، وعددها غيره بمائة وستة وعشرين. أما العالم الألماني فون سودن فيعدّهم ١٥٠ على الأقل.

(٢) راجع رسائل ق. كبريانوس رقم: ٣٦، ٣١، ٣٠، ٨.

(٣) هدمت مدينة قرطاجنة في القرون الوسطى، وبُني بدلًا منها مدينة تونس الحالية. لكن المدينة الأثرية أعيد ترميمها الآن وصارت صاحبة بجانب تونس.

وسرعان ما بدأت تعبّر عن نفسها بنشاط متزايد في الكتابات اللاتينية<sup>(١)</sup>، فأنجبت العالمة ترتيليان أباً علوم اللاهوت في كنيسة روما والقديس كيريانوس وأرنوبيوس ولكتانتيوس<sup>(٢)</sup>.

## القديس كيريانوس<sup>(٣)</sup> أسقف قرطاجنة

ولد كايسيليوس كيريانوس Caecilius Cyprian الملقب تاسيوس Thascius ما بين سنة ٢٠٠ م وسنة ٢١٠ م في أفريقيا<sup>(٤)</sup> من عائلة وثنية ثرية ذات ثقافة رفيعة<sup>(٥)</sup>. ويبدو أنه قضى حياته في قرطاجنة نفسها حيث أصبح خطيباً فصيحاً، ثم معلماً في الخطابة والفصاحة<sup>(٦)</sup>.

ولكن الحياة الرخوة الغنية في عاصمة مقاطعة رومانية لم تكن لتشبع نفسه التواقة إلى القدسية والحق، بالرغم من نزعته الرواقية آنذاك. ويرى تلميذه بونتيوس Pontius، الشamas كاتب سيرته، أن حياة ق. كيريانوس المبكرة لا يوجد بها ما يمكن أن يكون ذا قيمة وذلك بالمقارنة بأعماله العظيمة التي عملها فيما بعد للكنيسة.

---

Edgar. J. Good Speed, A History of Early Christian Literature, (١) p.159.

(٢) دكتور أسد رستم - أيام الكنيسة - جزء ٢، ص ١٧٣.

(٣) للأسف الشديد هناك خلط في بعض طبعات السكسار القبطي بين هذا القديس وبين قديس آخر يحمل نفس الاسم كان يعيش في أنطاكية وكان يعمل ساحراً قبل تعميدته. ولعل هذا الخلط مصدره القديس غريغوريوس الرزيري في مقالته الرابعة والعشرين ٨-١٢ حيث يخلط بين قديسين باسم كيريانوس أحدهم في أنطاكية وهو الذي كان ساحراً، وهو ليس قدساً أسقف قرطاجنة.

Quasten, patrology, Vol II, p.341.

(٤) Idem. (٥)

(٦) حياة ق. كيريانوس بقلم شاسه ١٥، حبروم، كتاب المشاهير، لكتانتيوس، المعاهد الإسلامية ١: ٢٤.

وإذا أصبح شديد الضيق بانشغالاته المادية تحول إلى الكتاب المقدس يدرس فيه<sup>(١)</sup>، وللحال دخل إلى الكنيسة بتأثير القدس كايسيليوس وتسمى في المعمودية باسم أبيه الروحي وذلك نحو سنة ٢٤٥ م أو ٢٤٦ م.

كتب القديس كيريانوس قصة إيمانه. وكان فيها شديد الاهتمام بالتعرف على الدوافع التي دفعته إلى التحول للمسيحية وهو الذي نشأ في عائلة عريقة ونال إجازات في العلم ذات شأن ومارس مهنة الخطابة<sup>(٢)</sup>.

وفي كتابه «إلى دوناتوس» الذي فيه ينقل إلينا انصياعاته الشخصية، يقرّ القديس كيريانوس بمنتهى البلاغة بطلان كل ما هو بشري، وفساد عبادة الآلهة، وضعف كل ما يبدو للعين أنه ثابت وراسخ هذا الذي ترتضيه الآلهة كقربان يُقدم لها<sup>(٣)</sup>.

وبعد تحوله. كيريانوس باع كل ممتلكاته وزعها على الفقراء، وبعد وقت قصير من إيمانه بال المسيح، نال نعمة الكهنوت في سنة ٢٤٨ م. ثم انتخب أسقفاً لمدينة قرطاجنة في سنة ٢٤٩ م، مما أثار غيرة المرشحين لذلك المنصب ومن بينهم نوفاتيان<sup>(٤)</sup> (المشـق فيما بعد). وبالرغم من أنـهم نصـبوا له شراـكاً كثـيرة، إلاـ أنه صفح عن إهانـاتهم بعمـق روـحي، وصار رأسـاً لـكل إـكليـرـوسـ شمالـ إـفـريـقيـاـ.

(١) حياة ف. كيريانوس بقلم خمسـة ٢.

(٢) Dict. de Spirit, C.2661.

(٣) Idem.

(٤) كاهنـ من رومـاـ. أـسسـ منهـيـاـ سـقـيـاـ ٢٥١ـ مـ. اـشتـهـرـ بـعـرـقـهـ المتـصلـبـ بـعـاهـ الخطـابةـ.

كان ق. كيريانوس يتحلى بسجايا طيبة، التي تحببه في عمل الخير، واللطف، والرغبة في الوحدة. وقد قصر قراءاته فيما بعد على الكتاب المقدس الذي لم يكن يمر عليه يوم إلاً وكان يقرأ فيه، وأيضاً كتابات العلامة تريليان، وكثيراً ما كان يقول لتلميذه «سلمي الأستاذ» وهو يقصد بذلك تريليان<sup>(١)</sup>. وهو رجل أدب وبلاعنة، وثقافة أصيلة وله قدرة إدارية بارزة، وقد أسدت له خدمة عظيمة، ولاسيما عندما أصبح أسقفاً.

ولم تمض سوى سنة واحدة على أسقفيته حتى هبت عاصفة شديدة من الاضطهاد أثارها الإمبراطور دسيوس (Decius) في سنة ٢٥٠ م، شمل الاضطهاد كل الرعايا في الإمبراطورية، وكانوا يلزمونهم بتقدّم الذبائح للأوثان. فرأى أن يتوارى عن الأ بصار حتى لا تُثير حراشه المتناهية غضب الحكام]. ولكنه ظل على اتصاله بالمؤمنين مُقوِّياً ومُشجعاً<sup>(٢)</sup>.

كتب لهم ق. كيريانوس في أحدى رسائله موضحاً سبب انسحابه لفترة من الزمن حتى لا يكون هو سبباً في الشعب الذي بدأ، وهو وإن كان غالباً عنهم بالجسد إلا أنه لم يكن غالباً بالروح أو بالعمل حيث أنه كان يقدم لهم النصح، بحيث لم يُقصر في آية خدمة نافعة يقدر عليها لإخوته. قد وصلت رسائله للكهنة والمؤمنين والكنائس، وقد أحدث هذا الاضطهاد الذي وقع آنذاك انقساماً في الكنيسة إذ

(١) Quasten, II, P.342

(٢) أسد رستم، آباء الكنيسة، جزء ٢، ص ١٧٣

أن بعض المؤمنين اعتبروا أنفسهم مرجعاً في الأمور الدينية. وطالبوا بمصالحة من حجدوا الإيمان أثناء الاضطهاد. وإزاء رفض الأسقف كيريانوس لذلك بدون مجمع الإكليلروس ورضي شعب المسيح، والترى في قبولهم مع تقديمهم توبة، إلا أن هناك كهنة قبلوا هؤلاء «الجاحدين» بدون استشارة الأسقف وبدون استخدام قوانين التوبة، وأذنوا لهم بتناول جسد المسيح بدون اعتراف وتوبة.

وهكذا كانت المخاطر تحيط من داخل ومن خارج، مخاطر الاضطهاد ومخاطر الجاحدين، حيث احتلّت الحنطة بالزوان، والقمح بالتين، ليس هذا فحسب، بل بدأت متاعب الشفاق تستشرى في جسم كنيسة قرطاجنة، إذ أن معارضي رسامة ق. كيريانوس انتهزوا فرصة هروبها وزكروا الشفاق مُتخذين من مسألة عدم «قبول الجاحدين» في شركة الكنيسة فور رجوعهم دون ممارسة قوانين التوبة، ذريعة لدعوتهم إلى الانفصال عن رئاسة القديس كيريانوس.

عاد ق. كيريانوس إلى مقر كرسيه في قرطاجنة بعد فصح سنة ٢٥١م، وقد هدأ الاضطهاد.

لكن في العام التالي ٢٥٢م انتشر وباء «الطاعون» فنظر الأسقف بعين الأبوة الحانية ونزل ليتعنى بأولاده، ويقول تلميذه أنه كان «طوبياً» زمانه، دون أن يفرق بين مؤمن وغير مؤمن.

ثار الاضطهاد الثاني في عهد هذا القديس عام ٢٥٧م بأمر من الإمبراطور فاليرن، وكان ق. كيريانوس يرى عظم الفائدة الروحية للمؤمنين من هذه الاضطهادات، إذ أنه اعتبر أن السلام الذي كانت

الكنيسة قد تمنتت به قد أضعف روح التيقظ والمحاورة بالإيمان عند الكثرين بما فيهم حديسي الإيمان، ودب في قلوب الجميع ارتجاء روحي، لذلك لما امتحنت فضائلهم في مخنة الاضطهاد الأول أعزرت الكثير منهم الشجاعة ليواجهوا المحاكمات.

وقد صدر مرسوم بإعدام رجال الدين المسيحي، وتم القبض على كبريانوس وقضى مدة سنة في المنفى، ثم أكمل شهادته بقطع رأسه وذلك في الرابع عشر من سبتمبر عام ٢٥٨ م في أجوء سيكستي (Agro Sixti) ودفن ليس بعيداً عن قرطاجنة...وق. كبريانوس هو أول أسقف شهيد في شمال أفريقيا<sup>(١)</sup>.

وفي ألقى القديس أغسطينوس في ذكره خمسة عظام ما زالت باقية حتى الآن.

### ❖ أعمالي:

القديس كبريانوس هو أعظم الأساقفة في القرن الثالث الميلادي. وقد تفوق بقدراته التنفيذية على أساقفة روما في عصره.

هو أول أسقف كاتب في الغرب. وتُعد مؤلفاته امتداداً لعمله الرعوي وتعلّيمه المسيحي ووضعه.

ظهرت القدرات الخاصة عند ق. كبريانوس في مجال التنظيم الكنسي، وفي أحكام التأديب. في بينما كان جُل اهتمام العلامة

---

Dict. de Spirit, op. cit.(١)

تريليان مركزاً على دحض ومواجهة المراطقة، فإن ق. كبريانوس كان يهتم أساساً بمواجهة الانقسامات والمنشقين على الكنيسة.

وفي العصور الوسطى كان ق. كبريانوس واحداً من أشهر الكتاب، ووُجدت كتاباته في عدد ضخم من المخطوطات.

ولدينا ثلاثة قوائم قديمة بأعماله، الأولى موجودة في سيرته التي كتبها شماسه بونتيوس Pontius الذي يصف في الفصل السابع في شكل أسئلة محتويات الائني عشر كتاباً كما تظهر في المخطوطات القديمة.

والقائمة الثانية نشرها Mommsen من مخطوطة في مكتبة فيليب في شيلتينهام عام ٣٥٩م ويدرك أيضاً عدداً من الرسائل.

أما القائمة الثالثة فنجدتها في عضة للقديس أغسطينوس عن القديس كبريانوس نشره G. Morin.

وتنقسم أعمال ق. كبريانوس إلى:

١- أبحاث ودراسات،

أ- إلى دوناتوس.

ب- بشأن الجاحدين.

ج- وحدة الكنيسة.

٢- أعمال تتضمن مبادئ أخلاقية:

أ- الصلاة الربانية.

بـ- الخلود.

جـ- الأعمال والصدقات.

دـ- فائدة الصبر.

هـ- الغيرة والحسد.

وـ- حث على الاستشهاد (موجه إلى فورتوناتوس)

زـ- ثياب العذارى.

٣- أعمال دفاعية:

أـ إلى ديمتريانوس

بـ- إلى كيريانوس

جـ- الأوثان ليست آلهة.

٤- رسائل:

- أبحاث ودراسات: وهي تتعلق بمسائل عملية عن إدارة الكنيسة وأحكام التأديب.

١- أبحاث ودراسات،

أـ إلى دوناتوس،

تعد رسالة (*Ad Donatum*) من أقدم رسائل ق. كيريانوس، وقد وجهها إلى صديقه دوناتوس (Donatus) وهي تصف تأثير النعمة الإلهية العجيب في إيمانه، حيث قادته من الفساد والعنف ومن

العالم الوثنى، ومن العمى الروحى، والأهواء الخاصة بحياته السابقة، إلى سلام وسعادة إيمانه المسيحى. وهذه الرسالة تذكرنا باعترافات القديس أغسطينوس، حيث يعترف ق. كبريانوس بأخطائه، وفي ذات الوقت يعترف بمحى الله، وقد كتب ق. كبريانوس الرسالة بعد عموديته، ويرجع أن ذلك كان في عشية عيد القيمة سنة ٢٤٦ م، وكان الهدف منها دعوة الآخرين إلى التحاذ خطوة مماثلة حيث أن كل خاطئ سيتشجع إذا ما تأمل النعمة التي حصل عليها ق. كبريانوس.

والأسلوب الأدبي للقديس كبريانوس - في هذه الرسالة - مُتَكَلِّفاً، ويختلف إلى حد كبير عن أعماله التالية التي تميزت بالرصانة والبلاغة. حتى إنه سُمِّيَّ شيشرون<sup>(١)</sup>المسيحي. وقد جاء في تلك الرسالة:

«أَمَا أنا، فحين كنت خائراً القوى في ظلمات ليلة خالية من الضياء، وحين كنت متربداً وحائراً، يتقدّماني بحر هذا العالم المضطرب. إذ كنت جاهلاً ومُتغّرِّباً عن الحقيقة والنور، كنت أحسب حقاً أن ما وعدت به الرحمة الإلهية لخلاصى أمراً صعباً نظراً إلى عاداتي في تلك الأيام، إذ كيف يمكن للمرء أن يولد من جديد بحميم الماء الذي يجلب الخلاص، وأن يغيّر نفسه وذهنّته، من دون أن يغيّر جسده.

ذلك ما كنت أقوله كثيراً لنفسي، فبالفعل، كنت مأسوراً، ومرتبكاً بكثرة ضلالات حياتي السابقة، الأمر الذي كنت أظن استحالة التحرر منه. هكذا أطعت الرذيلة التي كانت جزءاً لا يتجزأ

---

(١) شيشرون (٣٤٣-١٠٦ م.)AKER خطيب وكاتب ومحرك عرفه روما. مارس السياسة ومن أشهر مؤلفاته: «في الدولة»، «في الشيغورحة»، «في الشرائع».

مني، ومن شدة يأسِي من تحسُّن وضعِي، كنتُ أستَحثُ شروري كما لو كانت مالي الخاص وعبيدي منذ الولادة.

ولكن، بعد أن طهرتني المياه المجددة من وصمات حياتي السابقة، وأشَرَقَ في قلبي نورٌ من العلاء فطَهَرَهُ من فساده، وبعد أن قبلتُ الروح القدس الآتي من السماء وغَيرَنَّ الميلاد الثاني إلى إنسان جديد، ما أعجب السرعة التي رأيت بها اليقين يزيل شكوكي، والحواجز تنفتح، والظلمات تُشرق، وما كان يبدو سابقاً صعباً، صار لي سهلاً، وما كُنْتُ أظنه مستحيلاً، صار لي ممكناً ممارسته، وليس من شك أنكم تعرفون ماذا أُعطيت بدلاً من نتيجة موت الخطايا، إنها قيمة الفضيلة. أنتم أنفسكم تعرفون هذا، وأنا لا أدعى فضلاً في ذلك، فمدح النفس هو غرور جسور. ومع ذلك فإن هذا ليس افتخاراً بل عرفاً لا بفضيلة الإنسان بل ببركة الله...لأنني أقول إن كل فضيلة هي من الله. فمن الله تأتي حياتنا وقوتنا»<sup>(۱)</sup>

### بـ- بشأن الجاحدين،

كتب ق. كيريانوس عن الجاحدين (*De Lapsis*) عقب عودته من انسحابه من خلال اضطهاد دسيوس وذلك في ربيع ۲۵۱ م. حيث قدم الشكر للرب بعودة السلام بعد الاضطهاد، وامتدح الشهداء الذين قاوموا العالم، وكانوا قدوة لإخوتهم.

إلا أنه سرعان ما تحولَ فرجه إلى حزن وكآبة بسبب الإخوة

الكثرين الذين سقطوا إبان الاضطهاد. وهو يحذر المؤمنين من التشفع لأولئك الذين أنكروا الإيمان، وأكده أن التساهل معهم يُعدّهم عن التوبة. ولكنه رأى أن يرأف بأولئك الذين لم يضعفوا في الإيمان إلاّ بعد العذاب دون اعفائهم من التوبة. والذين حصلوا شهادات بأنّهم قدموا الذبائح ولم يدنسوا أيديهم بتقدّيمها فإنّهم بحسبوا ضمائرهم.

لقد قرئت تلك الرسالة في الجمع الذي انعقد في قرطاجنة في ربيع ٢٥١ م، فأقرّها الأساقفة وصارت منهج موحد للعمل فيما يتعلق بمسألة الجاحدين، وذلك على مستوى كنيسة شمال أفريقيا.

### ج- وحدة الكنيسة:

هذا العمل والذي يسمى «وحدة الكنيسة» (*De ecclesiae unitate*) تأثير كبير على كل أعمال ق. كبريانوس. وهذا العمل يقدم مفتاحاً لشخصيته ولكل ما كتبه. وهذا الكتاب بمثابة «العهد العظيم» (*Magna charta*) للكنيسة الجامعة الأولى.

يبدو أن هذا العمل كان يهدف إلى أمرتين الأول: مواجهة الانقسام الذي يتزعمه نوفاتيان (Novatian). والثاني: رب الصدع الذي أحدثه الانقسام الذي تزعمه فيليسيوس في قرطاجنة فقط.

يرجح أن هذا العمل لم ينشر قبل عودة الكاتب إلى قرطاجنة، وإنما نُشر بعد ذلك في مايو من سنة ٢٥١ م أي في وقت الجمع الذي عُقد هناك. وقد أرسلها إلى المؤمنين من الرومانين فيما كانوا لا يزالون إلى جانب نوفاتيان ضد كرنيليوس أسقف روما. وقد

تمت المصالحة في نهاية سنة ٢٥١ م. يذكر ق. كيريانوس في المقدمة أن الانقسامات والهرطقات تحدث نتيجة عمل الشيطان. وأنهما أكثر خطورة من الاضطهادات، لأنهما يهددان الوحدة بين المؤمنين، ويشوهان الحق ويُلْفان الإيمان. ويتوجّب على كل مسيحي أن يبقى في الكنيسة وإنه لا يوجد إلا كنيسة واحدة... ويجب علينا أن نتمسّك بهذه الوحدة بكل قوّة وندعمها... والكنيسة أيضًا واحدة تنتشر في الخارج طولاً وعرضاً بواسطة زيادة الإثمار. إن الكنيسة مشرقة بنور الرب، وتُرسل أشعتها على العالم كله، إلا أنه نور واحد هو الذي انتشر في كل مكان، بل إن وحدة الجسم لم تنفصل، ففيها المشر ينشر فروعها في كل العالم... ومع ذلك رئيسها واحد، مصدرها واحد، وهي أم واحدة مليئة بنتائج ثمرها، ومن رحمها نحن ولدنا، وعلى لبنيها تغذينا، وبروحها امتلأنا حيوية.

ويذكر ق. كيريانوس أيضًا أنه لا خلاص خارج الكنيسة. ومن لا تكون الكنيسة أمه لا يمكن أن يكون الله أباً. وإذا كان أحد من كانوا خارج سفينة نوح قد تمكّن من النجاة، فيمكن لمن هو خارج الكنيسة أن يهرب أيضًا. ويحذر ق. كيريانوس من الهرطقة الذين أسسو نظاماً خاصاً بهم: فهم يخدعون أنفسهم بتفسير خاطئ لكلمات رب: «لأنه حيّثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي. فأنا أكون هناك في وسطهم» إذ لا يجوز فصل هذه الآية عما جاء قبلها وبعدها. وحتى لو قُتل أولئك الرجال من أجل اسم الرب فإن وصمة الهرطقة والانقسام لا يزيلها الدم. والمعلمون الكاذبة أسوأ كثيراً من الجاحدين.

والمعترفون قد يفقدون إيمانهم لأن بطولتهم لا تعطيهم حصانة ضد مكاييد الشيطان ولا تمنعهم من السقوط في التجربة ماداموا في هذا العالم. فلا يعرض أحد نفسه للهلاك باقتداء مثالهم وليعد أولئك الذين انفصلوا عن الكنيسة إليها لأن هنالك بشائر تدل على أن الحجى الثاني قد يكون قريباً.

## ٢- أعمال تتضمن مبادئ أخلاقية:

### أ- الصلاة الربانية:

جاء عمل ق. كبريانوس المعروف باسم الصلاة الربانية (De dominica oratione) في قائمة Pontius بعد كتابه عن وحدة الكنيسة. وتوجد أسباب في النص تدعونا للاعتقاد بأنه كتب بعد ذلك بوقت قصير، وعلى ذلك، فإن تاريخه يمكن أن يعود إلى ختام سنة ٢٥١ م أو بداية سنة ٢٥٢ م. وكان كتاب ترتيليان «De oratione» هو المرجع الذي استند إليه ق. كبريانوس، وإن كانت معالجته أكثر عمقاً وشمولاً، إذ أن تفسير الصلاة الربانية لا تُشكل سوى ربع كتاب ترتيليان فقط، بينما شغلت الفصول (٧-٢٧) من كتاب ق. كبريانوس.

تناول المقدمة موضوع الصلاة بشكل عام، وتشير إلى الصلاة الربانية «أبانا الذي...» باعتبارها أعظم الصلوات... وهي أكثر فعالية من آية صلاة أخرى لأن الله الآب يُسر بسماعه كلمات ابنه، وعلى ذلك فحين نطق بها يكون المسيح هو المدافع عنا أمام العرش السماوي. ثم يتبع ذلك بعض آداب الصلاة من هدوء وتواضع.

ويظل الكاتب مهتماً بفكرة وحدة الكنيسة فنراه يعكس ما سبق أن أورده في كتابه عن وحدة الكنيسة.

يقول ق. كيريانوس في بداية التفسير: «و قبل كل شيء ما كان معلم السلام وسيد الوحدة ليرغب أن تكون الصلاة فردية وشخصية، كالشخص الذي يصلى من أجل نفسه فحسب. لأننا لا نقول أي الذي في السموات، ولا نقول: خبزى كفافى أعطنى اليوم، بل ولا يسأل كل واحد من أجل غفران خططياته وحده، بل ولا يتطلب من أحد نفسه فقط ألا يدخل في تجربة وينجى من الشيطان. فصلاتنا عامة ومشتركة، وحين نصلى لا نفعل ذلك من أجل واحد بل من أجل الشعب كله. لأن الشعب كله واحد. وإله السلام ومعلم الوئام، الذي عَلِمَ الوحدة، يريد أن الواحد يصلى من أجل الجميع، كما أنه هو نفسه حملنا جميعاً في واحد».

كرر ق. كيريانوس هذا الحث على الوحدة والوئام في مواضع عديدة. فالصلاحة الربانية عند ق. كيريانوس - كما هي عند العالمة تريليان تُشكل خلاصة لإيمان المسيحي (ف ٩)، فمخاطبتنا الله بقولنا: «يا أباانا» تعبير عن تبنينا كأولاد الله في المعمودية: «الإنسان الجديد، الذي ولد ثانية وأعيد إلى إلهه بواسطة نعمته، يقول: «يا أباانا» في المقام الأول لأنه بدأ يكون ابنًا» (ف ٩). أمّا تضرعنا «ليأت ملوكتك» فيقول الكاتب إنه يشير إلى الملائكة الأخرى، الذي يتحقق بدم المسيح وآلامه، حيث «الذين كانوا رعاياه في هذا العالم، سيحكمون معه حين يحكم» (ف ١٣). أمّا «خبزنا كفافنا» فهو المسيح في الإفخارستيا، خبز أولئك المتحدين بمحسنه.

في الفصول الأخيرة يعود مرة أخرى إلى ما سبق أن ناقشه، حيث يؤكّد على الحماسة والتركيز، وأن كل الأفكار الجسدية والدنيوية يجب أن تزول. والصلوات التي يصاحبها صوم وصدقة تصعد بسرعة إلى الله، لأنّه مستمع رحيم للرجاء المرتبط بالأعمال الصالحة. ثم يختتم بفكرة أنّ المسيحي الحقيقي يثابر في الصلاة نهاراً وليلاً.

## بـ- الخلود،

انتشر وباء مفرغ بعد الاضطهاد الذي شنه دسيوس (Decius)، وكان ذلك نحو سنة ٢٥٢ م. وإذ لقى كثيرون حتفهم، كتب ق. كيريانوس عن معنى ذلك بالنسبة للمؤمن وذلك في رسالته (*De Mortalitate*). فتلك اللحظة التي يواجهون فيها الموت تعد بالنسبة للمسيحي تحرّراً من الصراع ودعوة من المسيح. ولا يختلف المؤمنين عن الوثنيين في شيء سوى في الروح التي يواجهون بها نهاية حياتهم. وتلك اللحظة تؤدي إلى الخلود والمحاذاة الأبدية. وما من مؤمن يمكنه أن يخشى الرحيل من هذا العالم إلى عالم أفضل فيقول: «هناك عدد كبير من أحبائنا يتظروننا ويتلهفون إلى رؤيتنا، فإذا قد اطمأنوا بالفعل على سلامتهم، فهم لا يزالون توافقن إلى خلاصنا. والوصول إلى محضرهم واحتضانهم يُشكّل سعادة بالغة لهم ولنا على وجه العموم. ويا لها من سعادة تلك التي في الملائكة السماوي، حيث لا خوف من الموت، ويالها من سعادة سامية تلك التي ننعم بها في الحياة الأبدية».

ولذلك فيجب ألا تخزن على الإخوة الذين تحررّوا من العالم،

نتيجة نداءات الرب... فلا نحزن على الموتى حتى لو كانوا من أعز الناس إلينا، وحين يأتي اليوم الذي نُستدعى فيه، فيجب أن نأتي إلى الرب بكل سعادة وبدون تردد عند دعوته» (ف ٢٢ و ٢٦).

وتتضمن رسالته عدداً كبيراً من الإقتباسات لشيشرون وسينيكا<sup>(١)</sup>.

### ج- الأعمال والصدقات.

صدرت رسالته عن الخلود في نفس الوقت الذي صدرت فيه رسالته عن الأعمال والصدقات (*De opera et eleemosynis*) والتي تحدثَّ على العطاء بسخاء، إذ قد ترك الوباء المدمر كثيرين من الناس فقراء معدمين.

وهكذا وجدت الحجية المسيحية فرصة عظيمة لمساعدة المحتاجين والمرضى ومن يشرفون على الموت. ويسردق. كيريانوس بعض العطايا والنعم التي أجز لها الله عليهم. فقد فداهم المسيح بدمه وسمح لهم بفرصة أخرى للخلاص إذا ما سقطوا في ضعف بعد العمودية وذلك من خلال الأعمال الصالحة، فكل واحد ملزِم بأن يعمل الخير. وليس هناك عذر، فأولئك الذين يخشون على ثروتهم أن تنقص نتيجة كرمهم، ومخافة أن يعاونوا من الحاجة والعوز في المستقبل، عليهم أن يعرفوا أن الله يهتم بأولئك الذين يساعدون الآخرين. ويخاطبهم بآلاً يدعوا مثل هذه الأفكار أن تمنعهم من أعمال البر والخير.

ووجدت رسالة ق. كيريانوس صدى طيباً في الكتابات المسيحية

---

(١) سينيكا: فيلسوف روماني. استوحى مبادئه الفلسفية من الرواقيين.

القديمة. وقد اقتبس منها المجمع العام الذي عُقد في أفسس ٤٣١ م عدة فقرات. ولا يوجد دليل على أن ثمة ترجمة باليونانية لهذا العمل.

#### د- فائدة الصبر،

إن رسالته عن فائدة الصبر (*De bono Patientiae*) تقوم على أساس رسالة العلامة ترتيليان عن الصبر، حيث اعتمد ق. كيريانوس على ترتيليان في هذا العمل أكثر مما هو موجود في كل كتابات ق. كيريانوس الأخرى. ويتبين ذلك من الإطار العام، و اختيار تشبيهات وإن كان الاختلاف بينهما في الروح واللغة واضحًا تمام الوضوح.

ويكتدح ق. كيريانوس الصبر باعتباره صفة تميز المسيحيين على نحو خاص. وهذه سمة يشتراكون فيها مع الله. الذي منه تأتي كل فضيلة، ومنه تأخذ مجدها وكرامتها (ف٤، ٥). وكل من هو نبيل وصبور ووديع إنما يحاكي الله الآب، الذي يصر على الأذى ويتحمل حتى دنس المعابد، والأصنام، والطقوس المدنية للمقدسات التي يُقيمها الناس احتقاراً لعظمته وكرامته.

و كذلك فإن الصبر يعد محاكاة للمسيح، الذي أعطى أفضل مثال للصبر في حياته بالجسد هنا على الأرض حتى ساعة صلبه وألامه.

والرسالة تمثل عظة، ويتبين ذلك من المقدمة. ويفيدنا ق. كيريانوس بأنها كُتبت في وقت ما من سنة ٢٦٥ م. من خلال الرسالة التي أرسلها إلى يوبيانوس Jubianus - ويعتقد أنه أسقف موريطانيا.

## هـ- العَيْرَةُ وَالْحَسْدُ:

دُعِيت رسالة «العيّرة والحسد» (*De Zelo et livore*) رفيقة للرسالة السابقة أي فائدة الصبر. وإن كان بونتيوس يدرجها بعد الرسالة الأخيرة، ومن ثم ساد الاعتقاد بأنها كُتبت بعد مناقشة تتعلق بعمودية المراطفة في ختام سنة ٢٥٦ م أو في مستهل ٢٥٧ م.

وقد كتب في رسالته يقول: «أن تتملكك العيّرة مما تراه من أمور حسنة، وأن تخسد أولئك الذين هم أفضل منك يعد في نظر البعض خطأ بسيطاً وتفافها. إلا أن الرب ينصحنا أن نأخذ حذرنا من الشيطان، لأن العيّرة والحسد كانت سبباً في سقوط الشيطان نفسه عند بداية العالم. وكان الشيطان بدوره سبباً في هلاك آخرين. ومنذ ذلك الحين، ومن خلال نفس هذه الرذيلة، نراه يسلب الإنسان من نعمة الخلود، بعد أن فقد هو الحالة التي كان عليها أولاً. ومنذ ذلك الحين والحسد يعتمد على الأرض في ذاك الذي يكاد يهلك بسبب العيّرة بطاعته من كان سبباً في هلاكه، إذ يقلد الشيطان في حسده. وكما هو مكتوب: «لَكُنْ بَحْسَدُ إِبْلِيسِ دُخُولَ الْمَوْتِ إِلَى الْعَالَمِ» (سفر الحكمة ٢٤:٢٤). ولذلك يقلداته أتباعه. وهذه الميل الشيطانية هي أساس خطايا أخرى كثيرة مثل الكراهة، النزاعات، الطمع، الجشع، العصيان، كما يظهر ذلك من خلال أمثلة كثيرة في العهد القديم. وفضلاً عن ذلك فإن هذه الرذائل تعد من أخطر أعداء وحدة الكنيسة، فعن طريقها كسرت رابطة السلام مع الرب، وأنهكت المحبة الأخوية وزيف الحق ومُزقت الوحدة. ولا يوجد سوى دواء

واحد ضد هذا المرض المميت للنفس ألا وهو أن تحب قريبك. عليك أن تحب أولئك الذين سبق أن كرهتهم، وأن تحسن معاملة أولئك الذين سبق لك أن انتقصت من قدرهم، عليك أن تحذو حذو الصالحين، متي كان بمقدورك أن تفعل ذلك. أما إذا لم يكن يسعك أن تفعل ذلك، فيحب عليك على الأقل أن تفرح معهم، وأن تهني أولئك الذين هم أفضل منك. اجعل من نفسك شريكاً لهم في شركة الحب، وزميلهم في عمل الخير ورابطة الإخوة».

## و- حث على الاستشهاد (موجه إلى فورتوناتوس)،

رسالة (Ad Fortunatum de exhortatione-martyrii) أي «حث على الاستشهاد موجه إلى فورتوناتوس» وتعد خلاصة الأسفار المقدسة، كتبها ق. كيريانوس بناءً على رغبة شخص يدعى فورتوناتوس لكي يشدد من عزيمة المسيحيين في مواجهة اضطهاد يوشك أن يقع. ويبدو أن فورتوناتوس هو أسقف توکابوري، وقد اشتراك في الجمع الأفريقي في سبتمبر سنة ٢٥٦ م.

تحتوي الرسالة على اثنى عشر عنواناً والعناوين الخمسة الأولى منها تتناول الوثنية وعبادة الإله الحقيقي وعقاب الذين يذبحون للأوثان وغضب الله عليهم (ف ١-٥). وإذا افتدينا بدم المسيح فينبغي ألا نفضل عليه شيئاً وألا نعود إلى العالم (ف ٧) بل نشابر في الإيمان والفضيلة حتى النهاية (ف ٨). وتأتي الاضطهادات لكي تكون تجربة لأتباع المسيح (ف ٩). إلا أنه يجب ألا تخاف منها لأننا على يقين من حماية رب (ف ١٠). وتلك الاضطهادات قد تم التنبؤ بها

(ف١١). كما تم التبؤ أيضًا بالكافأة والإكليل الذي يناله الأبرار والشهداء (ف١٢). وهناك عدة آراء حول اضطهاده الذي تدور حوله الرسالة، فمن قائل إنه اضطهاد دسيوس (٢٥٠ - ٢٥١ م). أو فاليرن (٢٥٧ م)، بينما يرى آخرون أن ق. كبريانوس كتب رسالته في ربيع سنة ٢٥٣ م حينما كان اضطهاد جالوس (Callus) وشيكًا.

### س- ثياب العذاري:

يرجح أن الرسالة عن «ثياب العذاري» (*De habitu Virginum*) قد كتبها ق. كبريانوس بعد رسامته أسفنا لقرطاجنة في سنة ٢٤٩ م بوقت قصير. ومتاز الرسالة بأسلوب جعل أغسطينوس يشير إليها على أنها نموذج لأتباعه من المحاضرين المسيحيين الشبان<sup>(١)</sup>.

يخاطب ق. كبريانوس العذاري في رسالته أنهن زهرة النسل الكنسي، وجمال الموهبة الروحية وزيتها، الجانب الأكثر إشراقاً في قطيع المسيح. الثمر الحميد للكنيسة الأم (ف٣). وهو ينصح العذاري من كرّسهن أنفسهم لل المسيح من الأخطار التي تحيط بهن في العالم الوثنى.

فيشير عليهم بأن يرتدين الملابس البسيطة وأن يتخلّى بالمجوهرات واستخدام أدوات التجميل التي ما هي إلا احتراع الشياطين. وإذا كان لديهن ثروة فعليهم استخدامها لا في مثل هذه الأمور، بل في أغراض صالحة مثل مساعدة الفقراء. وغير مسموح لهن بحضور

حفلات الزواج الصاحبة، أو الذهاب إلى الحمامات العامة المختلطة. ويختتم في إيجاز بأن يت بشّرن بما بدأه، وأن يفكرون في المكافأة.

## ٢- أعمال دفاعية،

### أ- إلى ديمتريانوس،

كتب ق. كبريانوس رسالة إلى ديمتريانوس (*Ad Demetrianum*) حيث أتهم المسيحيون بأنهم مسئولون عن الكوارث الناجمة عن الحرب والوباء والمجاعة والقطط. والرسالة تعدّ من أقوى الكتابات التي قدمها ق. كبريانوس. وهي تتسم بالطابع الدفاعي وتشترك في مضمونها مع كثير من سمات كتاب العلامة ترتيليان «*Apology*» و«*To Scapula*» إلا أنها أشدّ وأقوى منهما هجاءً.

استهل ق. كبريانوس دفاعه بأن أشار إلى شيخوخة العالم، حيث وصفها بأنها تتبع قانون التدهور والانحلال. وإنه من الطبيعي أن لا تقدر التربة على انتاج ما اعتنادت أن تنتجه في ربيع الخلقة. وعلى ذلك فإنه ليس من ذنب المسيحيين أن يأتى الحصول ضعيفاً. ثم يضيف أن أمراض الأرض الحقيقة إنما ترجع إلى الخطايا وإلى حياة الوثنين اللا أخلاقية. وقد أشار إلى أن الله له كل الحق في أن يعاقب عصيان البشر. لأننا مجرد عبيد له. فجرائم الوثنين وعبادتهم الأصنام إلى جانب اضطهاد المسيحيين ومعاملتهم بكل وحشية حفظت رب الجنود أن يصب غضبه عليهم. ولا يوجد سوى حل واحد لهذا الأمر لأنّه: «العمل على إرضاء الله، والخروج من هوة الخرافات المظلمة إلى النور الساطع للعبادة الحقة».

وال المسيحيون على أهبة الاستعداد كي يُعرّفوا أعداءهم طريق  
السلامة الأبدية الذي تقدمه عبادة الإله الحقيقي وحده، فنحن نقابل  
الكراهيّة بالحبّ، وعوض العذابات والعقوبات التي تُوقعوها بنا،  
سنعرفكم طريق الخلاص. آمنوا تحياوا، وأنتم يا من تضطهدوننا في  
الزمن تعالوا لتفرحوا معنا في الأبدية».

لم تكن تلك الاتهامات الباطلة هي الأولى التي تسب  
للمسيحيين فقد حدث أن وجهت أيضًا إلى المسيحيين في وقت  
ترتيان حيث دحض تلك الاتهامات.

كما حدث ذلك أيضًا في زمن أغسطينوس وقام بالرد عليها  
بشكل أكثر تفصيلاً وذلك في كتابه «مدينة الله»، وقد قام كل من  
أرنوبيوس ولكتانيوس بدحض تلك الافتراضات. ويُعتبر كتاب  
كيريانوس من أقوى الكتابات الدافعية.

يرى لكتانيوس أن ردّ ق. كيريانوس ما كان يجب أن يكون  
مبنياً على أساس الكتاب المقدس في براهينه وحججه، وإنما كان  
ينبغي أن يكون قائماً على أساس الحجة والمنطق ليكون لذلك تأثيره  
على ديمتريانوس ويبدو أن ق. كيريانوس لم يقصد إلى دحض تلك  
الأفكار لدى ديمتريانوس فحسب، وإنما كان يهدف إلى تشديد  
وتشجيع المسيحيين من كانوا معرضين لخطر فقد إيمانهم بسبب  
الاتهامات الوثنية أيضًا.

تاریخ الرسالة موضع شك. فالإشارة الواردة في الكتاب بالفصل  
السابع عشر عن موت دسیوس وأولاده أمر غير مقطوع به.

## ب- إلى كيرينوس،

تعد رسالته إلى كيرينوس (*Ad Quirnum*) على قدر عظيم من الأهمية فيما يتعلق بتاريخ أقدم الترجمات اللاتинية للكتاب المقدس، وهي تأتي على نفس الدرجة من الأهمية التي للرسالة إلى فورتوناتوس.

يوجـقـ. كـبرـيانـوـسـ رسـالـتـهـ إـلـىـ كـيرـينـوـسـ الـذـيـ يـدـعـوـهـ اـبـنـهـ الحـبـيـبـ.ـ والـرـسـالـةـ فـيـ الأـصـلـ تـأـتـيـ فـيـ كـتاـبـيـنـ فـقـطـ،ـ وـقـدـ أـضـافـ إـلـيـهـمـ كـتاـبـاـ ثـالـثـاـ فـيـ وـقـتـ لـاحـقـ.ـ وـبـيـنـ قـ.ـ كـيرـيانـوـسـ فـيـ الـكـتـابـ الـأـوـلـ الـذـيـ تـرـكـرـ عـلـىـ الـيـهـودـ،ـ أـنـ الـيـهـودـ اـبـتـدـعـوـاـ عـنـ اللهـ،ـ وـحـرـمـواـ أـنـفـسـهـمـ مـنـ نـعـمـتـهـ،ـ وـمـنـ الـأـفـضـلـيـةـ الـتـيـ حـبـاهـمـ بـهـاـ فـيـ الـقـدـيمـ،ـ وـقـدـ حلـ الـمـسـيـحـيـونـ بـدـلـاـ مـنـهـمـ فـيـ الـوـعـودـ الـخـاصـةـ بـالـمـسـتـقـبـلـ وـاستـحـقـواـ نـعـمـةـ الـرـبـ بـالـإـيمـانـ وـيـضـمـ هـذـاـ الـكـتـابـ أـرـبـعـةـ وـعـشـرـينـ عـنـوـاـنـاـ.ـ أـمـاـ الـكـتـابـ الثـانـيـ فـعـبـارـةـ عـنـ تـعـلـيمـ مـوـجـزـ عـنـ السـيـدـ الـمـسـيـحـ.ـ وـيـحـتـويـ عـلـىـ ثـلـاثـيـنـ عـنـوـاـنـاـ.

ولـلـكـتـابـ الثـالـثـ مـقـدـمـةـ خـاصـةـ بـهـ،ـ مـاـ يـشـيرـ إـلـىـ أـنـ قـ.ـ كـيرـيانـوـسـ استـحـاجـ إـلـىـ كـيرـينـوـسـ بـأـنـ يـكـتـبـ فـيـ مـوـضـوعـاتـ أـخـرـىـ مـحـدـدـةـ.ـ فـالـكـتـابـ الثـالـثـ يـحـتـويـ عـلـىـ مـوـجـزـ لـلـتـأـديـبـاتـ وـالـوـاجـبـاتـ الـأـخـلـاقـيـةـ،ـ وـهـوـ مـرـشـدـ لـلـفـضـائـلـ الـمـسـيـحـيـةـ،ـ وـيـحـتـويـ عـلـىـ مـائـةـ وـعـشـرـينـ رـأـيـاـ مـقـتـرـنةـ بـأـدـلـةـ كـتـابـيـةـ.ـ إـلـاـ أـنـ الـمـقـدـمـةـ لـاـ تـشـيرـ إـلـىـ الـكـتـابـيـنـ الـأـوـلـ وـالـثـانـيـ،ـ مـاـ يـشـيرـ الشـكـوكـ حـولـ مـاـ إـذـاـ كـانـ قـ.ـ كـيرـيانـوـسـ قـدـ جـمـعـ الـكـتـبـ الـثـلـاثـةـ،ـ وـيـبـدـوـ أـنـ ذـلـكـ قـدـ تـمـ فـيـ وـقـتـ لـاحـقـ.ـ وـلـاـ تـضـمـ الـكـتـبـ دـلـالـاتـ يـمـكـنـ أـنـ تـسـاعـدـنـاـ عـلـىـ تـحـدـيدـ تـارـيخـ معـيـنـ لـهـ.ـ وـيـرجـحـ الـبعـضـ سـنـةـ ٢٤٩ـ مـ تـارـيـخـاـ لـكـتـابـتـهاـ عـلـىـ أـسـاسـ أـنـ قـ.ـ كـيرـيانـوـسـ

استخدم الكتاب الثالث حين كتب رسالته عن ثياب العذاري. والرسالة إلى كيرينوس لها تأثيراً عظيماً ومستمراً على تعليم الكنيسة وكرزياتها، وقد نقل عنها كثيرون النصوص اللاتинية للكتاب المقدس.

### ج- الأوثان ليست آلهة

تنقسم النبذة الصادرة بعنوان الأوثان ليست آلهة (Quod Idola dii non Sint) إلى ثلاثة أجزاء. الجزء الأول منها (ف-١٧) يوضح أن آلهة الوثنين ليسوا بالآلهة، بل كانوا ملوكاً في الماضي، ونظراً لذكر أهلهن الملكية، فإن الناس بدأوا في عبادتهم بعد موتهن. وحفظوا ملامح المتوفى من خلال صورة، فقد نُحت شبههم، كما ذُبَح لهم الناس الذبائح، وأقاموا الاحتفالات لتكريمهم. وهذا ثابت في التاريخ. وليس هناك سبب للعلاقة الوثيقة بين هذه الممارسات الدينية و محمد روما.

أما الجزء الثاني (ف-٨-٩) فيوضح أنه لا يوجد سوى إله واحد، غير منظور، ولا يمكن إدراكه. والجزء الثالث يتضمن موجزاً لتعليمه عن السيد المسيح.

كانت هذه الرسالة موضوع جدل استمر فترة طويلة. إذ لم يذكر ق. كيريانوس نفسه عنها أي شيء في كتاباته. وينسبها كل من القديس حيروم والقديس أغسطينوس إلى ق. كيريانوس.

تفتقد الرسالة إلى اللمسات الأدبية التي تميز كتابات ق.

كيريانوس الأخرى. وربما يرجع ذلك إلى أن الكاتب كان مبتدئاً فجمع اقتباسات من الكتابات الدفاعية اللاهوتية. لذلك نجد فيها أفكاراً وعبارات لترتيlian ومينوكيوس فيلوكس Minucius Felix. وربما لم يكن الكاتب يهدف إلى نشرها على الإطلاق.

#### ٤- رسائل:

هذه الرسائل بمثابة المرأة للمجتمع الكنسي آنذاك، فهي تعكس المشاكل والنزاعات التي تتعلق بالإدارة الكنسية نحو منتصف القرن الثالث من ناحية. ومن ناحية أخرى تعبر عن آمال وألام المسيحيين وحياتهم. وفكرة تجميع الرسائل فكرة قديمة، حيث بدأ كيريانوس بالفعل بترتيب بعض رسائله طبقاً لمحتوها، ثم أرسل منها نسخاً إلى بعض المراكز المسيحية وإلى زملائه من الأساقفة. وذلك بغرض التنوير والتثقيف.

بلغت المجموعة في الطبيعة الخديئة إحدى وثمانين رسالة، خمس وستون منها بقلم ق. كيريانوس، وست عشرة رسالة مرسلة إليه أو إلى رجال الدين في قرطاجنة. وتمّة مجموعة أحدث تضم رسائل من البابا كرنيليوس ومن نوفاتيان ومن آخرين.

أما أرقام (٤٣-٥٤) فترجع إلى وقت اعتزاله أثناء اضطهاد دسيوس Decius، ومن بينها سبع وعشرين رسالة وجهت إلى كهنته وشعبه. والرسائل المتبادلة بينه وبين البابا كرنيليوس ولوسيوس فهي من (٤٤-٦٦، ٦٤، ٦١) وأثنى عشرة منها: (٤٤-٥٥) تتعلق بانشقاق نوفاتيان. أما الرسائل (٧٥-٦٧) والتي كُتبت في أثناء تولى

اسطفانوس الباباوية (٢٥٤-٢٥٧ م) فتناول موضوع الجدل الخاص بالمعودية، وأرسل من منفاه الأخير الرسائل (٧٨-٨١) والبقية (٤-٦٢، ٦٣، ٦٥) وكلها كتبها ق. كيريانوس نفسه. ولا يمكن ترتيبها ترتيباً زمنياً لأنها تفتقر إلى آية إشارة إلى الأزمنة أو الظروف. والرسالة الأولى منها تؤكد القرار الذي اتخذه مجمع أفريقى أن الإكليروس لا يُسمح لهم بالقيام بدور الأوصياء أو الحراس، والثانية تناقش موضوع ما إذا كان في الإمكان تقبل قيام مسيحي استقال من مهنته لتدریس الفن المسرحي.

أما الثالثة فتناولت موضوع شناسأساء إلى أسقفه إساءة بالغة. والرسالة الرابعة كتب فيها معارضة شديدة ضد Syneisaktoi الحياة المشتركة للمتسكين من الجنسين تحت سقف واحد. والرسالة (٦٢) إلى ثمانية من أساقفة نوميديا، صاحبت إسهاماً مالياً جمّع في قرطاجنة لإنقاذ المسيحيين من الجنسين كانوا تحت أسر البربرة. والرسالة الثالثة بمثابة بحث، وأحياناً - تأتي تحت عنوان «حول سُرّ كأس الرب». وتحمل رأى ق. كيريانوس في عادة غريبة بدأت تتفشى في المجتمعات المسيحية آنذاك، وهي استعمال الماء في عشاء الرب بدلاً من الخمر الممزوج بالماء، الأمر الذي يرفضه.

أما الرسالة (٦٥) فهي رسالة إلى كنيسة أشور بعدم السماح لأسقفها السابق فورتناتيانوس، الذي ذبح للأوثان أثناء الاضطهاد بالرجوع إلى وظيفته.

والمحموعة ليست كاملة بأي حال، حيث ذُكر أن ثمة رسالات أخرى لم تُحفظ. ولا تحمل أي رسالة من الرسائل الموجودة تاريخاً

إلا أنها كلها - عدا اثنين منها - تحمل عنواناً (وهما رقم ٨، رقم ٣٣).  
ومخطوطة واحدة وهي Taurinensis التي تتضمن الرسالة الواحدة  
والثمانين.

وهذه المجموعة ليست هامة لتاريخ الكنيسة فحسب، وإنما تعد  
أثراً هاماً للغة اللاتينية المسيحية. ورسائل ق. كيريانوس يغلب عليها  
الطابع البلاغي والأسلوب الشيشروني في الخطابة، وهي تمثل لغة  
المخاطبة اللاتينية التي كان يتبعها المؤمن المتعلّم في القرن الثالث<sup>(١)</sup>.

## ح- ملامح من تعاليمه اللاهوتية:

القديس كيريانوس رجل عمل أكثر منه رجل فكر. فقد اهتم  
بالقضايا والمسائل العملية التي تواجه المسيحيين. وقد وجدت كتاباته  
صادّى كبيراً، فحتى زمن القديس أغسطينوس كان ق. كيريانوس  
هو المرجع اللاهوتي للغرب. إذ كانت كتاباته توضع جنباً إلى جنب  
مع الأسفار القانونية للعهددين القديم والجديد. بل وكان أكثر الآباء  
من حيث الإقبال على قراءة كتاباته حتى العصور الوسطى إذ كان  
اللاهوتيون يستشهدون بها مراراً وتكراراً وكان ذلك لتعليمه  
الخاص عن طبيعة الكنيسة التي كانت تشغّل مركز فكره<sup>(٢)</sup>.

### ١- تعليم خاص بطبيعة الكنيسة:

الكنيسة في مفهوم ق. كيريانوس هي الطريق الوحيد إلى

Quasten, II, P.366. (١)

Ibid,373. (٢)

الخلاص. فمن المستحيل أن يكون الله أباً لنا ما لم تكن الكنيسة أمناً. وهذا السبب فإنه من الأهمية البالغة أن نظل في حضن الكنيسة، فما من أحد يقدوره أن يكون مسيحيًا ما لم يمارس ذلك. فالكنيسة عروس المسيح، وكل من يفصل نفسه عن الكنيسة ويلتصق بزانية إنما هو يفصل نفسه عن المواعيد التي أعطيت للكنيسة فهو غريب ونحس وعدو وهكذا فإن الطابع الأساسي للكنيسة هو الوحيدة. كما يشبه الكنيسة بأنها رداء المسيح.

وسر الوحدة المقدسة هذا، وكذلك الرابطة المتاغمة التي لا تنفصم قد وضحت حيث نجد في الإنجيل أن رداء الرب يسوع المسيح لم يُقسم إطلاقاً، ولم يُشق، بل استلم كثوب كامل، وتسلمه دون تقسيم أو مساس به أولئك الذين ألقوا قرعة على ثوب المسيح. وكان هذا الرداء يحمل معه وحدة نزلت من أعلى أي من السماء من عند الآب. ولا يمكن أن يمتلك ثوب المسيح ذات الذي يترك أو يُقسِّم كنيسة المسيح.

وهو يشبه كنيسة المسيح بـ«فلك نوح»، الذي لم يُنجِ أحد خارجه. وهناك تشبيهات أخرى، إلا أن تشبيهه المفضل - وقد ورد أكثر من ثلاثة مرات - هو «الأم» التي تجمع كل أولادها في عائلة واحدة كبيرة، وهي سعيدة إذ تجتمع في أحضانها شعباً هو جسدًا واحد وفكراً واحد. والذي يفصل نفسه عن رحمها عليه أن يُعد نفسه هالكاً.

وقد كتب ق. كرييانويس «وحدة الكنيسة» وكثيراً من رسائله دفاعاً عن الوحدة الكنيسة وهو يرى أن تضامن الكنيسة في أنحاء العالم يقوم بدوره على أساس تضامن الأمانة. الذين يُونفون

مجلساً. والكنيسة تتالف من الأسقف والإكليرicos وكل المؤمنين. والتي يرتبط أعضاؤها المختلفين بعضهم بعضاً بناموس الحبوبة والتالفة، وهكذا تصبح الكنيسة عالمية في جسد واحد. والكنيسة الجامعة الواحدة، لم تنقسم ولكنها مربطة حقاً وموحدة بترتبط كهنتها، الذين يثبتون أعضاءها فيtrapطون معاً.

## ٢- المعمودية:

يرفض ق. كبريانوس المعمودية التي يقوم بها الهرطقة ويعتبرها غير صحيحة. وهو بذلك يتفق في الرأي مع ترليان. أما فيما يتعلق بعمودية الأطفال فإن للقديس كبريانوس رأياً مخالفًا لترليان. إذ بينما يرى ترليان ضرورة تأجيل المعمودية حتى يكبر الأطفال ويستطيعوا معرفة المسيح. فإن ق. كبريانوس يرى أنه يجب أن تتم المعمودية في وقت مبكر بقدر الإمكان. وهو يرفض حتى التقليد الذي يتطلب تجاهلاً أيام بعد الميلاد. ويفسر ذلك بقوله: «لأن رحمة الله ونعمته لا يجب حجبها بالنسبة لأي مولود من بين الإنسان... فالختان الروحي، لا يجب تعويقه بختان جسدي. ويجب أن نتراجع عن إعاقة طفل، إذ أنه نظراً لولادته حديثاً فإنه لم يرتكب خطية، فيما عدا أنه إذ ولد بالجسد بحسب آدم فقد انتقلت إليه عدوى الموت القديم عند ميلاده الأول، والذي يتقدم بسهولة لهذا السبب عينه لقبول مغفرة الخطايا. وأنها بالنسبة له قد عُفرت - لا خطاياه هو بل خطايا آخر».

القديس كبريانوس - كما ترليان - يعرف معمودية أخرى أكثر غنى في النعمة، وأكثر قوة، وأكثر من معمودية الماء من حيث قيمة نتائجها، وهي معمودية الدم أو الاستشهاد. وكان ق. كبريانوس

مفتنيعاً، على غرار ترتيليان بأن الشهيد يدخل ملوكوت السموات بعد الاستشهاد مباشرة، في حين أن الآخرين عليهم انتظار حكم رب في يوم القيمة.

## ٢- التقوية،

دافع ق. كيريانوس بنحاج - فيما يتعلق بمسألة التأديب للتوبة الذي مارسته الكنيسة الأولى - ضد كل من الاتجاهين المتناقضين، ضد التساهل الذي انتشر بين رجال الدين في كنيسته، وضد الصرامة الشديدة التي اتبعها شيعة نوفاتيان في روما. ورسالته عن الجادحين وسائله الأخرى لا تشير إلى «الشطط الثاني» أىما (الشطط الأول فهو ما يعتبره البعض خطية الزنى، والشطط الثاني هو عبادة الأواثان).

ولم يشرق. كيريانوس إلى أن جحد الإيمان لا يمكن غفرانه بحسب ما اعتبرته كنيسة روما في ذلك الوقت... وإنما نجده يذكر ذلك المبدأ: «لا نستطيع أن نحرر أحداً على التوبة إذا ما انتفت ثمارها» (ف ١٧). وللتوضيح يردف قائلاً: «نحن نثق أنه لا أحد محروم من ثمار الكفاراة ورجاء السلام» (ف ٢٧). ويكون ذلك ضرباً من الاستهزاء والخداع للإخوة الفقراء أن نختهم على عمل الكفاراة، ثم تتلفي النتيجة المنطقية أي الشفاء فنقول لهم. أحزنوا واذرفوا الدموع، واندبوا حظكم ليلاً ونهاراً، واعملوا دائمًا على تطهير نفوسكم من خطاياها، غير أنه بعد كل هذا، لابد أنكم ستموتون خارج حظيرة الكنيسة... وأياً كانت الأشياء الالزمة للسلام، التي عليكم أن تفعلوها، فإن أحداً منكم لن يحصل على

هذا السلام الذي تطلبوه، هذا يشبه أن تطلب من الفلاح أن يحرّك الأرض ويفلّحها ويستخدم كل امكانياته في ذلك، ولكنك تؤكّد له أنه لن يجني من وراء ذلك محسولاً» (ف ٢٧).

كما يقول ق. كيريانوس أيضًا: «إن أولئك الذين يرون أن من يقررون فعل الخطية بعد أن اعتمدوا يمكن أن يظهروا ثانية» (ف ٢) «وأيًّا كان الخطأ الذي اقترفوه فإنه لابد وأن يمحى» (ف ١)، «لأن الله يريد أن يخلص أولئك الذين افتداهم بشمن باهظ» (ف ٢). لم يذكر ق. كيريانوس أن التماس الجاحدين للمصالحة يتناقض مع ما كان يحرّى ذلك الوقت.

إن ق. كيريانوس يرى أن التوبية العامة تتألف من ثلاثة أعمال متميزة هي بالتحديد: الاعتراف، التكفير بحسب شناعة الخطية، والمصالحة بعد إتمام ذلك.

وبحسب رأي ق. كيريانوس فإن العنصر الشخصي الذاتي، للإنسان، من عمل التوبة يأتي بغير ان الخطايا (الجاحدين ٧، الرسالة ١٣:٥٩). والعنصر الكنسي الم موضوعي للمصالحة هو «عربون الحياة» (رسالة ٥٥). لأنها تفترض مُقدماً الغفران الإلهي. ويؤكّد ق. كيريانوس على قوة الشفاء وفاعلية الأسرار لعمل المصالحة أكثر من كل سابقيه، بل أكثر من القديس أغسطينوس الذي نادى بهذا التعليم في جداله مع الدوناتيين<sup>(١)</sup>.



(١) هرطقة تذكر أن الكبحة هي حسنة المسيح بسبب وجود خطايا وضعفات الشعب.

## وحدة الكنيسة

١ - «أنتم ملح الأرض» (مت ١٣:٥) هكذا يحثنا رب، كما يوصينا أيضًا بالبساطة والوداعة، وأن تقتربن الوداعة بالحكمة، أيها الإخوة الأحباء ألا يليق بنا إذاً أن نكون ذوي بصيرة وإفراز، وأن يكون لنا القلب اليقظ لكي ندرك ونحذر من شراك العدو، ونختبر من شراء— نحن الذين لبستنا المسيح حكمة الله الآب— أن نكون معتازين للحكمة الالزمة لخلاصنا؟ إن الاضطهاد ليس هو الأمر الذي يجب أن تخشاه، ولا كل الأمور التي تهاجم علانية، لأن الخدر يصبح سهلاً عندما يكون سبب الخوف واضحاً، فالذهن حينئذ يكون مهيأً للقتال متى أعلن العدو عن نفسه. وعلى العكس من ذلك، الخشية والحرص ترداد أكثر من العدو الذي يتسلل خلسة، إذ بعد أن يخدع بمظهره، وبهذه الصورة من السلام يهاجمنا بطرق خفية، إذ له أيضاً اسم الحياة، وهو هكذا دائمًا في خداعه وحيله ومؤامراته الخفية والمظلمة التي بها يهزم الإنسان، فقد استطاع منذ بدء الخليقة أن يخدع ويتملّق بكلماته الكاذبة النفوس الساذجة مستغلًا بساطتها وعدم حذرها، وهكذا حاول أيضًا أن يجرّب رب نفسه فاقترب منه خفية، ولكن رب أدرك خداعه ورده، وطرحه أرضًا إذ عرفه ونزع عنه قناعه.

٢ - لقد كان هذا مثالاً لنا، لكي نهرب ونتجنب طريق الإنسان العتيق حتى نسير في خطى المسيح الغالب، ولا نعود بعد للسقوط مرة أخرى في فخاخ الموت بغير حذر، بل أن نعرف وندرك الخطير،

حتى نقتني الخلود الذي نلناه فعلاً. وكيف لنا أن نقتني الأبدية إن لم نحفظ وصايا المسيح تلك التي بها نستطيع أن نطرد الموت ونهزمه؟ إنَّ الرب يحثُّنا بنفسه قائلاً: «إِنْ أَرِدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظْ الْوَصَائِيَّةَ» (مت ١٩: ١٧). وأيضاً «إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ، لَا أَعُودُ إِسْمِيكُمْ عَبِيدًا بِلِ أَحْبَاءِ» (يو ١٥: ٤ و ١٥). ويَدْعُوا أَخِيرًا هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ وصاياه أقوباء وثابتين، وأنهم في أمان تام مؤسسين على الصخرة. مبنيين بشبات لا يهتز في مواجهة عواصف وأعاصير هذا العالم، وثباتهم لا يتزعزع، إذ يقول: «كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أَشْبَهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرَةِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الْأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَوَقَعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ، لَأَنَّهُ كَانَ مَؤْسِسًا عَلَى الصَّخْرَةِ» (مت ٧: ٢٤ و ٢٥). لذلك يجب علينا أن نثبت في كلماته وأن نتعلم ونعمل بكل ما علمنا به وعمله.

كيف يقول أحد أنه يؤمن باليسوع، بينما هو لا يفعل ما يأمر به المسيح؟ أو كيف ينال جعالة الإيمان، ذاك الذي لا يحيا الوصية؟ حتماً سيضل وتنال منه روح الضلال، تماماً كما تعصف الريح بالتراب وتذرئه، ولن يتقدم في طريقه نحو الخلاص، إذ أنه بحق لا يحفظ هذا الطريق.

٣ - علينا أن نأخذ حذرنا ليس فقط من الأمور الواضحة أو المعلنة، بل أيضاً من الذين يحتالون بمكر. وما هي الحيلة الأكثر خداعاً ومكرًا لهذا العدو؟ وبعد أن عُرِفَ وسُحق بمحى المسيح، وبعد أن أُشْرِقَ النُّورُ لِلأَمْمِ، لكيما يستطيع الأصم سماع النعمة الروحية، والأعمى أن يفتح عينيه لله، وأن يصير الضعيف مرّة أخرى قوياً،

وأن يجري المُقدَّم للكنيسة، وأن يصلَّى الأخرس ويُسَبِّح بأصوات واضحة نقية، وإذا رأى أن أوثانه قد هُجِّرت، وجموع المؤمنين تركت معايده - اخترع حيلة جديدة مُستخدماً الاسم المسيحي نفسه، حتى يخدع من هو غير حذر وغير حكيم؟

لقد اخترع المُرطقات والانشقاقات حتى يهدم بها الإيمان، ويفسد الحق ويُنْسِطُ الوحدة، فالذين لم يستطِعُوا أن يقيِّدُهم ويُأْسِرُهم في ظلام الطريق العتيق، يحتال عليهم ويُخْدِعُهم بضلال طريق جديد، فهو يخطف أنساً من داخل الكنيسة ذاتها، وإذا يظنوُنَّ أنَّهم قد اقتربوا بالفعل من النور، وأفلتوا من ليل العالم المظلم، يُلْقِي عليهم بظلاله من جديد، في جهلهم ولا وعيهم، يدعون ذواتهم مسيحيين، رغم أنَّهم ليسوا مع إنْجِيل المسيح ولا وصاياه، ، يظنوُنَّ أن لهم النور، بينما هم سائرون في الظلمة، حيث العدو الذي يكذب ويُخْدِعُ، ذلك العدو الذي يحسب كلمات الرسول قادر أن يغيِّر نفسه إلى شكل ملاك نور، وأن يجعل خدامه يبدون كما لو كانوا خدام البر، هؤلاء الذين لهم الليل عوض النهار، والموت عوض الخلاص، واليأس تحت دعوى الرجاء، والخيانة تحت ستار الوفاء والإخلاص، ضد المسيح تحت اسم المسيح، وبينما هم يختلقون ويزعمون أن لديهم الحق، يُفسدون الحق بخداعهم ومكرهم، وهذا ما يحدث - أيها الإخوة الأحباء - عندما لا نعود إلى ينبوع ومصدر الحق، عندما لا نطلب الرأس (أي السيد المسيح)، ولا نحفظ تعليم الأم السمائية (أي الكنيسة).

٤ - لو تناول أحد هذه الأمور بالفحص، لن تكون هناك حاجة

للمناقشات الطويلة والجادلات. فبرهان الإيمان سهل في قول موجز للحق. في قول الرب للقديس بطرس: «وأنا أقول لك أيضًا: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليهما. وأعطيك مفاتيح ملوكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات. وكل ما تخله على الأرض يكون محلولاً في السموات» (مت ۱۶:۱۸-۱۹). على صخرة الإيمان بني الرب كنيسته. وبالرغم من أن الرب وهب السلطان لكل الرسل إذ قال: «كما أرسلني الآب أرسلكم أنا، اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطایاه تُغفر له، ومن أمسكتم خطایاه أُمسكت» (انظر يو ۲۰:۲۱-۲۳)، ولكي ما يوضع هذه الوحدة أظهر هذا السلطان من حلال واحد (بطرس). وبالتالي يؤكد إن الرسل لهم نفس السلطان الذي أعطاه بطرس، فالرتبة والسلطان واحد. لكنها بدأت من واحد، حتى تظهر كنيسة المسيح على أنها واحدة.

هذه الكنيسة الواحدة يشير إليها في سفر نشيد الأناشيد قائلاً: «واحدة هي حامقي كاملتي. الوحيدة لأمها هي. عقيلة والدتها هي» (نش ۶:۹). هل يظن ذاك الذي لا يتمسك بوحدة الكنيسة ولا يحفظها إنه يتمسك بالإيمان ويحفظه؟ هل يعتقد ذاك الذي يقاوم الكنيسة ويعمل ضدها أنه في الكنيسة بينما يعلم الرسول المبارك بولس هذا الأمر ويعلن سُرّ الوحدة قائلاً: «جسد واحد، وروح واحد، كما دُعيتم أيضًا في رجاء دعوتكم الواحد. رب واحد، إيمان واحد، معنوية واحدة، إله وآب واحد للكل» (أف ۴:۶-۴).

٥- ينبغي أن تتمسك بهذه الوحدة وأن تحفظها وتدافع عنها، لاسيما نحن الأساقفة الذين نسهر على الكنيسة لكي نبرهن وثبت أن الأسقفيّة نفسها واحدة غير منقسمة. ليت لا أحد يخدع الإخوة بالكذب، ليت لا أحد يفسد الإيمان بالخداع والماوغة، فالأسقفيّة واحدة، ترتبط أجزاؤها سوياً كل واحد من أجل الكل، والكنيسة واحدة هي، لكن خصوصيتها يجعلها متعددة، كمثل أشعة الشمس المتعددة بينما نورها واحد، وكمثل أغصان الشجرة المتعددة لكن ساقها واحد، وقوتها مؤسسة في الجذر المتن. لذلك فهي واحدة. أو كمثل مجاري الأنهار التي تتبع من ينبع واحد الذي قد يتفرع ويتشر على قدر حجم المياه التي تستوعبها مجاريها هذه، بينما هي لا تنفصل بأي حال عن وحدة ينبعها. انزع شعاعاً واحداً من أشعة الشمس، لن يؤثر هذا على وحدة نورها، اكسر فرعاً من الشجرة، لن يعود يُثمر لك ثمراً، أو احجز أي نهر عن منبعه سيتوقف فيه جريان المياه!

كذلك الكنيسة، فهي تزخر بنور الرب، وتنشر أشعتها على كل المسكنة. وعلى الرغم من هذا الانتشار والإمتداد في كل مكان، إلا أن النور يظل واحداً. هي تمتد بأغصانها المثمرة العجيبة على كل العالم، وأنهارها الفياضة تجري هنا وهناك. لكن لها رأس واحد وينبع واحد هي الأم الواحدة، الولودة الغنية بأولادها. كلنا مولودون منها، نتغذى من لبنيها، ونحيّا بروحها.

٦- عروس المسيح لا يمكن أن تكون زانية، فهي طاهرة ونقية، إنها تعرف بيت واحد، وتحفظ بعفة طاهرة قداسة المضطجع الواحد.

إنها تحفظنا الله، وتعين أبناءها الذين ولدتهم للملوك، من ينفصل عن الكنيسة ويرتبط بزانية يفصل نفسه عن وعود الكنيسة، وكل من ترك كنيسة المسيح لن ينال مكافآت وجعلات المسيح، إنه غريب، إنه مُدنس، إنه عدو، من لا تكون الكنيسة له أَمَا لَا يكون الله له أَبًا، فإن كان في إمكان أحد أن ينجو من الطوفان خارج الفلك، لاستطاع أن ينجو من الموت خارج الكنيسة. إن الرب يحذر قائلاً: «مَنْ لِيْسْ مَعِيْ فَهُوَ عَلَيْيَ، وَمَنْ لَا يَجْمِعُ مَعِيْ فَهُوَ يَفْرَقُ» (مت ١٢: ٣٠). فالذى يكسر سلام ووفاق المسيح، يعمل ضد المسيح، ومن يجمع في أي موضع آخر لغير الكنيسة ينعد كنيسة المسيح، يقول الرب «أَنَا وَالْأَبُ وَاحِدٌ» (يو ١٠: ٣٠). وأيضاً مكتوب عن الله الآب والابن والروح القدس «هُؤُلَاءِ الْثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ» (يو ٧: ٥).

هل من المعقول أن الوحدة التي أسسها الله بقوته وختمتها بأسراره السماوية، يمكن أن تنفص أو تضيع بسبب تنازع الآراء داخل الكنيسة؟ إن من لا يحفظ هذه الوحدة، لا يحفظ ناموس الله، ولا يحفظ الإيمان بالآب والابن، وليس له حياة أو حلاص.

٧ - «سُرُّ الْوَحْدَةِ» هذا، رباط الوفاق الذي لا ينحل، يُشَبِّه بثوب ربنا يسوع المسيح الذي - كما ذكرت الأنجليل - لم يقتسموه أو يمزقوه على الإطلاق. فقد أحذنه هؤلاء الذين ألقوا القرعة على ثياب الرب، أو بالأحرى الذين ليسوا المسيح، نالوا رداء كاملاً غير مُقسم ولا منقسم، مرّة وإلى الأبد. ويدرك الكتاب: «وَكَانَ الْقَمِيصُ بَغْيَرِ خِيَاطَةٍ، مَنْسُوجاً كُلَّهُ مِنْ فَوْقٍ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَبَعْضٍ: لَا نَشْفَعُهُ، بَلْ

نقرع ملِن يكون» (يو ١٩: ٢٣ و ٢٤)... هذا القميص يحمل معه، الوحيدة التي نزلت من فوق، أى التي نزلت من السماء والأب، والتي لا يستطيع من نالها واقتناها أن يمزقها أبداً، لقد نال كمالاً متماسكاً قوياً، لا يمكن أن يقتني قميص المسيح ذاك الذي يمزق ويُقسم كنيسة المسيح. وهناك مثال آخر، عندما انقسمت مملكة سليمان بعد موته، وعندما التقى أخيه (النبي) الشيلوني مع يربعام في الحقل، مزق النبي رداءه إلى اثنتي عشرة قطعة وقال: «خذ لنفسك عشر قطع، لأنك هكذا قال رب إله إسرائيل: هأنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط. ويكون له سبط من أجل عبدي داود ومن أجل أورشليم المدينة التي اخترتها من كل أسباط إسرائيل، لأضع اسمى فيها» (مل ١: ١١ - ٣٢، ٣٦). لذا مزق أخيه النبي رداءه من أجل انقسام الأسباط، ولكن لأن شعب المسيح لا يمكن أن ينقسم، فإن الذين أخذوا قميصه لم يقتسموه، فهو غير مُقسم، لأن رداءه كان بغير خياطة منسوجاً كله (متحد ومتصل ومتمسك)، إن هذا الرداء بعدم انقسامه يُظهر السلام والمحبة والتماسك وسط شعبنا نحن الذين ليسنا المسيح الذي أعلن وحدة كنيسته من آية رداءه.

-٨- فمن هو ذاك الشرير وعدم الإيمان؟ من هذا الذي أصابه جنون الانقسام والخلاف حتى يظن أن وحدة الله يمكن أن تنقسم؟ أو حتى لديه الجرأة ليمزقها، إنها قميص الرب، كنيسة المسيح؟ إن الرب يحذرنا في إنجيله ويعلمنا قائلاً: «وتكون رعية واحدة وراع واحد» (يو ١٠: ١٦). هل يمكن لأي إنسان أن يعتقد أنه في موضع واحد يمكن أن يوجد رعاة كثيرون أو قطعان عديدة؟ عندما تحدث

الرسول بولس عن هذه الوحدة قال: «ولكني أطلب إليكم أيها الإخوة، باسم ربنا يسوع المسيح، أن تقولوا جميعكم قولاً واحداً، ولا يكون بينكم انشقاقات، بل كونوا كاملين في فكر واحد ورأي واحد» (كورنيليوس ١٠: ١)، وفي موضع آخر يقول: «محتملين بعضكم بعضاً في الحبة. مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام» (أفسس ٤: ٣). هل تظن أنه في قدرتك أن تحيا وتثبت إذا انفصلت عن الكنيسة وبنيت لذاتك مساكن أخرى ومنازل مختلفة، بينما قيل عن راحاب التي كانت رمزاً للكنيسة «...أباك وأمك وإخوتك وسائر بيتك». فيكون أن كل من يخرج من أبواب بيتك إلى خارج، قدمه على رأسه» (يهوذا ٢: ١٩).

وأيضاً سُر الفصح في شريعة الخروج، ذاك الحمل الذي كان يُذبح كرمز للمسيح، ألم يكن يُؤكل في بيت واحد؟ يقول رب: «في بيت واحد يُؤكل. لا تُخرج من اللحم من البيت إلى خارج» (خروج ١٢: ٤٦). فلا يمكن لجسد الرب، وقدس الرب أن يُحمل خارجاً ولا أن يوجد في بيت آخر للمؤمنين إلا الكنيسة الواحدة، هذا البيت وهذه الأسرة المترابطة، يشير إليها الروح القدس في المزامير: «الله يجعل من لهم الرأي الواحد ساكنين في بيته» (انظر مزمور ٦٨: ٦). هناك في بيت الرب، في كنيسة المسيح، يسكن الذين لهم الفكر الواحد ويعيشون في محبة وسلام.

٩ - لذا فقد أُستعلن الروح القدس على شكل حمام، الحمام طائر بسيط ووديع لا يهدّد أحد، منقارها ليس قاسياً، مخالبها ليست عنيفة، تسكن بين البشر ولا تعرف إلاّ بيت واحد، أولادهم

يساؤن معهم، وحتى أثناء طيرانهم يظلّون بجوار بعضهم البعض، مُعلين من خلال حياتهم المشتركة قانون الوحدة والجماعة. هذه هي البساطة التي يجب أن تظهر في الكنيسة. وهذه هي الحبة التي ينبغي علينا أن نحفظها. ذاك هو حب الإخوة الذي يقتدى بالحمام، إن لطفهم ووداعتهم تعادل تلك التي للحملان، هذا هو المثال الذي نضعه أمام أعيننا.

ماذا تفعل شراسة الذئاب في قلب المسيحي؟ ماذا تفعل همجية الكلاب وسم الحيات المميت وقسوة الوحش الدموية؟ إنه شيء يستحق التهنئة عندما ينفصل مثل هؤلاء عن الكنيسة، لئلا يفترسوا حمام وخراف المسيح بقوتهم وعداهم المملوء بالسم، إن المارة لا يمكن أن تتفق أو تجتمع مع العذوبة، ولا الظلمة مع النور، ولا الجو المطر مع الجو الصحو، ولا الخصم مع السلام، ولا الجفاف مع اليابس، ولا العاصفة مع المدوء. ليت لا أحد يظن أن الصلاح يمكن أن يترك الكنيسة، فالرياح لا تذري الحنطة، والأعاصير لا تقلع الشجرة العميقه الجذور. فالذي تذرره الرياح هو التبن، والأعاصير إنما تنزع الشجرة الضعيفة. والرسول يوحنا يدين هؤلاء بشدة عندما يقول: «منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا» (يو ٢: ١٩).

١٠ - كثيراً ما ظهرت هرطقات ولا تزال في الظهور، فالذهن الفاسد هو فكر منقسم على ذاته عدم الإيمان، لا سلام له، لا يحفظ الوحدة، وإن كان الرب قد سمح بوجود مثل هذه الأمور، فهذا لكي

يظل الاختيار منوط بالإرادة الحرة للإنسان، ويكون معيار الحق هو فاحص القلوب والأذهان، حتى يكون الإيمان الصحيح لهؤلاء المزكين ظاهراً بوضوح. والروح القدس يخدرنا على فم الرسول قائلاً «لابد أن يكون بينكم بدع أيضاً، ليكون المذكور ظاهرين بينكم» (كواكب ١٩:١١). هكذا يتذكر المؤمنون، وينكشف الغاشين، قبل مجيء يوم الدينونة. هنا على الأرض، يتم الفصل بين الأبرار والأشرار، بين التبن والخنطة. هؤلاء الأشرار من تلقاء أنفسهم يقيمون أساقفة بدون أي تسلیم رسولي، ويتخذون لأنفسهم اسم «أسقف» رغم أن أحداً لم يقيمه للأسفية، هؤلاء الذين يشير إليهم الروح القدس في سفر المزامير، كمن هم جالسين على كرسي الطاعون والأوبئة، خادعين بلسان الحياة، بارعين في تحريف الحق. ينشرون سعوماً قاتلة من ألسنتهم المهلكة، أحاديثهم كالسم المميت في قلب وصدر كل من يقابلونهم.

١١ - ضد مثل هؤلاء يهتف رب، وعن هؤلاء يمنع شعبه وينادي المخطئ قائلاً: «لا تسمعوا لكلام الأنبياء (الكذبة) الذين يتباون لكم، إذ يتكلّمون برؤيا قلبهم فيشيطون عزّتهم. يقولون من يرفضون كلمة الله: يكون لكم سلام! ويقولون لكل من يسر في عناد قلبه: لا يأتي عليكم شرّ. لم أرسل الأنبياء. بل هم جرّاؤا. لم أتكلّم معهم بل هم تنبّأوا. ولو وقفوا في مجلسي لأخبروا شعبي بكلامي وردّوهم عن طريقهم الردي وعن شرّ أعمالهم» (انظر إبر ٢٣-١٦:٢٣). ومرة أخرى يشير رب إلى هؤلاء قائلاً: «تركتوني أنا ينبوع المياه الحياة، ليقروا لأنفسهم أباماً، أباماً مشقة لا تضبط ماء» (إبر ٢:١٣).

فعلى الرغم من أنه لا توجد إلا معمودية واحدة، يعتقدون أن بإمكانهم أن يُعدوا، ورغم أنهم تركوا ينبوع الحياة، يعدّون بنعمة الماء المخلص والمُعطى الحياة. إن الإنسان معهم لا يغسل بل يتسخ، ولا يتطهر من خطایاه، بل إنها تزداد وتتضاعف، هذا الميلاد الذي يدعونه لا يقدم أبناء لله بل لإبليس، فالمولود من الكذب والخداع لا ينال مواعيد الحق، ومن ولد من الغش لا نعمة له، إنهم لن ينالوا جحالة السلام، لأنهم مزقوا سلام الرب بمحنون الشقاق.

١٢ - لَيْتْ لَا أَحَدٌ يَخْدُعْ نَفْسَهُ بِتَفْسِيرِ خَاطِئٍ لِقَوْلِ الرَّبِّ: «حِيشَما اجْتَمَعَ اثْنَانُ أَوْ ثَلَاثَةَ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ» (مت ١٨: ٢٠).

يستشهد الفاسدين والمفسرون الكذبة بهذه الكلمات ويتركون ما يسوقها، يتذكرون جزء وبخت يطمرون الجزء الآخر، وكما أنهم منفصلون عن الكنيسة، كذلك هم يقطعون جزء أساسى من الآية، لأن الرب عندما تحدث إلى تلاميذه عن الوفاق والسلام قال: «أَقُول لَكُمْ أَيْضًا: إِنْ اتَّفَقْتُمْ اثْنَانُ مِنْكُمْ عَلَى الْأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَطْلَبُانِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قَبْلِ أَيِّ ذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لَأَنَّهُ حِيشَما اجْتَمَعَ اثْنَانُ أَوْ ثَلَاثَةَ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ» (مت ١٩: ٢٠ و ١٨: ٢٠). موضحاً أن الاستحابة ليست بكثرة عدد المصليين، بل بوفاق واتفاق الذين يصلون، إذ يقول: «إِنْ اتَّفَقْتُمْ اثْنَانُ مِنْكُمْ عَلَى الْأَرْضِ» وبذلك يقدم الوحدة والاتفاق أولاً، ويقدم رابطة السلام كشرط أساسى، إذ يجب علينا أن نتفق بثبات وأمانة وإخلاص، ولكن كيف يمكن الاتفاق مع ذاك الذي لا يتوافق مع جسد الكنيسة ولا مع الرابطة الأخوية؟ كيف

يمكن لاثنين أو ثلاثة أن يجتمعوا معًا باسم المسيح، بينما هم - كما هو واضح - منفصلون عن المسيح وإنجيله؟ نحن لم ننفصل عنهم بل هم الذين انفصلوا عنا، ولذلك ظهرت الهرطقات والإنشقاقات، وأقاموا لأنفسهم أماكن متعددة ومختلفة للعبادة، لقد تركوا منبع وأصل الحق. فالرب هنا كان يتحدث عن كنيسته، ومن هم في الكنيسة إذا كانوا على اتفاق، حتى وإن كانوا اثنين أو ثلاثة فقط، لو اجتمعوا بوحданية وصلوا، فإنه يمكنهم أن ينالوا ما يطلبون «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» أي أكون بين هؤلاء البسطاء المحبين للسلام، بين هؤلاء الذين يخافون الله ويحفظون وصياه، بين هؤلاء - رغم أنهم اثنان أو ثلاثة - قال أنه يكون هناك في وسطهم، كما كان وسط الثلاثة فتية في أتون النار، فلأنهم تمسكوا بالله في بساطة واتفاق وسلام، لذا أنقذهم وأحياهم وسط لهيب النار، كما كان حاضرًا بنفس الطريقة مع الرسولان (بطرس وبولس) في السجن، لأنهما كانا أنقياء الذهن ومتافقين في الفكر والوحданية، كان هو الذي فتح أبواب السجن وردهم إلى الساحة لكي يعلنوا للجميع الكلمة التي كرزوا بها بصدق وأمانة. لذا قال هذه الوصية: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠).

فالذي أقام وصنع الكنيسة لا يفصل الناس عنها، ولكنه يوبح عديم الأمانة بسبب انشقاقهم وتشويشهم، ومتداهًا السلام بين المؤمنين. إنه يكون حاضرًا وسط اثنان أو ثلاثة يصلون بذهن واحد ولا يكون حاضرًا وسط جموع كبير منقسم غير متوافق، وأن صلاة

قلة على اتفاق تعال أكثر مما تناهه تضريعات متنافرة غير متوافقة لكثيرين.

١٣ - هكذا أيضاً عندما علمنا أن نصلي أضاف قائلاً: «ومن وفقتم تصلون، فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء. لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السموات» (مر ١١: ٢٥)، وأمر ذاك الذي جاء إلى المذبح لكي يقدم الذبيحة وهو في خصومة مع أخيه، أن يذهب ويتصالح أولاً مع أخيه وبعد ذلك يعود بسلام ليقدم تقدمة لله، فالله لم ينظر إلى تقدّمات قايين، الإنسان الذي لا سلام له مع أخيه - بسبب غيرته - لا يمكن أن يكون له سلام مع الله، فأي سلام هذا، الذي يعد أنفسهم به أعداء الشركة والإخوة هؤلاء؟ أي ذبائح يظن هؤلاء - الذين يدعون أنهم كهنة - أنهم يستطيعون تقديمها والاحتفال بها؟ هل يظن الذين يجتمعون خارج كنيسة المسيح، أن المسيح يكون في وسطهم عندما يجتمعون؟!

١٤ - حتى لو استشهد هؤلاء على اسم المسيح، فلن يصلح هذا الدم إثتمهم، إن خطأ الانشقاق خطير ولا يمكن تبريره، لن تمحوه لا الآلام أو العذابات، ولا يمكن لذاك الذي ليس داخل الكنيسة أن يكون شهيداً، ولا يمكن أن ينال الملائكة من هجر تلك التي ستتحكم وتملك هناك (الكنيسة) ...

لقد أعطانا السيد المسيح سلاماً، وأوصانا أن نحي في اتفاق ووحدة وأن يكون لنا الفكر الواحد والرأي الواحد، وأن نحفظ روابط الحبة والإخوة، ومن لم يحفظ هذه الحبة الأخوية لا يمكنه أن

يُظهر نفسه على أنه شهيد. والرسول بولس يعلم بهذا ويشهد قائلاً: «إن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً. وإن أطعمت كل أموالي. وإن سلمت جسدي حتى أحترق، ولكن ليس لي محبة، فلا أنتفع شيئاً. المحبة تناهى وترفق. المحبة لا تحسد، المحبة لا تتفاخر، ولا تتفاخر، ولا تقبّح، ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحتجّ، ولا تظن السوء، ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق، وتحتمل كل شيء، وتصدق كل شيء، وترجو كل شيء، وتصر على كل شيء. المحبة لا تسقط أبداً» (كوهن ١٣: ٨-٢).

إنه يقول: «المحبة لا تسقط أبداً» لأنّها ستبقى دائمًا في الملوك وستبقى إلى الأبد وسوف تثبت دومًا في وحدة الإخوة، ولا يمكن للإنقسام أن ينال الملوك أو جعلية المسيح العليا الذي قال: «هذه هي وصيي أن تخبو بعضكم بعضاً كما أحببتيكم» (يوحنا ١٥: ١٢)، ولا يمكن لذاك الذي انتهك ودنس محبة المسيح بانشقاقه العدم الإيمان أن ينال ج تعالات المسيح، الذي ليست له محبة، ليس له الله، كما يقول يوحنا الرسول الطرباوي «الله محبة، ومن يثبت في المحبة، يثبت في الله والله فيه» (يوحنا ٤: 1٦). فلا يمكن لهؤلاء الذين ليس لهم الفكر الواحد في كنيسة الله أن يسكنوا مع الله أو يتحدون به، حتى ولو سلموا ذواتهم للنار واللهيب، وبذلوا حياتهم عندما يُلقون للحيوانات المفترسة، إلا أن ذلك كلّه لن يكون له نصيب في إكليل الإيمان، بل ينال عقاب الخيانة والانشقاق، ولا نهاية مجيدة لشجاعتهم بل هلاك اليأس، مثل هذا الإنسان يمكن أن يستشهد ولكن لا يمكن أبداً أن يُكلّ، كإبليس الذي كثيراً ما يدعى كذباً أنه هو المسيح، هكذا هذا الإنسان الذي

يعرف أنه مسيحي، مع أن الرب سبق فحذرنا من هؤلاء: «فإن كثيرون سيأتون باسمي قائلين: إني أنا هو! وبضُلُونَ كثيرون» (مر ١٣: ٦). فذاك الذي لا يثبت في حق الإنجيل والإيمان، لا يمكن أن يكون مسيحيًا.

١٥ - إن النبوة وإنخراج الشياطين وعمل المعجزات العظيمة على الأرض بالتأكيد شيء فائق ومثير للإعجاب، ولكن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى الملكوت - حتى وإن كان يصنع هذا كله - ما لم يتخذ الطريق المستقيم والصحيح، فالرب يحذر ويقول: «كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب، يارب! أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرح لهم: إني لم أعرفكم قط! اذهبوا عنّي يا فاعلي الإثم!» (مت ٧: ٢٢).

فالبر لازم وضروري لكي يكون الإنسان جديراً بمعاهدة الرب العدّيـان العادل، يجب علينا أن نطيع وصاياه وتحذيراته حتى تناـلـ أفعالنا الحسنة مكافأته، والرب في إنجيله أوضح لنا ذلك في قولـ موجـزـ: «الرب إـلـهـنـاـ ربـ وـاحـدـ. وـتـحـبـ الـرـبـ إـلـهـكـ مـنـ كـلـ قـلـبـكـ، وـمـنـ كـلـ فـكـرـكـ، وـمـنـ كـلـ قـدـرـتكـ. هـذـهـ هـيـ الـوـصـيـةـ الـأـوـلـىـ. وـثـانـيـةـ مـثـلـهـ هـيـ: تـحـبـ قـرـيبـكـ كـنـفـسـكـ... بـهـاتـينـ الـوـصـيـعـينـ يـتـعلـقـ النـامـوسـ كـلـهـ وـالـأـنـبـيـاءـ» (مر ١٢: ٢٩-٣١، مت ٢٢: ٣٧-٤٠). وفي نفس الوقت عـلـمـ من خـالـلـ تـعـالـيمـ الـوـحـدـةـ وـالـحـبـةـ، وـجـمـعـ النـامـوسـ وـالـأـنـبـيـاءـ فيـ وـصـيـتـيـنـ، وـلـكـنـ آيـةـ وـحدـةـ هـذـهـ الـقـيـمـ يـحـفـظـهـاـ وـأـيـةـ حـبـةـ يـرـاعـيهـاـ. ذـاكـ الـذـيـ يـقـسـمـ الـكـنـيـسـةـ وـيـدـمـرـ الـإـيمـانـ، وـيـزـعـجـ السـلـامـ، وـيـدـدـ الـحـبـةـ وـيـدـنـسـ الـأـسـرـارـ!

٦٦ - أيها الإخوة الأتقياء، لقد بدأ هذا الشرّ منذ أمد بعيد، ولكن الأثر المدمر لهذا الشرّ قد تزايد واستشرى، فبدأ وباء المرضقات والانشقاقات ينتشر من جديد، هكذا سيكون في نهاية العالم، لأن الروح القدس يخبرنا ويحذرنا قائلاً: «ولكن اعلم هذا أنه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة، لأن الناس يكونون محبيّن لأنفسهم، محبيّن للمال، متعظّمين، مستكرين، مجدفين، غير طائعين لوالديهم، غير شاكرين، دُكّسين، بلا حنّو، بلا رضي، ثالبين<sup>(١)</sup>، عديمي التزاهة، شرسين، غير محبيّن للصلاح، خائين، مُقتحمين، مُتسلّفين، محبيّن للذّات دون محبة الله؛ لهم صورة التقوى، ولكنهم مُنكرون قوتها. فأعراض عن هؤلاء. فإنه من هؤلاء هم الذين يدخلون البيوت، ويسُبُّون نسّيات<sup>(٢)</sup> محملات خطايا، فُنساقات بشهوات مختلفة. يتعلّمن في كل حين، ولا يستطيعون أن يُقبلن إلى معرفة الحق أبداً. وكما قاوم يُسّيس ومبريس موسى، كذلك هؤلاء أيضًا يقاومون الحق. آناس فاسدة أذهانهم، ومن جهة الإيمان مرفوضون. لكنهم لا يتقدّمون أكثر، لأن حُمقهم سيكون واضحًا للجميع، كما كان حُمق ذينك أيضًا» (٢٣: ٩-١).

وقد تحقّق كل ما تنبأ عنه، وإذا تقترب نهاية العالم، فإنها تأتي من أجل اختبار الناس والأزمنة على السواء، وإذا يهاجم العدو بعنف يزداد الضلال أكثر وأكثر وترفع الحماقة رأسها، والحسد يُلهمب، والشهوة تعمّي، وعدم التقوى يسود، والغرور والكبراء ينفع، والانشقاق يجلب سخطًا، والغضب يُنشيء تهورًا.

(١) ثالبين: يتحدّثون عن الآخرين بالشّر في غيابهم.

(٢) نسّيات: نساء صغيرات.

١٧ - لَيْتَ عَدْمُ التَّقْوِيَّةِ وَعَدْمُ الإِيمَانِ الَّذِي لَدِيِّ الْكَثِيرِينَ لَا يَرْعَجُنَا أَوْ يُشِيرُنَا، بَلْ بِالْأَحْرَى لَيْتَهُ يَقُوِّي إِيمَانَنَا فِي مَلَءِ الْحَقِّ الَّذِي سَبَقَ فَأَخْبَرَنَا بِهَذِهِ الْأَمْوَارِ، إِذْ أَنَّ الْبَعْضَ قَدْ صَارُوا هَكُذَا، لِذَلِكَ لَيْتَ الْإِخْوَةُ الْآخَرُونَ يَخْذُلُونَ مِنَ الْأَمْوَارِ الْمُشَابِهَةِ لِهَذِهِ، لَأَنَّا قَدْ أَخْبَرَنَا مُسْبِقًا عَنْ هَذِهِ الْأَمْوَارِ. كَمَا عَلِمْنَا الرَّبَّ قَائِلًا: «فَانظُرُوا أَنْتُمْ، هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ» (مُر٣:٢٣). أَتُوَسِّلُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَتَجَنَّبُوا مِثْلَ هُؤُلَاءِ وَلَا تَصْغُرُوا لِأَحَادِيثِهِمْ، إِنَّهَا تَحْمِلُ سَمَّ الْمَوْتِ كَمَا هُوَ مُكْتَوَّبٌ: «سَيِّعَ أَذْنِيكَ بِالْأَشْوَاكِ، وَلَا تَصْغِي لِلسانِ خَيْثٍ» (بَنْ سِرَاخ٤:٢٨)، وَأَيْضًا «الْمَاعِشَاتُ الرَّدِئَةُ تَفْسِدُ الْأَخْلَاقَ الْجَيْدَةَ» (كُوك١٥:٣٣). وَالرَّبُّ يَعْلَمُنَا أَنْ نَبْتَعِدَ عَنْ مِثْلِ هُؤُلَاءِ فَيَقُولُ «هُمْ عُمَيَانٌ قَادِهُ عُمَيَانٌ. وَإِنْ كَانَ أَعْمَى يَقُودُ أَعْمَى يَسْقُطُ كَلَاهُمَا فِي حَفْرَةٍ» (مُت١٥:١٤). مِثْلُ هَذَا إِلَّا إِنْسَانٌ يَنْبَغِي أَنْ نَبْتَعِدَ عَنْهُ وَنَتَجَنَّبَهُ - أَيًّا كَانَ - طَالِمًا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الْكَنِيْسَةِ، مِثْلُ هَذَا أَخْطَأَ وَأَدَانَ نَفْسَهُ، فَذَلِكَ الَّذِي يَقاومُ كَهْنَةَ الْمَسِيحِ وَيَفْصِلُ نَفْسَهُ عَنْ شَرِّكَةِ إِكْلِيْرُوسِ الْمَسِيحِ أَيْضًا أَنَّهُ لِهِ الْمَسِيحُ؟ ذَلِكَ الَّذِي يَتَسَلَّحُ ضِدَّ الْكَنِيْسَةِ وَيَحَارِبُ تَدْبِيرَ اللَّهِ، إِنَّهُ عَدُوُّ الْمَذْبِحِ وَمُتَمَرِّدٌ عَلَى ذِيْبِحَةِ الْمَسِيحِ، وَجَاهِدٌ لِلْإِيمَانِ، عَبْدٌ عَاصِيٌّ، ابْنٌ عَاقٌ، أَخٌ مَعَادٌ، يَزْدَرِيُّ بِالْأَسْاقِفَةِ وَيَهْجُرُ كَهْنَةَ اللَّهِ، لَذَا يَتَحَاسِرُ عَلَى أَنْ يُقْيِيمَ مَذْبِحًا آخَرَ، وَيَرْفَعَ صَلَةً أُخْرَى غَيْرَ قَانُونِيَّةٍ، إِنَّهُ يَدْنِسُ تَقْدِيمَ الرَّبِّ بِذَبَابَحٍ كَاذِبَةٍ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يُقاومُ اخْتِيَارَ وَتَعْيِينِ الرَّبِّ، وَلَا يَحْلُّ تَهْوِرُهُ وَانْدِفَاعُهُ سُوفَ يَنَالُهُ الْعَقَابُ الْإِلَهِيِّ.

١٨ - هَكُذا نَالَ قُورَحُ وَدَاثَانُ وَأَبِرَامَ الَّذِينَ حَاوَلُوا إِغْتِصَابَ حَقِّ تَقْدِيمِ الذِّيْبِحَةِ، مُقاوِمِيْنَ مُوسَى وَهَارُونَ الْكَاهِنِ، فَنَالُوا فِي

الحال عقوبة جسارتهم، إذ انشقت الأرض وفتحت فاها وابتلت  
كل الأحياء الواقفين منهم ولم يتوقف غضب الله عند من قادوا  
الفتنة، بل خرجت أيضًا نار من عند الرب وأكلت المائتين  
والخمسين رجلاً الآخرين الذين شاركوا في هذا الجنون، والذين  
انضموا إليهم في حماقتهم، كل هذا بلا شك حتى نتعلم أن كل ما  
سعى إليه هؤلاء الرجال الأشرار، لإفساد قصد و اختيار الله، كان  
مقاومة لله (انظر عد ١٦ و ٢٥: ٢٦)، وهكذا أيضًا عزيًا الملك عندما  
قدم بخورًا وادعى لنفسه بالقوة حق تقديم الذبيحة مخالفًا شريعة  
الرب، مع أن عزاريَا الكاهن قاومه، لكنه لم يذعن ولم يطيع، فضربه  
الغضب الإلهي وأصاب جبهته بالبرص. لقد ضربه الرب بعلامة في  
هذا الموضع من جسده الذي فيه يُختتم من يستحقون التكريم من  
الرب. وأيضاً ابني هارون اللذين وضعوا نارًا غريبة على المذبح لم يأمر  
بها الرب، خرجت نار من عند الرب، وأكلتهم فماتا في الحال.

١٩ - هؤلاء (أي المبدعون والمنشقين) يقتدون بلاشك بهذه  
الأمثلة، هؤلاء الذين يزدرون بتقليد (تسليم) الله ويسعون وراء  
تعاليم غريبة ويقدمون تعاليم بشرية، هؤلاء يوبحنهم الرب في إنجيله  
قائلًا: «ترکم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس» (مر ٧: ٨). إنها  
خطية أردا من تلك التي يسقط فيها من جحدوا الإيمان، الذين برغم  
جحودهم، عندما يتوبون عن خططيتهم يتضرّعون لله بندم كامل، إذ  
أنّهم يسعون وراء الكنيسة ويستعطفونها، بينما هناك يقاومون  
الكنيسة، ذاك ربما كان سقوطه وانكاره عن ضعف أو قهر، أمّا هنا  
فيتركب الشر بارادة حرّة، الذي ارتدى لا يؤذى سوى ذاته، أمّا من

يسعى للبدع أو الانشقاق فإنه يخدع ويُضلّ كثيرين بأن يجذبهم خارجاً، في الحالة الأولى خسارة نفس واحدة، وفي الثانية خسارة نفوس كثيرة، الأول يعيّ ويعرف إنه أخطأ وينوح ويندم على خططيته، أمّا الآخر - فهو مغدور ومتغّرّب في قلبه وراضياً عن جريئته - يفصل أبناء عن أمّهم، ويضلّ قطبيعاً عن راعيه، ويشوش أسرار الله. الجاحد أخطأ مرّة وحسب، أمّا الآخر فيخطئ كل يوم، أخيراً الجاحد إن استشهد بعد توبته ينال مواعيد الملائكة، بينما الآخر فحتى لو ذُبح خارج الكنيسة لا يمكن أن ينال ج تعالات الكنيسة.

٢٠ - أيها الإخوة الأحباء، ليت لا أحد يتعجب، أنه حتى بعض المُعترفين يسقطون في هذه الهاوية، وإن كان البعض منهم أخطأ بصورة مخزية، إن الإعتراف<sup>(١)</sup> لا يهُب الإنسان حصانة من فخاخ الشيطان ومن التجارب، وإلاً ما كنا رأينا في بعض هؤلاء المُعترفين - هذه الآثام والزنى والخطايا - التي نراها الآن بحزن وأنين في البعض منهم، وأيّاً كان المُعترف فإنه لن يكون أفضل ولا أعظم ولا أقرب إلى الرب من الملك سليمان، الذي طالما كان يسير في طرق الرب، كان يحفظ النعمة التي نالها، إلا إِنَّه عندما ترك الطريق فقد هذه النعمة، لذا كتب: «قسك بما عندك لقلا يأخذ أحد إِكليلك» (رؤ١١:٣)، وما كان الرب يحذر بأن إِكليل البرّ يمكن أن يُنسَعَ، إذ لم يكن في فقدان البرّ خسارة لِإِكليل.

٢١ - الاعتراف هو بداية المجد وليس استحقاق الإِكليل، به

(١) الإعتراف هنا المقصود به الشهادة للمسير وقت الاضطهاد.

يبدأ محدثنا لكن به لا يكمل مدحه، إذ أنه مكتوب: «الذى يصبر إلى المنتهاء فهذا يخلص» (مت ١٠: ٢٢)، فكل ما يحدث قبل النهاية هو خطوة بها نصعد لنزال الخلاص، ولكنه ليس المنتهاء بعد حيث نزال جحالة الصعود. نعم هو معترف، لكن الخطأ أعظم بعد الإعتراف، فالعدو يكون أكثر حنقاً وغيظاً، إنه معترف، لذا يجب عليه بالأكثر أن يحبنا حسب الإنجيل، لأن به نزال الجسد من الرب.

«من أعطي كثيراً يُطلب منه كثير» (لو ٤: ٤٨)، ومن يودعونه كرامة أكثر مُطالب بخدمة أكثر، ليت لا أحد يغش من خلال مثال المعترف (الذى سقط والحرف عن طريق الخلاص). ليت لا أحد يتعلم الظلم، ليت لا أحد يتعلم الخيانة والانشقاق، ليت لا أحد يتعلم الغرور والكبرياء، نعم هو معترف، إذاً يجب أن يكون متواضعاً وهادئاً وعفيفاً في كل أعماله، فذاك الذي يُدعى «معترف باليسوع» عليه أن يقتدي باليسوع الذي يعترف به، فإن كان الرب يسوع يقول: «كل من يرفع نفسه يتضع، وكل من يضع نفسه يرتفع» (لو ١٨: ١٤)، فمع أنه هو الكلمة وقوه وحكمة الله الآب، إلا أنه وضع ذاته، فكيف يمكنه أن يحب الغرور والكبرياء، وهو الذي علمنا الاتضاع، وهو الذي أعطى اسمًا فوق كل اسم من الآب مكافأة له على اتضاعه؟

المعترف لا يكون معترفاً حقاً باليسوع إلا إذا لم يجده فيما بعد على عظمة وبجد وكرامة المسيح. فلا تدع الفم الذي اعترف باليسوع ينطق بالشرّ، لا تدعه أن يكون مثيراً للقلق والإنتقامات، لا تدعه بعد أن نطق كلمات التسبيح أن يقذف سوء الحيات ضد

الإخوة وضد كهنة الله. فأى معتبر أضع اعترافه بكلام وأحاديث شريرة، أو دنس حياته في آثام مخزية، أو انفصل عن الكنيسة، وسعى إلى تمزيق رباط الوحدة، وتحول عن الإيمان، سوف يكون مستحقاً لللوم والإدانة، فلا يظن أحد أو يخدع نفسه إنه بسبب اعترافه صار مختاراً لجحالة الله، بل أنه بسبب هذه الحقيقة يُزيد من استحقاقه للعقاب.

٤٢ - لقد اختار الرب يهودا بين الرسل ولكنها فيما بعد خان المسيح وسلمه، ومع هذا لم يتزعزع إيمان وثبات الرسل، لأن يهودا الخائن ارتد عن شركتهم. كذلك أيضاً الحال في وضعنا هذا، فقداسة وكرامة هؤلاء المعتبرين لا ينال منها شيئاً بسبب فساد إيمان البعض منهم، فالرسول الطوباوي بولس يتحدث في رسالته قائلاً: «ماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء؟ أفعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله؟ حاشا! بل ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً» (روم ٣: ٤-٥).

لأن القسم الأكبر والأفضل من هؤلاء المعتبرين يقف صامداً في قوّة إيمانه وأمانته في شريعة الرب وتعاليمه، وغير منفصلين عن سلام الكنيسة، هؤلاء الذين يتذكرون أنهم نالوا نعمة في الكنيسة بتعطفات الله ومراحمه الجزيلة، وبعملهم هذا ينالون مدحًا أعظم لأمانتهم، إذ ابتعدوا عن ضلاله هؤلاء الذين اشتركوا معهم في الاعتراف، وابتعدوا عن موت الخطية. إذ أنهم استثاروا بنور الإنجيل الحقيقي، وبهاء الرب أشرق عليهم، لذا صاروا جديرين بالمدح من أجل حفظهم سلام المسيح، كما كانوا مستحقين للمدح في إنتصارهم في الصراع مع الشيطان.

٢٣ - أتمنى أيها الإخوة الأحباء، وأتوسل ألا يهلك أحد من الإخوة، إن الأم الفرحة تضم في حضنها كيان واحد لشعب متعدد، لكن حتى وإن كانت هذه النصيحة عاجزة عن أن ترد إلى طريق الخلاص بعض قادة الانشقاقات ومدبرى القلاقل والفتن، الذين يحيون ويصررون على عماهم وجنونهم لمقاومة طريق الخلاص، فانتبهوا أنتم الذين أخذتم أو خذلتم بسبب بساطة البعض منكم، أو كنتم مخدوعين ببعض حيل المضاد، فحرروا ذواتكم من فخاخ الخداع، وحرروا خطواتكم من الضلال، اعلموا الطريق الحقيقي المستقيم وتشهدوا كلمات الرسول التي تقول: «نوصيكم أيها الإخوة، باسم ربنا يسوع المسيح، أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب، وليس حسب التعليم الذي أخذته منا» (تس٢:٦)، وأيضاً: «لا يغركم أحد بكلام باطل، لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء العصية. فلا تكونوا شركاء لهم» (أف٥:٧ و ٦). لذا يجب أن نبتعد، بل نهرب، من هؤلاء الذين ضلوا، لئلا ينساق إليهم أحد ويضلّ هو أيضاً عن الطريق الصحيح ويوجد مُدانًا.

الله واحد، والمسيح واحد، والكنيسة واحدة، والإيمان واحد، والشعب المسيحي واحد، متماسك معًا برباط «الوفاق» داخل الجسد الواحد. فلا يمكن أن تنقسم الوحدة، ولا يمكن أن يُقسّم الجسد بتميز أعضائه، ولا عن طريق الانقسامات. كل من خرج من رحم الكنيسة لا يمكنه أن يحيا أو يتنفس وهو منفصل عنها، لأنه عندئذ يفقد جوهر الحياة.

٤٢ - إن الروح القدس يحدّرنا قائلًا: «من هو الإنسان الذي يهوى الحياة، ويحب كثرة الأيام ليرى خيراً؟ صُنْ لسانك عن الشر، وشفتّيك عن التكلّم بالغشّ. حِدْ عن الشرّ، واصنع الخير. اطلب السّلام واسع وراءها» (مز ١٢: ٣٤-١٤). فابن السّلام ينبغي أن يطلب السّلام ويسعى في إثره، وذاك الذي يعرف ويحب رابطة الحبّة، يجب أن يصون لسانه عن شر الانقسامات.

عندما اقترب الرب من آلامه كان من بين وصاياه وتعاليمه، ذلك القول: «سَلَامًا أُتُركُ لَكُمْ سَلَامٌ أُعْطِيْكُمْ» (يو ١٤: ٢٧). إنه أعطانا هذا الميراث ووعدنا بأن نتّال كل العطايا والجعارات التي تحدث عنها إذا حفظنا السّلام، وإن كنا وارثين مع المسيح، فلنبقى في سلام مع المسيح، وإن كنا أبناء الله يجب أن تكون صانعي سلام، لأنّه قال «طوبى لصانعي السّلام، لأنّهم أبناء الله يدعون» (مت ٥: ٩). فيجب على أبناء الله صانعي السّلام أن يكونوا شفوقين، بسطاء، متفقين في الحبّة، مرتبطين بعضهم البعض برباط الوحدانية.

٤٥ - لقد كانت وحدة الفكر موجودة بين الرّسل، لذلك فإن المؤمنين الجدد الذين آمنوا بالمسيح كانوا يحفظون وصايا الرب، لذلك حفظوا محبته، والكتاب المقدس يقدم الدليل على هذا: «وكان جمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة» (أع ٤: ٣٢). وفي موضع آخر نقرأ: «كُلُّهُمْ كَانُوا يُواظِّبونَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْمُطَلَّبَةِ، مَعَ النِّسَاءِ وَمَرِيمَ أُمِّ يَسُوعَ، وَمَعَ إِخْوَتِهِ» (أع ١٤: ١). ولذلك سمعت صواتهم واستطاعوا بثقة أن ينالوا ما أرادوه من سخاء الله.

٤٦ - إن وحدة القلب يتابها الضعف كلما هبط سحاورنا في الأعمال الصالحة. فالمسيحيون الأوائل باعوا بيوتهم وأراضيهم حتى يكتنروا لهم كنوزاً في السماء، ثم أعطوا أثمانها التي جمعوها للرسل من أجل حاجة الفقراء (أع:٤٥:٢٤). ولتكنا الآن لا نعطي حتى ولا العشور مما نملك. وبينما أوصانا الرب أن نبيع، نجد أننا نشتري ونزيد من مقتنياتنا. لذلك ضعفت قوة الأمانة لله فينا والقدرة على الإيمان. من أجل ذلك إذ سبق الرب ورأى أيامنا هذه قال في إنجيله: «مَتَى جَاء ابْنُ النَّاسِ، يَجِدُ الْإِيمَانَ عَلَى الْأَرْضِ» (لو:٨:١٨). وهذا قد حدث ما سبق وأخبرنا به. لا توجد مخافة الله، ولا شريعة البر والحب في العمل، لا أحد يفكر في يوم الدينونة، لا أحد يضع في قلبه يوم الرب أو عقاب غير المؤمنين في الدهر الآتي، وهذا ما كان يجب عليه أن يخشاه لو كان مؤمناً، أمّا الذي لا يخاف ولا يخشى فهو ليس مؤمناً على الإطلاق. لأن المؤمن سيحذر، وإن فعل هذا سينجو من العقاب.

٤٧ - لنستنهض قلوبنا بكل ما في وسعنا من جهد، أيها الإخوة الأحباء، ولننهض من نعاس غفلتنا الماضي، ليت كل أحد منا يسهر على حفظ وتميم وصايا الرب. لتنشيه بأولئك الذين قال لهم: «لتكن أحقاركم منطقة وسرجكم موقدة، وأنتم مثل أناس يتظرون سيدهم حتى يرجع من العرس، حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت طبقي لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين» (لو:٣٥:١٢-٣٧). ينبغي أن تكون قائمين مستعدين وأصحابنا منطقة، لئلا عندما يأتي يوم انطلاقنا تُوجَد مربوطين ومثقلين بما

يعوقنا عن التأهُب والاستعداد.

لَيْت مصايبِحنا تضيء بالأعمال الصالحة، ويتألق نورها بوضوح،  
حتى لا يخرج من ليل هذا العالم إلى نهار الأبدية الساطع، ونكون مع  
المسيح مُبدع السلام، ولننتظر دوماً، باستعداد جميء ربنا المفاجئ،  
حتى عندما يقرع، يكون إيماننا يقظ مستعد، وننال من رب أجرة  
السهر. فخداع إبليس لا يمكن أن ينال منا إلا إذا كنا غافلين وننام  
عن حفظ هذه الوصايا والتحذيرات والتعاليم، فلنحفظ نفوسنا حتى  
نملّك مع المسيح في ملكته مثل العبيد الساهرين. آمين.



## الصلوة الروانية

١ - أيها الإخوة الأحباء، إن وصايا الإنحصار ما هي إلا تعليمات إلهية، هي الأساس الذي يُبني عليه رجاؤنا، والجدار الذي يستند إليه إيماننا، هي الغذاء لإبهاج القلب، والدفاتر لتوجيه مسيرتنا، والمعين لنوار الخلاص، فهي إذ ترشد الأذهان الوديعة للمؤمنين الذين على الأرض، تقودهم إلى ملوكوت السموات. فالله أراد أن يصل إلينا كلامه من خلال عبيده الأنبياء، ولكن كم تكون أعظم بكثير، تعليم ابنه، تلك التي يشهد لها - بصوته - الله الكلمة الذي كان في الأنبياء. ليس بعد يدعوا إلى تهيئة الطريق لحياته، لكنه أتى بنفسه لكي يدلّنا على الطريق ويرينا إياه، حتى نمسك بطريق الحياة، مع رب القائد والمرشد لنا، إذ قد استئننا بالنعمنة، نحن الذين كنا قبلاً تائبين في ظلال الموت كعميان، بدون تدبير.

٢ - فبحاجب نصائحه الخلاصية ووصياته الإلهية التي يرشد بها خاصته لأجل خلاصهم، أعطانا بنفسه أيضاً صورة للصلوة، وقام بإرشادنا ونصحنا بما يجب أن نصلّى لأجله. فالله الذي جبلنا لنجحيم، علّمنا بصلاحه أيضاً كيف نصلّى، ذات الصلاح الذي به تنازل ليعطي ويهب لنا كل شيء، حتى إذا ما خاطبنا الآب بهذه الصلاة وهذا التضرع الذي علّمنا الآباء إياه، يسمعنا الآب بسهولة أكثر. لقد أخبر سابقاً: «ولكن تأتي ساعة، وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للأب بالروح والحق» (يو ٤: ٢٣)، وهكذا حقق

المسيح ما قد وعد به سابقاً، إذ نحن الذين بتقدیسه إیانا نلنا الروح والحق، نستطيع بتعلیمه أن نسجد بالروح والحق.

فهل هناك صلاة يمكن أن تكون أكثر روحانية من تلك التي علمنا إیاتها السيد المسيح، الذي بواسطته أرسّل لنا الروح القدس؟ آية صلاة للأب يمكن أن تكون أكثر صدقًا من تلك التي أعطاها إیانا الآب - الذي هو الحق - لذلك فالصلاحة بخلاف ما علم به لا تكون جهل فقط، بل تكون خطية أيضاً، إذ هو نفسه قد قرر قائلاً: «رفضتم وصيّة الله لتحفظوا تقليدكم!» (مر ٧: ٩).

٣ - لذلك أيها الإخوة الأحباء - إذا صلّينا بهذه الحال، تكون الصلاة التي ترفع من شفاهنا بمثابة صلاة المخلص نفسه. إننا نصلّى كما علمنا الله ربنا، وفي صلاة المسيح نحن نقترب من الله، لعل الله الآب يتبيّن في توسّلاتنا كلمات ابنه، وليت الله الذي يسكن في قلوبنا يصير أيضاً على شفاهنا، حيث إنه هو شفيع خطايانا أمام الآب، فنحن الخطاة عندما نصلّى إنما ننطق بشفاهنا كلمات شفيعنا، الذي قال: «كل ما طلبتم من الآب يسامي يعطيكم» (يو ١٦: ٢٣). فكم بالإكثـر تكون صلاتنا فعالة في اسم الرب إذا ما كنا نطلب بنفس كلامه!

٤ - ولكن ليت صلاتنا وطلباتنا تكون بمحاباة وانسحاق، متذكرين أننا واقفون في حضرة الله وأنه يجب علينا أن نرضيه سواء بمحظهـر الجسد أو بطريقة الكلام، فكما من سمات الإنسان الذي بلا حياء أن يعمل ضجة وصخب، فهكذا على الجانب الآخر، يليق بالإنسان

المتواضع أن يصلّى بطلبات هادئة. بالإضافة إلى ذلك، فقد أمرنا رب في تعاليمه أن نصلّى في الخفاء في الأماكن المنعزلة والبعيدة عن الأنظار، في مخادعنا، لأنّه يليق بِإيماننا، أن ندرك أن الله حاضر في كلّ مكان، وأنه يسمع ويرى الكلّ وبعظامه جلاله ينفذ حتى إلى الموضع السرية والخفية، كما هو مكتوب «العلى إله من قريب، يقول رب؟ أما أملاً أنا السماوات والأرض، يقول رب؟» (إر ٢٣: ٢٤ و ٢٤: ٣) وأيضاً: «في كلّ مكان عينا رب مراقبتان الطالحين والصالحين» (أم ١: ٣)، وعندما نلتقي بالإخوة في مكان واحد ونختلف بالذبيحة الإلهية مع كاهن الله، يجب أن نراعي النظام والهدوء، فلا نتلوي صلواتنا بكلمات لا معنى لها، ولا نصح بالثرثرة والصراخ بل نستودعها الله بخشوع. فالله هو سامع للقلب لا للصوت، ومن يرى أفكار البشر لا يحتاج إلى التنبية بالصراخ، كما يُثبت لنا رب هذا بقوله: «لماذا تفكرون بالشرّ في قلوبكم؟» (مت ٩: ٤). وفي موضع آخر يقول: «فستعرف جميع الكنائس إنّها هو الفاحض الكلّي والقلوب» (رؤ ٢: ٢٣).

٥ - هذا هو ما فعلته حنة أم صموئيل، كما ورد في سفر صموئيل الأول، فهي ترسم لنا صورة من صور الكنيسة الملتزمة والمتيقظة، التي تصلّى إلى الله لا بصخب، ولكن بهدوء وتواضع، في أعماق قلبها، إنها تكلّمت بصلاة حفيّة. لكن بإيمان ظاهر، تكلّمت بقلبها لا بصوتها، لأنّها طلبت بإيمان واتقة أنّ رب هكذا يسمع، وأنّها ستثال طلبتها. والكتاب المقدس يؤكّد ذلك عندما يقول: «فإن حنة كانت تتكلّم في قلبها، وشفتها فقط تحركان، وصوتها لم يسمع» (أصم ١: ١٣). وأيضاً في المزמור: «تكلّموا في قلوبكم على

مضاجعكم، واسكتوا» (مز ٤:٤). كما يشير الروح القدس إلى تلك الأمور عينها من خلال إرميا فيقول: «فقولوا في قلوبكم لک يارب ينبغي السجود» (باروخ ٦:٥).

٦ - أيها الإخوة الأحباء، ليت الإنسان العابد ألا يجهل هذا الأسلوب الذي صلى به العشار مع الفريسي في الهيكل، فالعشار لم يرفع عينيه باحتراء نحو السماء ولا بأيادي مرفوعة بافتخار، بل لقد طلب معونة المراحم الإلهية قارعاً صدره، مُعترفاً بالخطايا الدفينة. بينما كان الفريسي فخوراً بنفسه، فاستحق العشار أن ينال التقديس أكثر من ذلك الفريسي، لأنه لم يضع رجاء خلاصه على ثقته في برّه، إذ لا يوجد من هو بلا خطية، ولكنه صلى بتواضع معترفاً بخطيته، فسمع صلاته الذي يغفر للمتضعين، وهذه الأمور يسجلها الرب في إنجيله قائلاً: «إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصلبا، واحد فريسي والآخر عشار. أما الفريسي فوقف يصلي في نفسه هكذا: اللهم أنا أشكرك أني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشار. أصوم مرتين في الأسبوع، وأعشر كل ما اقتنيه. وأما العشار فوقف من بعيد، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: اللهم ارْهني، أنا الخاطئ. أقول لكم: إن هذا نزل إلى بيته مبرراً دون ذاك، لأن كل من يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع» (لو ١٨:١٠-١٤).

٧ - أيها الإخوة الأحباء، بعد أن تعلمنا هذه الأمور من الكتب المقدسة، وعرفنا كيف ينبغي أن نتقدّم إلى الصلاة، فلتتعلّم أيضًا من رب كمعلم لنا ما يجب أن نصلّى به. أنه يقول: «فصلوا أنتم هكذا: آبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك. ليأت ملوكتك. لتكن مشيتك كما

في السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا أعطانا اليوم. واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر لمن أيضًا للمذنبين إلينا. ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير. لأن لك الملك، والقوة، والمجد، إلى الأبد. آمين» (مت ٦: ٩-١٣).

٨ - وفوق كل شيء فإن رئيس السلام ومعلم الوحدة لم يشأ أن نصلّى كل واحد بمعزل عن الآخر، أو كل واحد عن نفسه فقط. فإذا صلّى أيّ إنسان فلا ينبغي أن يصلّى من أجل نفسه فقط، لأننا لا نقول: «أبي الذي في السماوات» أو «أعطني» خبزى اليومي. ولا يسأل أحد أن تغفر له ذنوبه فقط ولا أن لا يُدخل في تجربة وينجى من الشرير، بمفرده فقط. بل أن صيغة «نحن» هي طابع الصلاة العامة، فحينما نصلّى فلسنا نصلّى عن شخص واحد بل لأجل الشعب كله، لأن الشعب كله شعب واحد. وإله السلام ورب الاتحاد الذي دعانا إلى «الاتفاق» والذي علّمنا الوحدة، أراد أنه كما حملنا جمعينا في واحد، هكذا كل واحد لابد أن يصلّى عن الجميع. إن قانون الصلاة هذا عمل به الثلاثة فتية عندما طرحوه في الآتون الم��هـ، إذ اتحدوا معًا في الصلاة وفي اتفاق الروح. وهذا ما يؤكده لنا الكتاب المقدس، وفي شرحه لنا عن كيفية صلاة هؤلاء الفتية، أعطانا مثالاً يجب أن نقتدي به في صلواتنا نحن أيضًا، حتى تكون على ما كانوا عليه إذ يقول: «حيثند سبع الثلاثة بضم واحد ومجدوا وباركوا الله» [تسبيحة الثلاثة فتية القديسين في تتمة دانيال (دا١: ٣١: ٥١)] كما من فم واحد، مع أن المسيح لم يكن قد علم بعد كيف يصلّون. وهكذا كانت صلواتهم نافعة ومقندة، لأن الصلاة البسيطة والروحية المملوءة سلامًا تستحق الإستجابة من رب.

هكذا أيضاً صلّى الرسل مع التلاميذ بعد صعود الرب فيقول عنهم الكتاب: «كلهم كانوا يواطئون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة، مع النساء، ومريم أم يسوع، ومع إخوته» (أع: ١٤). كانوا مواطئين على الصلاة بنفس واحدة، معلنين من خلال ملازمتهم ووحدانيتهم في الصلاة أنَّ الله الذي يقال عنه في المزמור: «الله مُسْكُنُ المُتَوَحِّدِينَ في بيت» (مز: ٦٨) لا يقبل في مسكنه الإلهي الأبدي - أى ملكوت السموات - إلَّا أولئك الذين ارتفعت صلاتهم نحوه بقلب واحد.

### ❖ أبانا الذي في السموات

٩ - بالإضافة إلى هذا، أيها الإخوة الأحباء، أنت حقاً تتعجب من كثرة وعظم الأمور العميقه الموجودة في الصلاة الربانية والمجتمعه في هذه الكلمات، لكنها تفيض بمعنى روحي لا ينضب، حتى إنه في هذا القول الموجز لا يفوتنا شيء من التعليم السماوي مما يجب أن تحويه طلباتنا وتوصياتنا.

ويقول لنا الرب: «صلوا أنتم هكذا أبانا الذي في السموات» فالإنسان الجديد المولود ثانية والعائد إلى إلهه بالنعمه، يبادر بقوله: أبي، لأنَّه صار ابنًا. يقول بوحنا الحبيب: «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله، وأمام كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله أي المؤمنون باسمه» (يو ١١: ١٢). لذلك، فالذي آمن باسمه وصار ابنَ الله، يجب عليه من الآن أن يقدم الشكر ويعلن بنوته لله من خلال إعلانه أنَّ الله هو أباه الذي في السموات، وعليه أيضاً أن يشهد في الكلمات الأولى ذاتها عن ميلاده الجديد، وأنه رفض الأب الأرضي

والجسدي، وبذا أيضاً لا يُعرف أباً إلا ذاك الذي في السماء كما هو مكتوب: «الذِي قَالَ عَنْ أَبِيهِ وَأَمِهِ: لَمْ أَرْهَا، وَيَاخْوِتَهُ لَمْ يَعْرَفْ، وَأَوْلَادُهُ لَمْ يَعْرَفْ، بَلْ حَفَظُوا كَلَامَكَ وَصَانُوا عَهْدَكَ» (تث ٣٣:٩). وقد أمرنا ربُّنا أيضًا في إنجيله «وَلَا تَدْعُوهُ لَكُمْ أَبَاكُمْ عَلَى الْأَرْضِ، لَأَنَّ أَبَّاكُمْ وَاحِدُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت ٢٣:٩). وأحاجٍ على التلميذ الذي طلب أن يدفن أبيه: «دَعْ الْمَوْتَى يَدْفَنُونَ مَوْتَاهُمْ» (مت ٨:٢)، لأنَّه قال أنَّ أبيه قد مات بينما أبو المؤمنين هو حي.

١٠ - أيها الإخوة الأحباء، ينبغي لنا أن ندرك ونعي أننا يجب أن ندعوه كأب سماوي، ليس هذا فحسب، ولكن يجب أن ندعوه «أبااناً» أي أب الذين يؤمّنون، أب الذين بدأوا أن يكونوا أبناء الله بعد أن قدّسهم الله وردهم إلى ما كانوا عليه من قبل الميلاد بالنعم الروحية. هذا الصوت توبیخ وإدانة لليهود، ليس لأنهم بعدم إيمان لم يكتفوا فقط برفض المسيح، ذاك الذي أعلن لهم عنه من حلال الأنبياء وأرسل هو إليهم أولاً، بل لأنهم بقساوة قضوا عليه بالموت. فهو لا يستطيعون الآن القول بأنَّ الله أبوهم، لأنَّ ربَّ يخزيهم بقوله: «أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْرَاهِيمُ، وَشَهُوَاتُ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَشْتَتْ فِي الْحَقِّ لَأَنَّهُ لَيْسَ فِيْهِ حَقٌّ» (يو ٤:٨-٤). ويعلن الله بغضب من حلال إشعيا النبي قائلاً: «رَبِّتْ بَنِينَ وَنَشَّاثِهِمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصُوا عَلَيَّ. التُّورُ يَعْرَفُ قَانِيهِ وَالْحَمَارَ مَعْلُفٌ صَاحِبُهُ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلَا يَعْرَفُ شَعِيْرًا لَا يَفْهَمُهُمْ. وَيُلِّي لِلأَمَةِ الْخَاطِئَةِ، الشَّعْبُ الشَّقِيلُ الْإِثْمُ، نَسْلُ فَاعِلِيِ الشَّرِّ، أَوْلَادُ مَفْسِدِيْنَ! تَرَكُوا رَبَّهُمْ، اسْتَهَانُوا بِقَدْوَسِ إِسْرَائِيلِ» (إش ٤:٢-٤). وفي رفضنا نحن المسيحيين لعصيان اليهود نقول نحن

المسيحيين عندما نصلى «أبانا»، لأن الله قد صار أباً لنا ولم يعد أباً لليهود الذين رفضوه. فلا يستطيع شعب خاطئ أن يكون ابنًا ولكن لقب ابنًا يُمنح لأولئك الذين نالوا غفران الخطايا، والوعد بالأبدية كما يقول رب نفسه: «إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية. والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد» (يو:٨:٣٤ و ٣٥).

١١ - يا عزيمة رفقة الرب بنا، ويا جلال نعمته ولطفه من نحونا في أن يجعلنا نصلى في حضرة الله، بل وندعوه «أبانا». وكما أن المسيح هو ابن الله، كذلك نحن أيضًا قد دُعينا أبناء وما كان أحد منا يجرؤ أن يستعمل هذه الكلمة في الصلاة لو لا أن رب نفسه قد إحتضنا بهذا.

لذلك ينبغي علينا أيها الإخوة الأحباء، أن نضع في الاعتبار أنه إذا كنا ندعوه الله أبانا، فعلينا أن نسلك كبنين الله. وإذا كنا قد رضينا بأن يكون الله أبانا فيجب أن يكون له السلطان علينا (كأب) وأن يرضي علينا (كأبناء). يليق بنا أن تكون هياكل الله، حيث يستطيع الناس ( بواسطتنا ) أن يتقابلوا مع الحضرة الإلهية، فلا ينبغي أن ننكث بسيرتنا، العهد مع الروح القدس. لقد شرعنا أن نصير سماوين وروحيين، فعلينا أن نقصد ونتمم كل ما هو سماوي وروحي. رب نفسه قال: «فإني أكرم الذين يكرموني، والذين يحتقرونني يصغرون» (أص:٢:٣٠)، والرسول المبارك أوضح هذا في رسالته: «إنكم لستم لأنفسكم؟ لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (كو:٦:١٩ و ٢٠).

## ❖ «ليتقدس اسمك»

١٢ - بعد ذلك يقول «ليتقدس اسمك» ليس أننا نطلب أن يتقدس الله من خلال صلواتنا، ولكننا نطلب منه أن يتقدس اسمه فينا. فضلاً عن ذلك بمن يقدس الله إذا كان هو ذاته الذي يُقدس؟ والإجابة على هذا السؤال هي أنه إذا كان الله يقول: «وتكونون قديسين، لأنني أنا قدوس» (لا ٤٤: ١١)، إذن فعلينا أن نسأل ونتضرع، نحن الذين تقدّسنا في المعمودية، أن نُكمّل فيما ابتدأناه من حياة القداسة، ولأجل هذا نحن نصلّى يومياً، لأننا في حاجة لتقديس يومي، حتى نغتسل من خطايانا بالتقديس المستمر نحن الذين نخطئ يومياً. والرسول يخبرنا ب Maherية ذلك التقديس الذي نناله بلطاف الله عندما يقول: «لا زناة ولا عبدة أو ثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعون ذكور، ولا سارقون ولا طماعون ولا سُكّيون ولا شامون ولا حاطفون يرثون ملوكوت الله وهكذا كان أناس منكم. لكن اغتسلتם، بل تقدّستم، بل تبرّتم باسم رب يسوع وبروح إلهنا» (كو ٩: ٦-١١). فهو يقول أننا تقدّسنا في اسم رب يسوع وبروح إلهنا. نحن نصلّى أن يثبت فيما هذا التقديس، فإذا حذر رب الديان الإنسان - الذي شفاء وأقامه - من مرضه ألا يخطئ بعد لئلا يكون له أشرّ، فنحن أيضاً نتوسل بهذه الصلوات المستمرة، ونطلب هذا نهاراً وليلًا أن ذلك التقديس أيضاً الذي بناء بنعمة الله أن يحفظ بيتنا بواسطة حمايته.

## ❖ «ليأت ملوكوك»

١٣ - يلى ذلك في الصلاة: «ليأت ملوكوك» نحن نطلب أن

يكون الملکوت حاضراً عندنا كما سبقنا وطلبنا أن يقدس اسمه فينا. ولكن كيف يكون ذلك؟ ألا يكون ذلك بأن يملك الله علينا؟ ومني يمكن أن يبدأ الله الدائم الوجود واللانهائي في أن يملك علينا؟ نحن في الواقع نصلّى طالبين إتيان الملکوت الذي وعدنا به الله، هذا الذي نلناه بدم الرب يسوع المسيح وبالآلام. قبلًا كنا عيدين أرقاء، والآن نحن مطالبون بأن نملك تحت سلطان المسيح وفي مملكته هذه التي وعدنا بها هو نفسه عندما يقول: «تعالوا يا مباركي أي رثوا الملکوت المعد لكم منذ تأسيس العالم» (مت ۲۵: ۳۴). قد يعني ملکوت الله أيضًا المسيح نفسه شخصياً، فهو الذي نناديه كل يوم، ونرحب أن يُسرع في بحثه. ليتحقق رجاءنا حيث أنه هو قيامتنا - لأننا به وفيه سنقوم من جديد - فهكذا أيضًا نستطيع أن نفهم أن المسيح هو ملکوت الله لأننا فيه وبه ستملك أيضًا.

لكتنا نفعل حسناً إذ نطلب ملکوت الله، الذي هو أيضًا ملکوت السموات، لأنه يوجد أيضًا ملکوت أرضي. ولكن الذي زهد في أمور هذا الدهر فقد ارتفع فوق كرامات هذا العالم وممالكه، لذلك فإن من كرس ذاته لله وللمسيح لا يعود يطلب مالك الأرض بل ملکوت السموات.

نحن في حاجة أن نصلّى بلا انقطاع حتى لا نفقد هذا الملکوت السماوي (بالرغم من أننا وعدنا به) كما سقط اليهود الذين كان لهم هذا الوعد أولاً وينطبق علينا ما قاله الرب: «إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكلّمون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملکوت

السموات، وأماماً بتو الملوك فُيطر حون إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت ٨: ١٢ و ١١)، يرينا رب أن اليهود كانوا سابقاً بين الملوك لما تمسكوا ببنوتهم لله، ولكن بعد أن زال اسم الآب من وسطهم، فقد زال الملوك أيضاً. لذلك فنحن المسيحيين الذين في صلاتنا قد دعونا الله «أباانا»، نصلّى أيضاً أن يأتي ملوكه إلينا وفيينا.

## ❖ «لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»

١٤ - نحن نصلّى أن تتم مشيئه الله فيما بيننا. وعندما نضيف قائلاً: لتكن مشيئتك على الأرض كما هي في السماء، ليس معنى ذلك أن يفعل الله ما يشاء، ولكن بالأحرى أن نستطيع نحن أن نفعل مشيئه الله. فمن يستطيع أن يمنع الله أن يفعل ما يشاء؟ أمّا نحن فإن عدو الخير يتربص بنا ويعوقنا عن إطاعة مشيئه الله، ويحاول أن يمنعنا، في كل شيء، بالتفكير والفعل، في كل الأمور.

فنحن نصلّى ونسأل أن تتم مشيئته فيما، ولكي ما تكمل نحتاج إلى معونته وحمايته. ذلك لأنه لا يوجد إنسان يستمد قوته من إمكانياته الذاتية، ولكنه يكون في أمان بسبب نعمة الله ورحمته. رب نفسه أبان الضعف الذي لبسه (بارادته) عندما قال: «يا أبااه، إن أمكن فلتعبر عن هذه الكأس» (مت ٣٩: ٢٦) ولكيما يعطى تلاميذه مثالاً مُبيّناً ضعف الطبيعة البشرية التي حملها في نفسه، وبريد أن يقدم مثالاً لطاليميذه حتى لا يفعلوا مشيئتهم، بل مشيئه الله، أضاف قائلاً: «ولتكن لا إرادتى بل إرادتك» (لو ٤٢: ٢٢). وفي موضع آخر يحدد

بدقة: «لَأَيْنَ قَدْ نَزَّلْتَ مِنَ السَّمَاوَاتِ، لَيْسَ لِأَعْمَلْ مُشَيْئَتِي، بَلْ مُشَيْئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يو ٦: ٣٨). فإذا كان «الابن» نفسه قد اهتم أن يعمل مشيئة «الآب»، فكم بالأحرى يجب على العبد أن يبادر بعمل مشيئة سيده! كما يحثنا القديس يوحنا في رسالته قائلاً: «لَا تَخْبُوا الْعَالَمَ وَلَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنَّ أَحَبَّ أَحَدَ الْعَالَمِ فَلِيَسْتَ فِيهِ مُحَبَّةُ الْآبِ لَأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ: شَهْوَةُ الْجَسْدِ، وَشَهْوَةُ الْعَيْنَيْنِ، وَتَعْظِيمُ الْمُعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الْآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ. وَالْعَالَمُ يَعْصِي وَشَهْوَتَهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مُشَيْئَةَ اللَّهِ فَيَشْتَهِي إِلَى الأَبَدِ» (يو ٢: ١٥-١٧). فمن أراد أن يثبت إلى الأبد فعليه أن يعمل مشيئة الله الأبدى.

١٥ - هذه هي مشيئة الله التي عملها المسيح وعلّمها: وتلك هي: تواضع السيرة، صلابة الإيمان، الوداعة في الكلام، والحكمة في التصرّف، الشفقة في المعاملات، الانضباط في الأخلاق، عدم الإضرار بأحد، احتمال الإساءة التي تأتي علينا من الآخرين، حفظ السلام مع الإخوة، محبة الله من كل القلب، تحبه لأنه أب، وتحافظ لكونه إلهاً، لا نفضل شيئاً على المسيح، لأنّه فضلنا على كل شيء، أن نكون راسخين في محبته بعهد لا ينفصّم، ثابتين تحت الصليب بشجاعة وثقة! وعندما تقوم علينا حرب من أجل اسمه أو إكرامه، فليكن لنا رباطة الجأش مقابل كل المصاعب، حتى يمكن أن نواجه حتى النهاية، والصبر حتى الموت لنفوز بالإكيليل المقدّم: هذا هو معنى الإرادة أن نكون وارثين مع المسيح، متمميين وصايا الله، عاملين مشيئة الآب.

١٦ - نحن نطلب أن تتم مشيئة الله في السماء، وكذلك على الأرض لأن كليهما يساهمان في تكميل خلاصنا. فالجسد هو من الأرض، والروح هو من السماء، فنحن إذا سماء وأرض. لذلك نصلّى أن تكون مشيئة الله في الاثنين، أى في جسمنا كما في روحنا، وحيث أنه يوجد عراك وتصادم يومي بين الاثنين اللذين يتصارعان، فنحن لا نفعل ما نريده: فالروح تطلب ما هو سمائي وإلهي، أمّا الجسد فيحرى وراء ما هو أرضي ووقي. لذلك فنحن نطلب بلجاجة أن تتدخل معونة الله وتصالح الاثنين حتى تكمل مشيئة الله في الروح وفي الجسد معاً، وتفوز النفس التي جدّدها الله بالخلاص.

وهذا ما يعلنه القديس بولس بوضوح: «لأن الجسد يشتته ضد الروح، والروح ضد الجسد، وهذا يقاوم أحدهما الآخر، حتى تفعلون ما لا تريدون.. وأعمال الجسد ظاهرة، التي هي: زنى، عهرة، نجاسة، دعارة، عبادة الأوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرها، سخط، تحزب، شفاق، بدعة، حسد، قتل، سُكر، بطر، وأمثال هذه التي أسيق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضًا: إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله. وأمّا ثغر الروح فهو: محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعية، تعفف» (غل ٥: ١٧-٢٣). من أجل هذا نحن نطلب في صلواتنا كل يوم، بل كل ساعة، أن تتم مشيئة الله بخصوصنا كما في السماء كذلك على الأرض، لأن مشيئة الله، هي أن تحل الأمور السماوية مكان الأمور الأرضية في حياتنا، وأن يكون نصيب الروح والله هو الغالب.

١٧ - أيها الإخوة الأحباء، هذه الكلمات تعنّ أيضًا شيئاً آخر: أنتم تعلمون أنّ الرب دائمًا يحثّنا أن نحبّ أعداءنا، وأن نصلّى من أجل مصطفهديننا فيجب علينا أن نصلّى من أجل هؤلاء الذين مازالوا بعد أرضين وليسوا سمايين، لكي يخضعوا هم أيضًا لمشيئة الله هذه، تلك المشيئة التي خضع لها المسيح خصوصًا كاملاً من أجل خلاص البشرية.

المسيح لم يدعو تلاميذه: «أرضاً»، بل «ملح الأرض»، والرسول يقول إنه بينما الإنسان الأول. أحذ من تراب الأرض، فإن الثاني أتى من السماء (كوهن ٤٧: ١٥)، فعلينا أن نتشبه بأبينا السماوي، الذي يشرق شمسه على الصالحين والأشرار، والذي يمنع المطر للأبرار وللظالمين، لهذا يعلّمنا المسيح أن نصلّى من أجل خلاص جميع البشر.

لكي ما تم فينا مشيئة الله، بالإيمان، نصير نحن سمايين، ثم عندما نطلب أن تتم مشيئة الله على الأرض كما هي في السماء: أعني تكمل كذلك في غير المؤمنين - الذين هم بحسب مولدهم الأول مازالوا بعد أرضين - حتى يصبحوا سمايين بميلادهم من الماء والروح.

### ❖ «أعطانا خبزنا اليومي»<sup>(١)</sup>

١٨ - ثم نتابع الصلاة قائلين: «أعطانا خبزنا اليومي

(١) في النص اليوناني للهدا الجديد ترجمت هذه الكلمة "ΕΤΤΙΟΥΣΙΟΥ" (أبيوسيون) إلى معانٍ كثيرة مثل «الجهرى والضرورى للمرجد والحياة»، «اليومى»، «الآن»، «الذى للغد»، «كافافى». وقد شرح القديس كيريانوس الآية بمعنى الخبر اليومى كما هو موضع بالنص.

هذه الطلبة يمكن أن تؤخذ بمعنىين: المعنى الأول: روحي، والمعنى الثاني: حرفي، وكل التفسيرين، بحسب تدبير العناية الإلهية، يساهمان حتماً في خلاصنا. فالمسيح هو خبز الحياة، وهذا الخبز لا يخص كل العالم، وإنما يخصنا نحن. وكما نقول: «أبانا» لأنه أب لكل من يؤمن، كذلك بالمثل نحن ندعو المسيح «خبزنا» لأن المسيح هو الخبز للذين هم متخدّين بجسده. ولكي نحصل على هذا الخبز، نحن نصلّى كل يوم (على الدوام)، فنحن الذين نحيّا في المسيح، ونتناول دائمًا سُرّ الإفخارستيا كطعام خلاصنا، لا نود أبداً أن نمتنع من الشركة المقدسة بسبب خطية قبيحة قد تحرّمنا من خبز السماء، وتفصلنا عن جسد المسيح، حسبما نادى هو نفسه وحذرنا قائلاً: «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد». والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبدله من أجل حياة العالم» (يو ۶: ۵۱). وبالتالي عندما يقول رب: من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، ليؤكد أن الذين يحيون هم الذين بمدون اليد<sup>(۱)</sup> إلى جسده، ويتناولون الإفخارستيا في الشركة المقدسة، وبناء على ذلك ينبغي علينا من جانب آخر أن نحترس ونصلّى حتى لا يبقى أحد بعيداً عن الخلاص، إذا انفصل عن جسد المسيح بسبب منعه من التناول. إن رب سبق فأنذرنا: «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم» (يو ۶: ۵۳). فنحن إذا نطلب على الدوام أن نتناول خبزنا - الذي هو المسيح - حتى نبقى أحياء في المسيح، ولا

(۱) كان التناول في الفرون الأولى يُسلم في اليد اليمنى للمتناول، حيث يضع المتناول يده اليسرى تحت السمي، ثم يتناول الأسرار إلى فمه. وقد ألغت هذه العادة واستبدلها بما هو جاري الآن.

بعد قط عن نعمته أو عن جسده.

١٩ - ويمكننا أيضاً أن نفهم هذه الطلبة على الوجه التالي: نحن قد جَحْدَنَا العَالَمُ، وبنعمتة الإيمان قد رفضنا تعماته وغواياته فنحن نطلب مجرد قُوتنا (اليومي)، لأنَّ الرب يقول: «كُلُّ وَاحِدٍ مِّنْكُمْ لَا يَتَرَكُ جَهِيعَ أَمْوَالَهُ، لَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلَمِيذًا» (لو ٤: ٣٣). فمن يبدأ أن يكون تلميذاً للمسيح ويترك كل شيء، حسب كلمة الرب، فله أن يطلب غذاء يومه فقط ولا تنتد طلبه لأبعد من هذا. والرب أيضاً قال: «فَلَا تَهْتَمُوا لِلْغَدِ، لَأَنَّ الْغَدِ يَهْتَمُ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي الْيَوْمُ شَرَهًا» (مت ٦: ٣٤).

إِذَا فَاتَتِ الْمُؤْمِنَةُ لِلْحَقِّ أَنْ يُطَالِبَ بِغُذَاءٍ يَوْمَهُ، بَيْنَمَا غَيْرُ مَسْمُوحٍ لَهُ أَنْ يَنْشُغُلَ بِالْغَدِ. بَلْ إِنَّهُ لَا يَتَوَافَّقُ أَنَّ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ مَلْكُوتَ اللَّهِ لِيَأْتِيَ سَرِيعًا، أَنَّهُمْ هُمُ أَنفُسِهِمْ يَهْتَمُونَ بِأَنْ يَطْلُبَ بِقَوْمِهِمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَالرَّسُولُ يَنْبَهُنَا إِلَى أَنَّكَيْ يُهَذِّبَ، وَيُشَدِّدَ، وَيَقُوَّى إِيمَانَنَا وَرِجَاءَنَا بِقُولِهِ: «لَاَنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّا لَا نَقْدِرُ أَنْ نُخْرِجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ. فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكُسُوةٌ، فَلَنْكُنْتُمْ بِهِمَا، وَأَمَّا الَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءً، فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِيَةٍ وَفُخٍ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَبَّيَّةٍ وَمَضَّرَّةٍ، تُغُرِّقُ النَّاسَ فِي الْعَطَبِ وَالْهَلاَكِ. لَأَنَّ مُحْبَّةَ الْمَالِ أَصْلُ لِكُلِّ الشَّرُورِ، الَّذِي إِذَا ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلَّوْا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنفُسِهِمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ» (١٢: ٦-٧).

٢٠ - المسيح يعلمنا أن محبة المال ليست فقط ردية: بل إنها أيضاً خطيرة، إنها تحوى داخلها الجذر الذي تتفرع منه جميع الشرور

المغربية الخداعة التي تضلّل النفس البشرية. إن الرب قد ردَّ على حماقة الغني الذي كان يُمْنِي نفسه بتنعمه بمعنى هذا الدهر بقوله: «يا غبي! هذه الليلة تُطلب نفسك منك، فهذه التي أعددتها لمن تكون؟» (لو ١٤: ٢٠). فالغبي الذي كان يفكّر في وفرة مخصوصه، ذاك الذي كانت حياته على وشك الإنتهاء. كان يفكّر في وفرة أرزاقه. ومقابل هذا يؤكد الرب أن الكامل هو من يبيع كل ما يملك ويوزعه على المساكين، وبهذا يكتسر لنفسه كنزًا في السماء. بل ويزيد الرب على هذا أنه يمكننا أن نقتفي آثاره وننهج سبيل آلامه الحبيبة، إذا ما أمكننا أن نتحرّر من عوائق كل المفهوم الماديّة، وإذا تخلّى عن أموالنا نقدمها الله كدليل على تقديم حياتنا نفسها له قربانًا، ولتكن يعذّنا الرب هذا يأخذ في تعليمينا المبادئ التي تقوم عليها الصلاة.

٢١ - الخبر اليومي لا يمكن أن يعزز الصديق، فقد كتب: «الرب لا يحيي نفس الصديق» (أم ١٠: ٣)، وأيضًا: «كنت فتى وقد شخت، ولم أر صديقاً تُخلّي عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزاً» (مز ٣٧: ٢٥). ثم إن الرب وعد قائلًا: «فلا تهتموا قاتلين: ماذا نأكل؟ أو ماذا نشرب؟ أو ماذا نلبس. فإن هذه كلها تطلبها الأمم. لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها. لكن اطلبوا أولاً ملکوت الله وبره، وهذه كلها ستزاد لكم» (مت ٦: ٣١-٣٣). فهو لاء الذين يطلبون ملکوت الله وبره، قد وعد بأن كل الأشياء ستزداد إلى ما يسألونه وأكثر مما يحتاجونه، فكل شيء في الحقيقة هو ملك الله، وكل من يقتني الله فلن يعوزه شيء إن كان لا يعوزهم الله نفسه. وهكذا كان دانيال وهو في الحبس، حسب أمر الملك، في جب الأسود، كان يتقبل طعامه من

الله وكان يقتات به وسط الوحش المفترسة الجائعة التي لم تمسه بأذى. كذلك إيليا بالمثل كان يُعال حلال هروبه كما كان يُعال حلال وحده عندما كان مطارداً، حيث كانت الغربان والطيور تأتي له بما يقتات به. ويَا لِلأسف ويَا لِلسُّنَّة قسوة شرّ الإنسان: الوحش المفترسة ترحم، والطيور تأتيه بالغذاء، أمّا البشر فينصبون المكائد ويتصرفون بالقسوة.

### ❖ «اغفر لنا ذنوبنا»<sup>(١)</sup>

٢٢ - بعد ذلك تتصرّع أيضًا لأجل خطاياانا قائلين: «واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا». بعد طلب قوتنا اليومي، نحن نطلب الصفح عن الخطية. لأنّ الذي يقتات من يد الله ينبغي أن تكون حياته ممتدة في الله، فلا يكون رحاوه بالحياة الحاضرة الزمنية فقط، بل أيضًا بالأبدية، تلك التي لا يمكنه أن ينهاها إلا إذا غُفرت له خطاياه، وتلك الخطايا يسمّيها الرب «ديوننا»، وحسب قول الإنجيل: «كل ذلك الدين تركه لك لأنك طلبت إلّي». (مت ٣٢: ١٨). إنه من الضرورة والحكمة، بل ونافع لنفسنا أن يذكرنا الرب بأننا خطأة، وذلك في دعوته لنا أن نطلب من أجل مغفرة خطاياانا. وهكذا تستعيد النفس وعيها بمرارة الخطية! فحتى لا يمدح أحد أفكاره ويظن في نفسه أنه بار، ويصلّ بهاً إلى افتخار المعيب، لذلك يجب أن نعرف ونعلم أننا معرضون للخطية كل يوم، وذلك عندما نُطال

(١) الأصل اليونياني لكلمة «ذنوبنا» οφειληματα (فيليمانا) ومعنى الكلمة «دييون» وهذا تناوله القديس كيريانوس في شرح الآية.

بأن نلتمس كل يوم الصفح عن خططيانا. والرسول يوحنا هو أيضًا ينبهنا في رسالته: «إن قلنا: إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا، إن اعترفنا بخططيانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خططيانا ويظهرنا من كل إثم» (يو ١: ٩ و ٨). إنه يجمع في رسالته بين أمرتين (شرط وجواب شرط): إنه في صلواتنا ينبغي علينا أن نطلب الصفح عن خططيانا، أمّا من جهة الرب، فيؤكّد الرسول إنه أمين في وعده بأن يصفح عنها. لأن الذي علّمنا أن نطلب المغفرة عمّا علينا من ذنوب وخططيانا، وعدنا في نفس الوقت أنه برحمته الأبوية سيصفح لنا عنها.

٤٣ - الرب يحدّد بدقة شروط صفحه: إنه يُلزمنا أن نترك نحن أيضًا الديون للمديونيـن لنا، مادمنا نطلب نحن بالمثل أن نترك لنا ديوننا. إننا لا نستطيع أن نطلب غفران ذنوبنا إلا إذا صنعتنا نحن بالمثل من نحو من أذنب إلينا. إنه يقول في موضع آخر: «بالكيل الذي به تکيلون يُکال لكم» (مت ٧: ٢). العبد الذي سامحه سيده بكل ديونه، عندما رفض أن يفعل بالمثل هو أيضًا من نحو رفقائه طُرح في السجن. لأنه لم يشأ أن يغفو عن رفيقه ولذا فقدَ العفو الذي سبق وحصل عليه من سيده. والرب في حكمه هذا أراد أن يشدد على هذه الحقيقة بقوه: «متي وفقتم تصلّون، فاغفروا إن كان لكم لکم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضًا أبوكم الذي في السموات زلاتكم. وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذي في السموات أيضًا زلاتكم» (مر ١١: ٢٥ و ٢٦).

إذاً، لن يكون لك عذر يوم الدينونة، عندما تحاكم طبقاً لسلوكك تجاه الآخرين. وكما فعلت سيفعل أيضًا بك. فالرب أوصانا أن

نكون صانعى سلام وفي اتفاق وتفكير واحد. وكما ولدنا الله بالميلاد الثاني هكذا يريدنا أن نكمّل بحسب هذا الميلاد الثاني، لكيما ثبت في سلام الله نحن الذين صرنا أبناء الله، وأن يكون لنا قلب واحد وتفكير واحد إذ لنا روح واحد. لذلك لا يقبل قربان من يحرضون على الانشقاق، بل إنه يأمرهم أن يرجعوا عن المذبح ليتصالحوا أولاً مع إخوتهم. الله لا يرضى إلا بالصلوات المرفوعة في سلام. إن أبهج تقدمة يمكننا أن نُهديها لله هي سلام واتفاق الإخوة، ووحدة كل المؤمنين في الآب والابن والروح القدس.

٤٤ - فحي في الذبائح التي قدمها هايل و Cain لم ينظر الله إلى التقدّمات في حد ذاتها بل إلى قليهما: فالعطية كانت مقبولة حيث كان القلب مقبولاً أمام الله. وإذا كان هايل مسالماً وباراً، الذي قدّم ذبيحته بنفس نقية إلى الله، يعلّمنا أن نتمثل به عندما نقدم قرباناً، فينبغي أن يكون ذلك بمحافاة الرب، وبساطة قلب، ونية صادقة بالوفاق والسلام مع الجميع. فهايل بتقدّيم قربانه لله متخلّياً بهذه السجايا استحق هو نفسه أن يصير قربان استشهاد. لقد أشار بدمه إلى آلام الرب، لأنه كان يمتلك في ذاته بـ<sup>ر</sup> وسلام الرب. ومن هم مثله يمثل هذه الصفات سيكلّلهم الرب، وسيتّقدّم لهم في يوم الدينونة. ولكن محبوا الخصم والانشقاق الذين لا يريدون أن يحيوا في سلام مع إخوتهم، فعلى التقيض، فهم مدانون بحسب شهادة الرسول المبارك والإنجيل، حتى ولو قدّموا أنفسهم للذبح، فلن يكونوا أقل إجراماً بسبب الشقاق الذي زرعوه بين الإخوة، لأنه مكتوب: «كل من يبغض أخيه فهو قاتل نفس» (أيو ١٥: ٣)، كل قاتل نفس لا ينال

ملكت السموات ولا يحيانا مع الله. فمن يفضل أن يتمثل بيهموا  
وليس بال المسيح، فلن يمكنه أن يحيانا في المسيح. في الجسامه هذا الجرم،  
الذي لا يمكن حتى لعمودية الدم نفسها أن تمحوه! فيا لشدة ثقل  
هذه الجريمة التي لا يقدر حتى الاستشهاد أن يكفر عنها.

### ❖ «ولا تدخلنا في تجربة»

٢٥ - الرب يحثنا أن نقول في الصلاة: «ولا تدخلنا في تجربة»  
ومن هذا القول يتبيّن أن حصمنا لا يمكنه أن يفعل أمراً ما ضدّنا  
دون سماح سابق من الله، وعليه فهو وحده الذي ينبغي علينا أن  
نخافه ونتقيه ونراعيه في كل شيء، لأن سلطان العدو في التجارب  
التي يحيكها ضدّنا هو خاضع لسلطان الله. هذا ما يؤكده الكتاب  
المقدس عندما يقول: «وجاء نوح خدا نصر إلى أورشليم وحاصرها  
وأسلمها الرب إلى يديه» (انظر ٢٤: ١١ مل ١١: ٢٤) العدو يعطي سلطاناً علينا  
من جراء خطايانا، حسبما هو مكتوب: «من دفع بعقوب إلى السلب  
 وإسرائيل إلى الناهرين؟ أليس الرب الذي أخطانا إليه ولم يشاءوا أن  
يسلكوا في طرقه ولم يسمعوا لشرعيته؟ فسُكِّب عليه هو غضبه»  
(إش ٤٢: ٢٤ و ٢٥: ٤٢) ومرة أخرى عندما أخطأ سليمان وحاد عن  
طريق الرب قيل: «وأقام الرب حصماً لسليمان» (امل ١١: ١٤).

٢٦ - الله قد يعطي إبليس السلطان علينا لغايتين: إما لأجل  
تأديبنا إذا أخطأنا، أو من أجل تمجيدنا إذا حُزنا الإمتحان. وهذا ما  
نراه في حالة أليوب: «هؤذا كل ماله في يدك؟ وإنما إليه لا تقد يدك»  
(أي ١: ١٢). وفي الإنجيل يقول الرب إبان آلامه: «لم يكن لك على

سلطان البتة، لو لم تكن قد أعطيت من فوق» (يو ۱۹: ۱۱). فإذاً عندما نصلّى أن لا ندخل في تجربة، نحن نتذكر ضعفنا وعجزنا فيما نطلب لأجله، حتى لا يفتخر أحد بنفسه، أو يترفع أحد بحسارة، ناسباً لنفسه الحمد في إيمانه أو في آلامه، بينما الرب يعلمها بنفسه الاتضاع، عندما يقول: «اشهروا وصلوا لثلا تدخلوا في تجربة. أمّا الروح فنشيط، وأمّا الجسد فضعيف» (مر ۱۴: ۳۸) فإذا اعترفنا بضعفنا أولاً، وإذا ما سلّمنا الله أمرنا في كل ما نطلب بمحافاة ووقار، فإننا نستطيع أن نكون على يقين من أن كل ما يُطلب بتضرّع في مخافة وإكرام الله فهو ينحه بحسب صلاحه.

### ❖ «لكن نجنا من الشرير»

- ۲۷ - بعد كل هذا كختام للصلوة تأتي عبارة قصيرة تجمع باختصار كل الطلبات في النهاية نقول: ولكن نجنا من الشر (أو الشرير). ونحن نفهم بهذا ما يحيكه العدو ضدنا من مكائد في هذا العالم، ولكننا على يقين أن لنا سنداً قوياً، وذلك عندما يأتي الرب إلى نجاتنا وينح معونته لمن يتربونه. فعندما نقول: «نجنا من الشر أو (الشرير)» لا يبقى لنا شيء بعد تلح في طلبه: فقد طلبنا أخيراً حماية الله لنا ضد الشر. هذه الصلاة تجعلنا مخصوصين ضد مكاييد الشيطان أو العالم. فما هو الذي يخشاه الإنسان في هذه الحياة، إذا كان الله هو نقيس الذي يحميه؟

- ۲۸ - إن لم تعجب يا إخوتى الأحباء لروعه هذه الصلاة الربانية التي علّمتها لنا الله، التي مع ايجازها تشمل كل مطالبنا. بالحقيقة إن

ربنا يسوع المسيح كلمة الله جاء لأجل كل البشر، للحكمة، كما للجهلاء، دون تفريق بين الأجناس أو الأعمار، مُرجعاً مبادئ الإيمان إلى أصولها الأولية حتى يمكن لأبسط الناس أن يمسك بها. وهكذا عندما علمنا السيد المسيح ما هي الحياة الأبدية تضمن بإيجاز سر الحياة بقوله عبارة إلهية عظيمة: «وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويُسوع المسيح الذي أرسلته» (يو ١٧: ٣). وأيضاً عندما جمع من الناموس والأنبياء الوصية الأولى والعظمة بين الوصايا قال: «اسمع يا إسرائيل. الرب إلينا رب واحد. وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولى. وثانية مثلها هي: تحب قريبك كنفسك» (مر ٢٩: ١٢ - ٣١). وأيضاً: «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم. افعلا هكذا أنتم أيضاً بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء» (مت ٧: ١٢).

٢٩ - ولم يعلمنا الرب الصلاة بالكلام فقط بل بالفعل أيضاً، إذ كان دائماً يصلّى ويتضرّع شاهداً لنا عما يجب أن نفعله على مثاله الشخصي، كما هو مكتوب: «واماً هو فكان يعتزل في البراري ويصلّى» (لو ٥: ٦)، وأيضاً: «خرج إلى الجبل ليصلّى. وقضى الليل كله في الصلاة لله» (لو ٦: ١٢) فإذا كان الذي بلا خطية يصلّى، فكم بالأكثر يجب علينا نحن الخطأة أن نصلّى! وإذا كان هو يصلّى دائماً ويسمّر طوال الليل بطلبات لا تقطع، فكم بالأولى يجب أن نسهر نحن في الليل في صلاة دائمة مستمرة.

٣٠ - ولكن الرب صلى وطلب لا لأجل نفسه. فلماذا يصلّى من أجل نفسه من كان بلا خطية؟ لكنه صلى لأجل خطايانا، كما

أعلن هو نفسه عندما قال لبطرس: «هذا الشيطان طلبكم لكي يغرنكم كالخطة! ولكن طلت من أجلك لكي لا يفني إيمانك» (لو ۲۲: ۳۱ و ۳۲). وبعد ذلك يطلب من الآب لأجل الجميع قائلاً: «ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم، ليكون الجميع واحداً» (يو ۱۷: ۲۰ و ۲۱). فكم هي عظيمة غنى محبة الله ورحمته من أجل خلاصنا، فإنه لم يكتف فقط بأن يغدينا بدمه بل أيضاً صلى من أجلنا. لنتظر الآن ما هي طلبه في الصلاة، هي أنه كما أن الآب والابن واحد، كذلك ثبتت نحن أيضاً في وحدانية كاملة. ومن هذا يمكننا أن نفهم كم هي عظيمة خطية من يصنع انقسام في الوحدة والسلام. لأنه لأجل هذه الوحدة قد طلب ربنا، راغباً بالتأكيد أن يحيا شعبه في سلام. إذ علم أن الانشقاق لا يؤدي بنا إلى مملكته الله.

٣١ - فعدما نقف للصلوة، أيها الإخوة الأحباء، يجب أن تكون متبعين وحاذين بكل القلب، ومنكبين على صلواتنا لتذهب عنا كل الأفكار الجسدية والعالمية، ولا ندع نفوسنا في هذا الوقت تفكّر في أي شيء إلا فيما نصلّى لأجله فقط. لذلك فالكافر أياً قبل أن يصلّى يهوي أذهان الإخوة بمقدمة، قائلاً: «ارفعوا قلوبكم»، حتى عندما يرد الشعب بـ «هي عند رب»<sup>(١)</sup>. يتذكر هو أنه لا ينبغي أن يفكر في أي شيء إلا في رب وحده. ليت القلب يكون معلقاً أمام العدو، ومفتوراً لله وحده ولا ندع عدو الله يقترب منه في وقت

(١) هنا يشير القديس كيريلوس عما يقونه الكاهن في ليتورجية القدس المستخدمة في وقته - أي القرن الثالث الميلادي - وهذا ما نصلبه نحن في وقتنا الحالي.

الصلاحة. لأنه كثيراً ما يدخل إلينا خلسة ويتسلل إلى الداخل ويعكر شديد يُشتت صلواتنا عن الله، حتى يكون في قلبنا شيء وفي كلامنا شيء آخر، بينما يجب ألا تكون الصلاة إلى الرب بالنسان فقط بل بالروح والذهن أيضاً، بنية صادقة وخالصة. ولكن كم يكون توانيك، أن يتشتت انتباحك وتتساق بفكراك بعيداً بسبب أفكار حمقاء ودنسة، بينما أنت تصلي إلى الرب كما لو كان يوجد شيء آخر يجب أن تفكر فيه أكثر أهمية عما تتكلّم به مع الله! كيف تطلب أن يسمعك الله بينما لا تسمع أنت نفسك؟ هل تريد أن يتتبّع إليك الله عندما تصلي بينما أنت غير منتبه لنفسك؟ فهذا بالتأكيد معناه أنك غافل تماماً عن العدو، أي أنك تسيء إلى عظمة الله عندما تصلي باستهتار، هذا معناه أنك يقطّع بعينيك ولكنك نائم بقلبك، بينما يجب أن يكون المسيحي مستيقظاً بقلبه مع كونه نائماً بعينيه، كما هو مكتوب بلسان الكنيسة في نشيد الأناشيد: «أنا نائمة وقلبي مستيقظ» (نش:٥). لذلك يحذر الرسول باهتمام وبحرص قائلًا: «وااظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر» (كو:٤)، معلماً ومُظهراً أن الذين يستطيعون توال طلبتهم من الله هم الذين يرahlen الله يقضين في صلاتهم.

٣٢ - بالإضافة إلى ذلك، فهو لاء الذي يصلون يجب ألا يتقدموا إلى الله بصلوات غير مشمرة. فعندما تقدم صلاة غير مشمرة إلى الله، تكون الطلبة بلا أثر. فكما أن كل شحرة لا تأتي بشمر تقطع وتُلقى في النار، فكذلك الكلمات التي بلا ثمر لا يمكن أن تستحق أي شيء من الله لأنها حالية من ثمر العمل الصالح. لذلك يرشدنا الكتاب

المقدس قائلاً: «صالة الصلاة مع الصوم والصدقة» (طو ٨: ١٢) لأنَّ الله الذي سيحاري في يوم القيمة لأجل أعمالنا وعطائنا، فهو أيضًا الذي في حياتنا على الأرض، يقبل صلاتنا المقترنة بالأعمال الصالحة بحسب مرحمه. لذلك فعلى سبيل المثال عندما صلى كرنيليوس قائداً للملائكة سمعت طلبه لأنَّه اعتاد تقديم الصدقات للناس، مع تقليل الصلاة الدائمة لله، فظهر له ملاك عندما كان يصلى نحو الساعة التاسعة حاملاً شهادة لأجل أعماله قائلاً: «يا كرنيليوس!... صلواتك وصدقاتك صعدت تذكاراً أمام الله» (أع ١٠: ٣ و ٤).

- ٣٣ - الصلوات التي تصعد إلى الله سريعاً هي التي - بتركة أعمالنا - تقدم بالحاج إلى الله. هكذا أيضاً كان رافائيل شاهداً لصلاة طوبينا الدائمة وأعماله الصالحة المستمرة إذ قال: «أما أعمال الله فإذا عتها والاعتراف بها كرامة... إنك حين كنت تصلي بدموع وتدفن الموتى، وتترك طعامك وتخبا الموتى في بيتك نهاراً وتدفنهم ليلاً، كنت أنا أرفع صلاتك إلى رب. وإذا كنت مقبولاً أمام الله كان لا بد أن تُمتحن بتجربة. والآن فإن رب قد أرسلني لأشفيك وأخلص سارة كنفك من الشيطان. فإني أنا رافائيل الملائكة أحد السبعة الواقفين أمام رب» (طو ١٢: ٧ و ١٥-١٦). والرب يذكرنا أيضاً من خلال إشعيا ويعلّمنا أمور مشابهة قائلاً: «حلَّ قيود الشر. فكَ عقد النير وإطلاق المسحوقين أحواراً، وقطع كل نير. أليس أن تكسر للجائع خبزك، وأن لا تدخل المساكين التائهين إلى بيتك؟ إذا رأيت عرياناً أن تكسوه، وأن لا تغاضي عن حملك. حينئذ يفجر مثل الصبح نورك، وتنتبه صحتك سريعاً، ويسير برك أمامك، ومحمد رب يجمع ساقتك حينئذ تدعوه فيجيب

الرب. تستغيث فيقول: «أندا» (أش ٥٨:٩-٦). لقد وعد الله بأنه سيكون قريب وسيسمع ويحفظ أولئك الذين بحلّهم قيود الشرّ من قلوبهم، وتقدماتهم لأهل بيته كوصاياه، وتنفيذهم لما يأمر الله به، يُزكّون أنفسهم في أن يسمعهم الله. عندما قدم الإخوة لبولس الرسول احتياجاته في عوز ضيقته قال أن الأعمال الصالحة التي تُقدم هي بمثابة ذبائح لله: «قد إمتلأت إذ قبلت من أبغرودتني الأشياء التي من عندكم نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله» (في ٤:١٨) فعندما يشفع أحد على القراء فهو يُقرض الرب، وعندما يعطي أحد الأصغر يعطي الله. وبذلك يقدم ذبيحة، رائحة طيبة لله.

٣٤ - وفي تأدية الصلاة، نرى أن الثلاث فتية مع دانيال، لكونهم أقوياء في إيمانهم ومنتصرین رغم سبيهم، كانوا يتزمرون بصلوات الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة<sup>(١)</sup>، كمثال لسر الثالوث الذي أظهر في الأيام الأخيرة. فإذا توالي الساعات من الأولى إلى الثالثة، يكتمل رقم الثالوث، وأيضاً إذا توالي الساعات من الرابعة إلى السادسة يكتمل ثالوثاً ثانياً، وعندما يكتمل توالي الساعات من السابعة إلى التاسعة، يكتمل عدد الثالوث الكامل كل ثلاثة ساعات (أى الثالوث ثلاثة مرات). وهكذا استخدم المتعبدون لله منذ زمن بعيد هذه الفترات الزمنية بأسلوب روحي لأجل الصلاة في أوقات مفتوحة ومحددة. وظهر لاحقاً أن تلك الأسرار كانت هكذا قديماً، إذ كان الأبرار قدّيماً يصلّون هكذا. فالروح القدس حلَّ على التلاميذ في الساعة

(١) هنا يشير القديس كيريانوس إلى صلوات السواعي مما يثبت أن تلك الصلوات هي من التقليد الثابت في القرون الأولى للكنيسة.

الثالثة متممًا نعمة وعد الرب. وفي الساعة السادسة صعد بطرس على السطح حيث جاءه أمر بالرؤيا وبكلام الله يمحثه على قبول الجميع إلى نعمة الخلاص، إذ كان سابقاً في شك من قبول الأمم في المعمودية. ومن الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة غسل الرب خطاياانا بدمه إذ صلب، ثم أكمل انتصاره بالآلام حتى يغدينا ويحيينا.

٣٥ - ولكن بالنسبة لنا- في العهد الجديد- أيها الإلحوة الأحباء، فبجانب صلوت السواعي هذه، فإن الأوقات والصلوات المقدسة قد زادت عدداً الآن. فصار لا بد من أن نصلّى أيضاً في الصباح لصنع تذكار قيمة الرب بصلادة باكر. وقد أشار الروح القدس إلى هذا مسبقاً في المزامير قائلاً: «..يا ملكي وإلهي لأني إليك أصلّى. يارب بالغداة تسمع صوتي. وبالغداة اوتجه صلاتي نحوك وانتظر» (مز ٥:٢). ومرة أخرى يتكلّم الرب على فم هو شع النبي: «يُكرون إلى.. هلم نرجع إلى الرب» (هو ٥:٦ و ١٥:١). وبالضرورة يجب أن نصلّى أيضاً في الغروب ونهاية النهار، فحيث أن المسيح هو الشمس الحقيقة والنهار الحقيقي، وحيث أن شمس العالم ونهاره يغيبان، فعندما نصلّى ونطلب أن يأتينا النور ثانية. فنحن نصلّى لأجل مجيء المسيح الذي سيعطينا نعمة النور الأبدي. وبالإضافة إلى ذلك، فالروح القدس في المزامير يُظهر أن المسيح يُدعى «النهار» أو «الاليوم» فيقول: «الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية. من قبل كان هذا وهو عجيب في أعيننا هذا هو اليوم الذي صنعه الرب. نبهج ونفرح فيه» (مز ١١٨:٢٢-٢٤) وأيضاً يشهد ملاخي النبي بأنه «يُدعى» «الشمس» عندما يقول: «ولكم أيها المتقون اسمى شرق

شمس البر والشفاء في أججتها» (ملا ٤: ٢). ولكن إذا كان في الكتاب المقدس أن المسيح هو الشمس الحقيقة، واليوم الحقيقي فلا توجد إذن ساعة لا يجب أن يعبد فيها المسيحيون الله دائمًا وباستمرار. فنحن الذين في المسيح - الذي هو الشمس الحقيقة واليوم الحقيقي - يجب أن نداوم على الطلبات حلال اليوم كله ويجب أن نصلّى. وعندما - بحسب قانون هذا العالم - تأتي الليالي المتعاقبة التي تتكرر بدورتها المتناوبة، فإن الذين يصلّون لا يغشّاهم الظلام، لأنّ بين النور لهم النهار حتى في الليل. متى يكون إذن بلا نور، من كان في قلبه النور الإلهي؟ أو متى يفتقد إلى النهار أو إلى الشمس من كان المسيح نهاره وشمسه؟

٣٦ - فلا توقف إذن عن الصلاة نحن الذين في المسيح، أي الذين دائمًا في النور، حتى في أثناء الليل. فهكذا حنة النية الأرملة التي كانت تصلي وتسرّب دون انقطاع، وكانت تتأبر على ما يليق بالله، كما هو مكتوب في الإنجيل: «لا تفارق الهيكل عابدة بأصومات وطلبات ليلاً ونهاراً» (لو ٣٧: ٢). لينظر إلى هذا كل من الأمم الذين لم يستيقروا بعد، والميهود الذين يقوّوا في الظلمة برفضهم للنور. ليتنا أيها الإخوة الأحباء، نحن الذين دائمًا في نور الرب، نحن الذين نتذكرة ونتمسّك بما ابتدأنا أن نكونه بعد نوال النعمة ليكن لنا الليل كالنهار. لنؤمن أننا دائمًا نسير في النور (يو ١١: ٧) ولا ندع الظلمة التي هربنا منها أن تعوقنا. دعونا لا نتوقف عن الصلاة في أي من ساعات الليل، ولا نضيّع أوقات الصلاة في تكاسل واستهتار. بل نحن الذين خلقنا وولدنا من جديد بالروح وبرحمة الله، لتمثل بما

سنكون عليه في يوم ما. حيث أننا في الملوك سيمكون لنا النهار وحده بدون توسط الليل، لنكن يقظين في الليل كما في النهار. وحيث أننا سنصلى ونعطي شكرًا لله إلى الأبد فلا نتوقف في هذه الحياة أيضًا عن الصلاة والشكر.



## الخلود

١ - أيها الإخوة الأحباء، مع أن الكثير منكم يتسم بالعقل الرا直ح والإيمان الراسخ والوداعة، ولا ينزعجون من كثرة أعداد المنتقلين<sup>(١)</sup>، بل هم كالصخرة القوية التي تنكسر عندها الأمواج العاتية. ولا يصيبها أي ضرر، إلا أن البعض الآخر منكم خائرين وضعفاء، وهذا ربما يعود لأنحرافهم عن الحق أو ضعف إيمانهم أو حياة الترف التي يعيشونها، من أجل هؤلاء كان هذا الحديث ليشد من آزرهم ويوقظ فيهم الحماسة الروحية المقدسة، لأن من عزم في قلبه أن يكون لله والمسيح يحب عليه أن يكون جديراً بالمسيح والله.

٢ - من يجاهد من أجل الله، لابد أن يعرف أنه قد تخدن في معسكر السماء على رجاء الجحالة العليا، ومن ثمّ بعد لا يضطر布 من عواصف هذا العالم، ولا يتاثر بها. لأن الرب قد سبق وأخبرنا بما سيحدث لنا، وأوصانا وعلمنا أن نتحمّل كل ما يأتي علينا من حروب ومجاعات وزلازل وأوبعة...، وهذه كلها علامات اقتراب ملوكوت الله، فإن ابتدأت تحدث، تتحقق بعدها ما وعدنا به الرب: «هكذا أنتم أيضًا، متى رأيتم هذه الأشياء صائرة، فاعلموا أن ملوكوت الله قريب» (لو ٣١: ٢١).

أيها الإخوة الأحباء، لقد أعدت السماويات لتكون عوضاً عن

(١) نتيجة انتشار أحد الأوبئة.

الأرضيات، إن الأمور التي فقدناها كفرح الخلاص الأبدي ومكافأة الحياة والسعادة الدائمة واقتناء الفردوس سوف تعود لنا مع انتهاء العالم. هذه الأمور الجليلة عوض عن الباطلة، الأبديةات عوض الفانيات. فما الداعي إذا للقلق والجزع؟

فليس من أحد يعرف هذا الميراث والمجد ويرتعب، إلا من لا رجاء له ولا إيمان، فالذي يخشى الموت هو ذاك الذي لا يرغب في المصي إلى المسيح، ومن لا يريد ذلك، هو ذاك الذي لا يؤمن أنه سيملئه مع المسيح إلى الأبد.

٣ - مكتوب أن «البار في الإيمان يحيى» (رو ١٧: ١). الإنسان البار يحيى بالإيمان، إذ كان حقاً يؤمن بالله، لماذا يا منْ أنت مدعاً أن تكون مع المسيح لا تنق في وعد رب؟ إنها دعوة لقاء المسيح، ونوان الحرية من قبضة إبليس؟ ألا تتبعه لذلك؟

إن سمعان الشيف هذا الرجل البار كان مثالاً لإشتياق والإطلاق، فقد تمسك بوعده الله بإيمان كامل، فعندما أبلغته السماء أنه لن يرى الموت قبل أن يعاين المسيح الرب، ما أن جاء الطفل يسوع مع أمه إلى الهيكل، وعرفه بالروح حتى أدرك أنه لابد أن ينطلق من هذا العالم، لم ينزعج، بل حمل الطفل بين يديه وبارك الله وهتف قائلاً: «الآن نطلق عبدك يا سيد حسب قولك السلام، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك» (لو ٢٩: ٢). شاهداً أن خدام الله عندما يتحررُوا من وسط عواصف هذا العالم يدركونهم السلام، والحرية، والهدوء والطمأنينة. أننا بالموت نبلغ الميناء، الراحة الأبدية، هذا هو سلامنا وهدوءنا

التابع من الإيمان وراحتنا الدائمة وأماننا الأبدي.

٤- فالمؤمن في هذا العالم هو في حرب دائمة مع إبليس، وجهاد مستمر ضد سهامه وأسلحته؟ فحربنا على الدوام لا هوادة فيها ضد الشهوات الجسدية وأغراءات العالم، فالعدو يحاصر فكر الإنسان من كل جانب، وبالجهد يستطيع الفكر أن يدافع ويقاوم، فإن استهان بحب المال، ثارت فيه الشهوات، وإن انتصر على الشهوات أصابه حب الظهور، وإن ازدرى بحب الظهور والشهرة، ثار فيه الغضب والكرباء، وأغرى السُّكر بالخمر، ومزق الحسد وفاقه مع الآخرين، وأفسدت العِيرة صداقاته، فيلعن ويختلف وهذا ما يناقض ناموس العهد الجديد.

٥- على الرغم من كثرة الاضطرابات التي تجاهلها الروح كل يوم والأخطار الكثيرة التي تحدق بالقلب، إلا أننا نسعد بيقائنا طويلاً على الأرض وسط حروب الشيطان!! بينما كان أحذر بنا أن نوجه كل اشتياقاتنا ورغباتنا في الإسراع للإنقاء بالمسيح، فالسيد المسيح نفسه علمنا قائلاً: «الحق الحق أقول لكم: إنكم ستكونون وتتوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون، ولكن حزنكم يتحول إلى فرح» (يو ١٦: ٢٠). فمن منا لا يستفاق أن يتحرر من هذا الخزن؟! من منا لا يستفاق أن ينال هذا الفرح؟!

أمّا متى يتحول حزننا إلى فرح، فهذا ما أعلنه لنا رب: «ولكني سأركم أيضًا فتفرح قلوبكم، ولا يزع أحد فرحكم منكم» (يو ١٦: ٢٢). مadam فرحنا يكمن في رؤية المسيح، فأىّ عمى يصيب

أذهاننا وأى جنون يتناينا حتى نحب أحزان العالم وضيقاته ودموعه أكثر من الفرح الذي لا يمكن لأحد أن ينزعه منا.

٦ - أيها الإخوة الأحباء، إن سر محبتنا للعالم وارتباطنا به يعود إلى ضعف إيماننا، وعدم ثقتنا في تلك الأشياء التي وعدنا الله بها. الله صادق . وكلمته ثابتة لمن يؤمن به، لو إنسان عظيم ذو مكانة وعدكم، أما تثقون في وعده، دون أن ترتابوا في أنه سيخذل عدكم لأنكم تعرفون أنه صادق في كلماته وفي بيوعوده؟ فكم بالأحرى يجدر بنا ألا نشك إطلاقاً في وعد الله لنا بالأبدية، إن راودنا الشك نكون بهذه الخطية لسنا على معرفة بالله، وغير مطاعين لل المسيح معلم المؤمنين، إن الشك يجعل من الإنسان لا إيمان له، بالرغم من وجوده في الكنيسة بيت الإيمان !!

٧ - ياله من نفع ناله بانطلاقنا من هنا العالم !! إن السيد المسيح معلم خلاصنا وأوضح لنا ما فيه خير نفوسنا، فعندما رأى تلاميذه أحزان لأنه كان مزمع أن يمضى، قال لهم: «لو كنتم تحبونني لكتنم تفرون لأنني قلت أمضي إلى الآب» (يو ١٤: ٢٨)، وهكذا يعلم ويوضح أنه ينبغي علينا أن نفرح عند رحيل أحد أحبائنا من هذا العالم ولا نحزن، متذكرين قول الطوباوي بولس «لي الحياة هي المسيح والموت هو ربع» (في ١: ٢١)، معتبراً أن الموت هو أعظم ربح، ربح لا تستطيع أن ناله بواسطة هذا العالم فلا نعود نُستبعد بعد لخطايا الجسد ورذائله، به نترك الضيقات المخزنة ونتحرر من أنیاب الشيطان السامة، ونذهب إلى حيث دعوة السيد المسيح لنا، فرحين بالخلاص الأبدي.

٨- يظن البعض أنه لا يجب أن يخضع المسيحي للموت، معتبرين أن المرض يجب ألا يصيب إلا غير المؤمنين، كما لو كانت غاية الإيمان المسيحي هي إبقاء حظر أمراض هذه الحياة، لكن يستمتع المرء بالحياة، وليس أن يجاهد ويتألم على الأرض ليُكلَّل ويفرح فيما بعد. إن البعض يتساءل عن سبب خضوعنا للموت كالوثنيين وغير المؤمنين، قائلين: فيما إذا الفرق بيننا وبينهم؟ مadam لا يزال جسdenا خاضع للموت مثلهم.

أنت نشترك مع البشرية في كل ما يخص الجسد مثلنا مثل كل البشر تماماً، طالما نحن في هذا العالم، ولكننا نتميز عنهم في الروح. وحتى يليس هذا الفاسد عدم فساد، وهذا المائت عدم الموت، ويقودنا الروح القدس إلى الآب، فإننا نشترك هنا مع غير المؤمنين في كل شيء، فإذا حدث قحط واشتدت الجماعة، ليس هناك فرق بين المؤمن وغير المؤمن، وإذا تعرّضت المدينة لغزو، مثل السبي الجميع بلا تفرقة، وإذا امتنع المطر، أصابت الجماعة الكل، وإذا تحطم سفينة، غرق كل من على متنها بلا تمييز، وهكذا يعاني الجميع من أمراض العيون والحمى، طالما نحن نحمل هذا الجسد المشترك في هذا العالم.

٩- ولكن إذا عرف المسيحي وأدرك بأي ناموس هو يؤمن، لعرف حتماً أنه ينبغي أن يحمل آلام أكثر من غير المؤمنين الذين في العالم، طالما يجاهد أكثر ضد حروب الشيطان، لذلك يقول الكتاب المقدس: «يا ابني أن أقبلت خدمة الرب الإله أعدد نفسك للتجربة» (بن سيراخ ١٢:١)، وأيضاً: «كل ما أتاك فاقبله واصبر على الوجع في

إتضاعك كن صبوراً، لأن الذهب يجري بالنار والناس المقبولون يجريون في  
أتون التواضع» (بن سيراخ ٤: ٥).

١٠ - وهكذا أیوب لم ينهزم بعد أن فقد كل ممتلكاته، وموت بنيه، وبعد أحزانه الكثيرة بجانب قروحه ودوده، بل على العكس أظهر صبره في وسط بلاياء وأتعابه، فقال: «عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك، الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركاً» (أي ١: ٢١)، وعندما أثارته زوجته أيضاً في طياشة لكي يخاطئ إلهه ويجدف أجابها قائلاً: «تكلمين كلاماً كاحدى الجاهلات! الخير نقبل من عند الله، والشر لا نقبل؟ في كل هذا لم يخاطئ أیوب بشفتيه» (أي ٢: ١٠). ولذلك يشهد له الرب قائلاً عنه: «هل جعلت قلبك على عبدي أیوب؟ لأنه ليس مثله في الأرض، رجل كامل ومستقيم، يتقوى الله ويحيد عن الشر» (أي ٨: ١).

وطوبياً، بعد أن صنع أعمال الخير وأظهر روح الرحمة بصورة عجيبة وبمحيدة، احتمل فقدان بصره، وكان في آلامه يخاف الله وبياركه، «و بالرغم من جسده المتآلم كان يزداد شكرًا لله» (طو ٢: ١٤). وكانت زوجته أيضاً تغيره قائلة له أين هو ربها؟ لينظر إلى ما يحتمله من آلام، أما هو فكان يتقوى بخوف الله ويتشدد متسلحاً بإيمانه محتملاً الآلام غير مستسلم لضعف زوجته، وهكذا تزكي طوبياً أيضاً بالأكثر أمام الله باحتتماله الألم، ومدحه الملائكة رافائيل بعد ذلك: «أما أنا فأعلن لكما الحق وما أكتُم عنكم أبداً مستوراً. إنك حين كنت تصلي بدموع وتدفن الموتى وتترك طعامك وتخبأ الموتى في بيتك نهاراً وتدفنهم ليلاً كنت أنا أرفع صلاتك إلى الرب. وإذا كنت مقبولاً أمام الله

كان لابد أن تُتحن بتجربة. والآن فإن الرب قد أرسلني لأشفick وأخلص سارة كنتك من الشيطان. فإني أنا رافائيل الملاك أحد السبعة الواقعين أمام الرب» (طوه ١٢: ١١-١٥).

١١ - كما أكد الرسل الأبرار هذا المبدأ فلم يتذمروا بسبب الضيق، بل كانوا يتقبلون كل ما يأتي عليهم بشجاعة وصبر، على عكس الشعب اليهودي الذي كان يختفي في هذا ويذمر دائمًا على الله، كما شهد عنهم في سفر العدد قائلاً: «فتكتف تذمراتهم عني لكي لا يموتوا» (عد ١٧: ١٠).

أيها الإخوة الأحباء، يجب علينا ألا نذمر، بل أن نتحمّل بصير وشجاعة كل ما يحدث، إذ أنه مكتوب: «القلب المنكسر والمتصدع لا يرذله الله» (مز ٥١: ١٧). والروح القدس يحذرنا على فم موسى النبي في سفر التثنية فيقول: «تذكرة كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلّك هذه الأربعين سنة في القفر، لكي يذلّك ويحرّبك ليعرف ما في قلبك: أحفظ وصاياه أم لا؟» (تث ٨: ٢)، وأيضاً: «الرب إنكم يعذّبكم لكي يعلم هل تحبون الرب إنكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم» (تث ١٣: ٣).

١٢ - هكذا كان إبراهيم أبو الآباء الذي سُرّ به الله لعدم تذمره عندما أمره أن يقدم إسحق ابنه ذبيحة، فإذا كان الإنسان لا يستطيعاحتمال أن يفقد ابنه عندما يكون هذا الموت طبيعياً، فكيف يكون حاله إذا أمر أن يقوم هو بذبحه!! إن الإنسان يحتاج إلى مخافة الله والإيمان حتى يكون مستعداً أن يقبل كل شيء حتى لو كان في ذلك فقدان كل ممتلكاته، أو رحيل زوجته أو أولاده أو أحد أحبائه، فلا

تكون هذه الأمور حجر عثرة له، بل يجب أن يحارب ويجاهد، ولا يدعها أن تضعف أو تسحق إيمانه، بل بالأحرى تُظهر قوة نضاله، لأن الثقة في البركات العديدة يجعلنا نزدري بأحزان هذا الزمان الحاضر، وعلينا أن نعلم إن لم تكن هناك معركة، فلن يكون هناك انتصار، وبالتالي لن تكون هناك أكاليل للمنتصرين، إن الربان الماهر يُعرف وسط العاصفة، والجندي يُختبر في ميدان القتال، واحتياز الضيق هو اختباراً للفضيلة.

إن الشجرة ذات الجذور الضخمة لا تتزعزع مهما كانت قوة العاصفة، والسفينة التي يقودها طاقم ماهر لا تترنح إن لطمتها الأمواج، وفي الأجران حيث يتم درس القمع، تستخف جبات القمع بالرياح، أمّا التبن فيتطاير بعيداً.

١٣ - كذلك أيضاً القديس بولس الرسول لم يحزن من أجل انكسار السفينة به، ومن احتماله للحدّادات، والعذابات الكثيرة القاسية، بل انتفع من كل ذلك، إذ يقدّر ما احتمل من أحزان، بقدر ما نال من تزكية، ولذلك يقول: «ولئلاً أرتفع بفرط الإعلانات، أعطيت شوكة في الجسد، ملاك الشيطان ليلطمني، لئلاً ارتفع. من جهة هذا تضرعت إلى رب ثلث مرات أن يفارقني. فقال لي: تكفيك نعمتي، لأن قويٌ في الضعف تُكمِّل» (٢٤: ٦-٩). فمتي كنا في ضعف وعجز، عندئذ تُكمِّل قوتنا وإن جاهدنا يثبت إيماناً وتنكلاً، كما هو مكتوب: «كما أن الآتون يمتحن أوابي الخزف، هكذا امتحان الإنسان في تفكيره» (بن سيراخ ٢٧: ٦)، إن الفرق بيننا وبين الآخرين الذين لا يعرفون الله، هو أنهم في الضيق يستنكرون ويذمرون، أمّا

نحن فإن الضيق لا يحيدنا عن حياة الفضيلة والإيمان، بل إن احتمالنا يُريدنا قوة.

**١٤** - الإنسان حينما يصاب بمرض معوى يستنفذ قوة الجسم، وألام الخلق والأمعاء والعيون وكل أعضاء الجسم، بل إن كل خسارات وإصابات الجسد، كل هذه الآلام تساهم في تركيبة إيماننا، وتعطى مجدًا للروح التي تحتمله بكل قوة وبفكر غير مشوش، غير مضطربة من المحممات الكثيرة، فأى سمو لتلك النفس التي تقف متتصبة وسط هذا الحطام، ولا تسقط مع الذين لا رجاء لهم في المسيح، بل تفرح بالأولى وتنتهز هذه الفرصة التي وهبها الله إياها.

إن احتمالنا هذه الأتعاب نتقدم في الطريق الضيق الذي سار فيه رب وبنال المكافأة. فالذى يخاف من الموت هو ذاك الذى لم يولد بعد من الماء والروح، هو ذاك الذى لم يختبر صليب المسيح وألامه، يخاف الموت ذاك الذى ينتظر بعد الموت موئًا آخر، يخاف الموت من تنتظره نيران الأبدية والعقاب الدائم. يخاف الموت من يجد منفعة في تأجيل موته حتى تتأخر تنهاته وتأوهاته.

**١٥** - إن من يموت من المسيحيين إنما يتحرر من هذا العالم، في بينما يرى غير المؤمنين وأعداء المسيح أن الموت كارثة، يراه أبناء الله انطلاق إلى الخلاص، وإن كان الأبرار يموتون كالأشرار، إلا أن الأبرار يذهبون إلى الراحة والنياح، أما الأشرار فيذهبون إلى العقاب. بالموت يتنقل البتوليون بسلام ومجده غير خائفين من تهديدات من هم ضد المسيح، ولا من مفاسدهم أو شرورهم، بالموت يهرب

الأولاد من الضيقات التي تفوق قدراتهم وينالون سعادة وغبطة لأجل صبرهم وبراءتهم، بالموت لا تعود الفتاة المدللة تخشى المضطهدين وعداياتهم، ومن خلال فرع الموت بهذا الوباء يتقوى الخائرون، ويعود الهاربون إلى الإيمان.

١٦ - أيها الإخوة الأحباء، ما المغزى من كل هذا؟ نعم إن هذه الضربة تبدو مرعبة وهذا الوباء يفتك بالناس، لكن في الوقت عينه يختبر بـ كل إنسان وـ تُمتحن أذهان البشر، فتكشف عن مدى اهتمام الأصحاء بالمرضى ومدى رفق الإنسان بغيريه، ومدى عطف السادة على خدامهم، ومدى استجابة الأطباء لصرخات المصابين، إن هذا الوباء يبحث القساة أن يتركوا عنهم قساوة قلوبهم، وأن يترك الجشعين محبة المال، وأن يحنوا المتشاحنين رقابهم، وأن ينزع الأشرار عنهم شرّهم.

إن هذا الوباء يعلمّنا ألا نخاف من الموت، فهو نافع على الأخص للمسيحيين إذ يجعلهم مشتاقين للإشهاد، إنه بمثابة تدريب لهم، فيدرّبون فكرهم على أحاجاد الثبات وبالتأمل في الموت يستعدون للإكلييل.

١٧ - ربما قد يعرض البعض قائلاً: إن الوباء سبب لي كثيراً من الحزن، فيبني كنت قد أعددت نفسي للإعتراف وكرّست ذاتي وقلبي وكل ما أملك حتى احتمال الآلام، فلماذا أحرم من الاستشهاد، إن هذا الموت يضيع على هذه الفرصة؟

**أولاً:** إن الاستشهاد هو عطية من الله، ولا تستطيع أن تقول إنك فقدت شيئاً لا تعلم إن كنت تستحقه أم لا.

**ثانياً:** إن الله هو فاحص القلوب والكلى ويعرف الخفيّات وسيكافئك على هذا الإشتياق الذي في قلبك كما لو كنت قمت بهذا بالفعل.

هل قام قاين بقتل أخيه عندما كان يقوم بتقديم الذبيحة؟ إن الله بسابق علمه أدان مقدماً القتل الذي رآه في داخل قاين، فكم رأى الله هذا الفكر الشرير واليبة الرديئة، هكذا أيضاً بالنسبة لهؤلاء الذين لم يحتموا هذا الإشتياق للاستشهاد، فالنية تجاه الفضيلة يكتلها الله الدين. نعم هناك فارق بين أن لا تكون لديك هذه النية، وأن تكون، ولكن الظروف غير مواتية لذلك، إن دينونتك ستكون على ما في قلبك، إذ هو نفسه يشهد ويقول: «فستعرف جميع الكنائس أين أنا هو الفاحص الكلى والقلوب» (رو٢٣:٢٣). إن الله لم يطلب منك الدم بل الإيمان، فإبراهيم وإسحاق ويعقوب لم يستشهدوا بسفك الدم، ولكن على الرغم من ذلك كرموا من أجل عظم إيمانهم وبرّهم. فاستحقوا أن ينالوا التكريم. وفي ولیمتهم سيجتمع كل من هو أمين وبار وحدير بالمدح.

**١٨ -** كيف نطلب في صلاتنا أن لا نعمل مشيئتنا بل مشيئة الله بحسب الصلاة التي دعاها رب أن نصلّى بها. بينما نحن لا نريد أن نطیع إرادة الله عنه ما يدعونا للخروج من هذا العالم؟! بل على طريقة هؤلاء العبيد المعاندين ثأر بحزن وأسى أمام الله، فيكون

رحيلنا بالإلزام وليس بطاعة المشيئة، وبعد هذا نرحب في مكافأة السماء، من هذا الذي أتينا إليه رغم إرادتنا. فلماذا إذن نصلّى قائلين ليأت ملوكتك؟ إن كان أسر هذا العالم يُيهجنا؟ فلماذا نطلب أن يأتي ملوكته سريعاً في صلوات وطلبات كثيرة، إن كانت اشتياقاتنا هي طاعة الشيطان هنا على الأرض، عوضاً أن نملك مع المسيح؟!

١٩ - حتى تكون العناية الإلهية واضحة أكثر، وتُظهر كم أن الرب يشتق إلى خلاصنا، كان هناك أحد الكهنة وقد أنهكه المرض واقترب من حافة الموت، صلى لأجل أن يعلهه الرب لنفسه، وبينما هو يصلّى في النزع الأخير، رأى شاب بهي المنظر ليس من هذا العالم، لا يمكن أن يراه بعيون الجسد إلاً من كان على وشك الرحيل من العالم وقال له بيبرة من الضيق والغضب، هل أنت تخشى الأم؟ إنك لا تريد الرحيل فماذا أفعل معك؟ إنه الصوت الذي يحدّر ويتهّر، إن رفينا هذا الذي كان على وشك الرحيل سمع ما كان ينبغي عليه أن يقوله للآخرين، إن هذا الصوت هو بالأحرى لنا نحن.

٢٠ - كم من مرة أعلن ليّ الرب أنا الضعيف وأخر الكل، على أن أقول لكم أنه لا ينبغي علينا أن نبكي إخوتنا الذين اجتذبهم دعوة الرب من هذا العالم، لأننا نعلم أنّهم لم يهلكوا، بل فقط سبقونا في الإرتحال. إنهم قد تركونا - كمسافرين مرتاحين - وأسرعوا في الإبحار قبلنا. فلا ينبغي إذن أن نبكيهم، بل أن نحسدهم ونغيّر منهم، لا أن نلبس هنا ملابس الحداد الداكنة، بينما هم هناك يرتدون ثياب الفرح البيضاء.

لا يليق بنا أن نعطي فرصة لغير المؤمنين أن يسخروا منا على حق، بسبب أننا نحزن على أولئك الذين نقول بأنهم يحيون مع الله، كما لو كانوا هالكين. نحن نخون رجاءنا وإيماننا، فيبدو أن ما قوله وننادي به وكأنه خيال وإدعاء وخداع. إنه لا يجدر بنا أن نُظهر الشجاعة في الكلام وبأفعالنا ننقض ما نقول.

٤١ - الرسول بولس يوبخ ويعنّف بشدة أولئك الذين يحزنون على ارتحال ذويهم قائلاً: «لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين، لكي لا تخزنوا كالباقيين الذين لا رجاء لهم. لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون بيسوع، سيحضرهم الله أيضًا معه» (تس٤:١٣ و١٤). إنه يقول أن الذين لا رجاء لهم هم الذين يحزنون على رحيل أحد أحبائهم. أمّا نحن الذين نحيّا في الرجاء ونؤمن بالله ولنا إيمان أن المسيح تأمّل لأجلنا وقام ثانية، فأئننا نُقيّم في المسيح وبه ومن خلاله نقوم ثانية.

لماذا نحن غير راغبين في الرحيل عن هذا العالم؟ ولماذا نبكي ونحزن عند فراق أحد الأحباء كما لو كان هذا قد أصابه الهالك؟ إن المسيح ربنا وإلينا يحدّرنا بهذه الأقوال: «أنا هو القيمة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حيًا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو٢٥:١١ و٢٦). فإن كنا نؤمن بالمسيح، وإن كان لنا ثقة في كلامه وفي مواعيده، وإن كان لا يمكن أن نموت أبدًا، فلتتقدّم بفرح واثق نحو المسيح، الذي معه سنجّينا ونملك إلى الأبد.

٤٤ - عندما نموت، فنحن في الواقع نعبر - بالموت - إلى حياة الخلود. والحياة الأبدية لا يمكن أن تُعطى لنا، إلا إذا خرجنَا من هذا العالم. فالموت ليس محطة نهاية، بل هو طريق للعبور. فنهاية رحلتنا في هذا الزمان، هي نقطة انطلاقنا إلى الأبدية.

فمن لا يُسرع الخطي نحو هذا الخير الأعظم؟ من لا يشتتهي أن يتغير ويتحول إلى صورة المسيح، ويبلغ بأكثَر سرعة إلى مرتبة الحمد السماوي؟ يقول القديس بولس الرسول: «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضًا نتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (في ٣: ٢٠ و ٢١).

إن المسيح ربنا قد وعدنا بهذه، فحينما صلَّى الله أليه لأجلنا لكيما تكون معه ونفرح بالظال الأبدية والملائكة السماوي قال: «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحبيتني قبل إنشاء العالم» (يو ١٧: ٢٤). فالذِي يأتي إلى المسيح وإلى مجد الملائكة السماوي، ينبغي عليه ألا يحزن، بل بالأولى بحسب وعد الرب والإيمان أن يتوجه في رحيله وانتقاله هذا.

٤٥ - كذلك نجد أن الله أخذ أختوْنَخ لأنه أرضاه «وسار أختوْنَخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه» (تك ٥: ٢٤). فعندما يُسر الله بإنسان، يكون هذا الإنسان مستحقاً أن يتقلَّ من وباء هذا العالم، ويعلّمنا الروح القدس بضم سليمان أن الذين يرضون الله يُوحذون مبكراً حتى لا يتذمّروا بتأخيرهم أكثر في هذا العالم فيقول: «إنه كان

مرضاً لله فاحبه وكان يعيش بين الخطاة فقله. خطفه لكي لا يغُر الشّرّ عقله ولا يطغى الغش نفسه» (حكمة ٤: ١١٩٠). كذلك أيضاً في سفر المزامير أن النفس المخلصة لإلهها تُسارع في إيمان روحي إلى الله كما هو مكتوب: «ما أحلى مساكنك يا رب الجنود! تشتابق بل تتوق نفسك إلى ديار الرب» (مز ٤: ٨ و ٩).

٤- إن من يرغب في أن يمكث طويلاً في العالم، هو من يجد فيه بهجته، من يغريه العالم ويخدعه بأغراءات اللذة الدنيوية. إن كان العالم يغضّ المسيحي، فلماذا يحبّ المسيحي هذا العالم؟ مع أنه يحدّر به أن يتبع المسيح الذي فداه وأحبه؟!

إن يوحنا الحبيب يحثّنا في رسالته ألا نسعى إلى محبة العالم فيقول: «لا تحبوا العالم. ولا الأشياء التي في العالم إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم: شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعظم المعيشة، ليس من الآب بل من العالم. والعالم يعطي وشهوته، وأماماً الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (١ يو ٢: ١٥-١٧).

لتطلع يا إخوتي لذلك اليوم الذي فيه سيتحدد لكل واحد منا مقرّه الحقيقي، وبعد أن تُجتذب من هذا العالم وتنتحرّ من أشرافه، تُحمل إلى نعيم الملائكة.

٥- إن كان أبناء الله يسلكون هكذا، فالآخرى الأن أكثر مع تiarات هذا العالم وعواصف الهجمات الشريرة، حتى أنت نرى الآن أمور محرّنة قد صارت بالفعل وأن هناك أموراً أكثر حزناً مزمعة أن تأتي علينا. إن الانطلاق من العالم هو أعظم مكسب

ناله. لو كانت جدران بيتك تهتز، أما كنت تغادر مكانك بكل سرعة؟ لو كنت تبحر في سفينة وهاجمتها العواصف والأمواج إلا كنت تتطلب العودة إلى الميناء؟ هؤلا العالم الآن يتربع ويتداعى ليس بفعل الزمن، بل بسبب النهاية، وأنت ألا تشكر الله، ألا تفرح أن النهاية أتتكم بهذا الرحيل المبكر، وأنكم تحررت من المتاعب والكوراث التي تهددها!

٢٦ - علينا أيها الإخوة الأحباء أن نفكر دائمًا نحن الذين  
جحدنا العالم أننا هنا نقيم بعض الوقت كنزلاء وغرباء. وأي  
مسافر إلى مكان بعيد لا يُبادر في العودة إلى وطنه؟ وأي ملأح لا  
يُسرع لرؤيه أهل بيته، بل كم يتمنى برغبة حارة أن تهب ريح تمكّنه  
بأسرع ما يمكن من معانقة أحبابه؟

وطتنا هو السماء...وهناك عدد كبير من الأحباء يتضروننا، عدد لا يُحصى من الآباء والأمهات، والإخوة والأخوات والأبناء يتوقفون علينا، وإذا اطمأنوا هم الآن على خلاصهم، يترجون خلاصنا نحن. لنسرع في الوصول إليهم، مشتتين بحرارة أن تكون في أقصر وقت عندهم، بل عند المسيح.



## الأعمال والصدقات

١ - أيها الإخوة الأحباء، كثيرة وعظيمة هي النعم الإلهية التي من خلالها أدركنا المراحم الغزيرة التي لله الآب والمسيح لأجل خلاصنا، فقد أرسل الآب ابنه لكي يفدينا ويخلصنا ويهبنا الحياة، والابن أيضًا سُرّ بإرساله بأن يدعى «ابن الإنسان» لكي ما نصير نحن أبناء الله. هذا الذي اتسع لكي يرفع الساقطين، وجُرح لكي يشفى جراحاتنا، وصار عبدًا لكي يحرر الذين كانوا عبيداً، واحتاز الموت لكي يهب الحياة الأبدية للمائتين. هذه هي العطايا العظيمة والكثيرة للحب الإلهي.

بل إن عنابة الله ومحبته لم تدرك كلها بعد، إذ أنه منحنا برؤسات وعطایا الفداء، فقد شفى الرب بمجيئه جراحات آدم من سوء الحياة القديمة، وأوصاه ألاّ يعود يخطئ فيما بعد لثلا يكون له أشر، لقد كنا محاصرين ومقيدين بين أمر الرب لنا بالتقاويم، وعجز طبعتنا البشرية أن نفعل شيء ما لم يُسرع الحب الإلهي لمعونتنا مرة أخرى، ويفتح لنا الطريق لتأمين الخلاص من خلال إظهار أهمية أعمال البر والرحمة لكي نغسل - من خلال الصدقة - من الأذناس التي افترفناها مؤخرًا.

٢ - يقول الروح في الكتاب المقدس: «بالرحمة والحق يُستر الإثم» (أم٦:٦)، بالتأكيد ليس المقصود هنا بالإثم الخطايا التي ارتكبت من قبل لأنها سبق وتطهرت وتقدست بدم المسيح. كذلك يقول

أيضاً «الماء يطفئ النار المتهبة والصدقة تكفر الخطايا» (بن سيراخ ٣٣: ٣). هنا يُظهر أيضاً أن حميم ماء الخلاص (في المعمودية) يطفئ نيران جهنّم، كذلك أيضاً بالصدقة وأعمال البر ينطفئ هيب الخطية. وحيث أن الغفران قد منح من قبل في المعمودية. كذلك أعمال الرحمة الدائمة تقوم بعمل شبيه بالمعمودية لأنها تمنحنا رحمة الله مرة أخرى.

وهذا أيضاً ما علِم به الرب في الإنجيل، فعندما تعجب الفريسيون من أن التلاميذ يأكلون بدون أن يغسلوا أيديهم أولاً أحابهم قائلاً: «أليس الذي صنع الخارج صنع الداخل أيضاً؟ بل اعطوا ما عندكم صدقة، فهوذا كل شيء يكون نقى لكم» (لو ١١: ٤٠ و ٤١). وهكذا أوضح لنا السيد المسيح أن الذي ينبغي أن يغسل ليس اليدان بل القلب، فالخارج لا يحتاج إلى تطهير، بل الداخل، والذي طهر الداخل، ليس بحاجة إلى تطهير الخارج، إذ بظهور القلب يصير الجسد طاهراً. علاوة على ذلك فقد أوصانا وأوضح لنا كيف يمكننا أن تكون أنقياء وظاهرين، حين أضاف قائلاً: أنه لابد من الصدقة. الله الرحوم يعلّمنا أن نصنع أعمال الرحمة، لأنه يريد خلاص هؤلاء الذين فداهم بشمن عظيم، لذا فهو يعلّمنا أن من تدنسوا بعد نعمة المعمودية يمكنهم أن يتظهروا من جديد (بأعمال الرحمة والصدقة).

- ٣ - لهذا أيها الإخوة، فلندرك أهمية هذه العطية التي منحتها لنا النعمة الإلهية من أجل تنقية وتطهير نفوسنا من خطاياانا، ليتنا نحن الذين لا نستطيع أن نكون بلا جروح في ضمائرنا، أن نعالج جراحاتنا بالأدوية الروحية، ليت لا أحد يتفاخر بأن له قليلاً طاهراً ونقىً وبطن أنه بسبب نقاوته لا يحتاج لهذا الدواء من أجل جراحاته لأنه

مكتوب: «من يقول إني زكيت قلبي، تطهرت من خططي؟» (أم٢٠:٩)، كذلك يوحنا الحبيب يوضح في رسالته فيقول: «إن قلنا: إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا» (يو١:٨)، فإن كان لا يمكن لأحدًا أن يكون بلا خطية، ومن يقول بغير ذلك فهو إما أن يكون متكبر أو أحمق، إن الرب من غنى مراحمه، إذ علم أن هؤلاء الذين شفوا قبلًا من جراحاتهم لن يعدموا الجروح فيما بعد، لذلك أعطى الأدوية اللازمة للعناية بتلك الجراحات حتى ما يتم الشفاء من جديد.

٤ - أيها الإخوة الأحباء، إن النصيحة الإلهي لم يكُنْ ولم يصمت في أي موضع سواء في العهد القديم أو الجديد عن أن يحثّ شعب الله دائمًا على أعمال الرحمة، كما أن كل من يجاهد على رجاء ملوكوت السموات يدعوه الروح القدس إلى تقديم الصدقة. ويوصي الرب بضم إشعياء: «ناد بصوت عال لا تمسك، ارفع صوتك كبوق وأخبر شعبي بتعذيبهم وبيت يعقوب بخطاياهم» (إش١:٥٨) وبعد أن لامهم الرب على خطاياهم ووضع أمامهم آثامهم عمله قوة غضبه، أوضح لهم أنه لا صلوات لهم ولا تضرعاتهم ولا أصواتهم يمكن أن يجعله يغفر لهم. وحتى لو لبسوا المسوح وجلسوا على الرماد يمكنهم أن يستعطفوا الله، ولكنه في آخر الأمر أظهر لهم أنه فقط بالصدقة يمكن أن يسّر الله: «أليس أن تكسر للجائع خبزك، وأن تدخل المساكين الثالثين إلى بيتك؟ إذ رأيت عرياناً أن تكسوه، وأن لا تغاضي عن حملك. حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك، وتنتص صحتك سريعاً، ويسير برُّك

أمامك، ومجد الرب يجمع ساقتك. حينئذ تدعوا فيجيب الرب. تستغيث  
فيقول: هأنذا» (إش ٥٨: ٧-٩).

٥ - وهكذا أُعطي العلاج الذي نقدم به توبة من خلال  
كلمات الله ذاته، فالوصية الإلهية ترشد الخاطئ إلى ما يجب عليه  
فعله، موضحة له أن الله يُسر بالأعمال الصالحة لأن الخطايا تطهر  
بأعمال الرحمة. وأيضاً نقرأ في يشوع بن سيراخ: «لأجل الوصية أعن  
المسكين وفي عوزه لا ترده فارغاً» (بن سيراخ ١٢: ٢٩). وأيضاً: «من  
يسد أذنيه عن صراخ المسكين فهو أيضاً يصرخ ولا يُستجاب»  
(أم ١٣: ٢١). فلن يستحق رحمة الرب من كان هو نفسه بلا رحمة،  
ولن ينال آية طيبة من الحبة الإلهية من لم يكن رحيمًا تجاه دعاء  
المسكين. هذا الأمر يعلنه الروح القدس ويؤكّد عليه في المزامير بقوله:  
«طوي للذى ينظر إلى المسكين، في يوم الشّرّ ينجيه الرب» (مز ١: ٤).  
وهذا الأمر أيضًا كان في ذهن دانيال عندما كان نبوخذ نصر منزعجاً  
من حلمه فأعطاه دانيال علاجاً حتى يتحبّب الشرور وينال المعونة  
الإلهية فقال له: «لذلك أيها الملك، فلتكن مشوري مقبولة لديك، وفارق  
خطيابك بالبرّ وأثامك بالرحمة للمساكين، لعله يطال اطمئنانك»  
(دا ٤: ٢٧). وعندما لم يعمل الملك بتلك المشورة، عانى الكثير من  
البلايا والمتاعب التي حلّت به والتي كان يمكنه أن يتّجنبها وينجو منها  
لو كان قد افتدى خطياياه من خلال الصدقة.

والملاك رافائيل أيضًا يشهد كذلك بالمثل ويبحث على ممارسة  
الصدقة بكرم وسخاء فيقول: «صالحة الصلاة مع الصوم والصدقة خير

من ادخار كنوز الذهب. لأن الصدقة تنجي من الموت وتحوّل الخطايا» (طه:١٢٨-٩٦). فيوضح أن صلواتنا وأصواتنا قليلة الفائدة ما لم نعوضها بالصدقة. فالملاك يوضح ويكشف ويؤكد أن طلباتنا تكون لها فاعليتها بالصدقة، وأن حياتنا تُفتدي من المصائب بالعطاء، وأن نفووسنا تتحرّر من الموت بالصدقة.

٦- أيها الإخوة الأحباء، نحن نقدم هذه الآيات لكي نركّب شهادة الحق التي قالها الملائكة رافائيل. ففي سفر أعمال الرسل قد ثبت صدق كل ذلك، وعرفنا أنه بالصدقة تتحرّر النفوس، ليس فقط من الموت الثاني، بل من الموت الأول. بدليل ما تم وحدث بالفعل، فعندما أصاب المرض طايثا - التي أوقفت حياتها على الأعمال الصالحة والصدقة - ثم ماتت، استدعي بطرس الرسول وكان جسدها بلا حياة، وفقت حوله الأرامل باكيات ومتوايلات وهن يرينه الأقمعة والثياب التي صنعتها لهن في حياتها، وهكذا تضرّعن من أحلمها، لا بكلامهن بل بأعمالها هي. فشعر بطرس الرسول أن ما يُطلب بهذه الطريقة يمكن الحصول عليه، وأن المسيح لن يتخلى عن هؤلاء الأرامل اللاتي كن يطلبن، إذ كان رب ذاته قد اكتسى بملابس صنعتها له الأرامل. وهكذا عندما جئ بطرس الرسول على ركبتيه وصلّى، وكشفه عن هؤلاء الأرامل والقراء قدم التضرّعات التي حملوه إليها أمام رب، التفت إلى الجسد الموضوع على الفراش وقال: «يا طايثا قومي! باسم يسوع المسيح» (أع:٩٤). فلم يتأخّر رب عن معونة بطرس وهو الذي قال في إنجيله منها طلبتم شيء باسمي يُعطي لكم. وهكذا طرد الموت،

وعادت الروح إلى طابيضاً، ووسط تعجب الجميع، ودهشتهم قام الجسد ودبَّت فيه الحياة من جديد. كم هي قوة استحقاقات الرحمة، وكم أفادت جدًا الأعمال الصالحة!

فتلك التي قدمت المعونة للأرامل التي أحنت عليهن الدهر، استحقت أن تعود ثانية للحياة من خلال توسّلات هؤلاء الأرامل.

- ٧ - لذلك نرى في إنجيل الرب معلم حياتنا ومرشدنا إلى الخلاص الأبدي، الذي وهب الحياة للمؤمنين وقدم لهم كل شيء بعد أن أحياهم، لم يطلب أي شيء مرات كثيرة مثلماً كان يطلب أن نداوم في إعطاء الصدقة وألا نتمسّك بالمقتنيات الأرضية بل بالأولى أن نكنز لنا كنوزاً في السماء إذ يقول: «يعوا أمتعتكم وأعطوا صدقة» (لو ١٢: ٣٣). وأيضاً: «لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء،.... حيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون، لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» (مت ٦: ٩-١٢).

وعندما أراد أن يعلم الرجل الغني الذي حفظ الناموس كيف يكون كاملاً قال له: «إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني» (مت ١٩: ٢١). وفي موضع آخر يقول رب المجد أن أي تاجر للنعمنة الإلهية، يريد أن يقتني الخلاص الأبدي عليه أن يبيع كل ممتلكاته لكي يستري اللؤلؤة الكثيرة الثمن التي هي الحياة الأبدية، التي ثمنها دم المسيح إذ يقول: «أيضاً يُشبه ملوكوت السماوات إنساناً تاجراً يطلب لآل حسنة، فلما

وَجَدَ لِقْوَةً وَاحِدَةً كَثِيرَةَ الشُّمْنِ، مُضِيَّ وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَاهَا» (مت ١٣: ٤٥ و ٤٦).

٨ - وَأَخِيرًا هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَرَاهُمْ مُهْتَمِينَ بِسَاعِدَةِ الْفَقَرَاءِ يَدْعُوُهُمْ أَبْنَاءِ إِبْرَاهِيمَ. فَعِنْدَمَا قَالَ زَكَارِيَّا: «هَا أَنَا يَارَبِّ أَعْطِنِي نَصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَشَيْتَ بِأَحَدٍ أَرْدَ أَرْبَعَةَ أَصْعَافَ» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاصٌ لَهُذَا الْبَيْتِ، إِذَا هُوَ أَيْضًا ابْنُ إِبْرَاهِيمَ» (لو ١٩: ٩ و ٨). فَإِنْ كَانَ «إِبْرَاهِيمَ قَدْ آمَنَ بِاللهِ، وَإِيمَانُهُ هَذَا حُسْبَ لِهِ بَرًا» إِذَا بِالْتَّأْكِيدِ كُلُّ مَنْ يَتَبعُ تَعْلِيمَ اللهِ وَيَعْطِي صَدْقَةً يُؤْمِنُ أَيْضًا بِاللهِ، وَمَنْ لَهُ صَدْقَ الإِيمَانِ يَحْفَظُ مَخَافَةَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يَحْفَظُ مَخَافَةَ اللهِ، يَرَاعِي اللهَ فِي إِظْهَارِ الرَّحْمَةِ لِلْفَقِيرِ، وَهُوَ يَفْعُلُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ وَيَعْرُفُ أَنَّ الْكِتَابَ الْمَقْدِسَ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَكْذِبَ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ غَيْرُ الْمُنْتَرَةِ، أَيْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا تُمْرِنُ لَهُمْ، يُقْطَعُونَ وَيُلْقَوْنَ فِي النَّارِ، وَأَمَّا الرَّحْمَاءُ فَيُدْعَوْنَ إِلَى الْمَلَكُوتِ.

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ بَدَعَوْنَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ أَعْمَالًا صَالِحةً «مُؤْمِنِينَ»، وَعَنْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ بِلَا ثُمَرٍ أَنْهُمْ بِلَا إِيمَانٍ «فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أَمْنَاءَ فِي مَالِ الْظُّلْمِ، فَمَنْ يَأْتِنُكُمْ عَلَى الْحَقِّ؟ وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أَمْنَاءَ فِي مَا هُوَ لِلْغَيْرِ، فَمَنْ يَعْطِيكُمْ مَا هُوَ لَكُمْ؟» (لو ١٦: ١٢ و ١١).

٩ - أَمَّا تَلْكَ المَخَاوِفُ الَّتِي تَتَتَابُ الْبَعْضُ مِنْ أَنْ يَفْتَقِرُ لِوَاعْطِي صَدْقَةَ بِسْخَاءِ، فَكَوْنُوا مَطْمَئِنِينَ وَلَا تَنْزَعُوهُمْ مِنْ جَهَةِ هَذَا الْأَمْرِ، فَإِنْ مَا يَنْفَقُ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ، وَلِأَجْلِ تَنْتَمِيمِ عَمَلِ السَّمَاءِ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَفْرَغَ أَبَدًا، إِنَّ هَذَا الْوَعْدَ لَيْسَ مِنْ عِنْدِي، بَلْ هُوَ مِنْ اللهِ (الْأَسْفَارُ

المقدسة). فالروح القدس تكلم على فم سليمان قائلاً: «من يعطي الفقير لا يحتاج، ولمن يحجب عنه عينيه لعنات كثيرة» (أم٢٨: ٢٧). موضحاً أن الرحماء وفاعلي الخير لن يمكن أبداً أن يكونوا في عوز، لكن على العكس، البخلاء والخائفون على ما لديهم، سوف يجدون أنفسهم فيما بعد في فقر واحتياج.

هكذا يقول الطوباوي بولس الممتلىء نعمة: «والذي يقدم بذاراً للزارع وخيزاً للأكل، سيقدم ويكثر بذاركم وينمى غلات برّكم. مستغنين في كل شيء» (كو٩: ١٠ و ١١). وأيضاً: «لأن افتعال هذه الخدمة ليس يسد إعواز القديسين فقط، بل يزيد بشكر كثير الله» (كو٢: ٩)، وذلك لأن الفقير يشكر الله كثيراً لأجل عطياتنا وأعمالنا الصالحة، فيزداد العنى لفاعلي الخير كمكافأة لهم من عند الرب، والإنجيل إذ ينظر إلى قلوب هؤلاء الناس يشجب قليلي الإيمان وغير المؤمنين ويقول: «فلا تهتموا قائلين: ماذا نأكل؟ أو ماذا نشرب؟ أو ماذا نلبس فإن هذه كلها تطلبها الأمم. لأن آباءكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها. لكن اطلبوا أولاً ملكتوت الله وبره، وهذه كلها تزاد لكم» (مت٦: ٣١-٣٣). فكل شيء سوف يعطى ويزاد لمن يطلبون ملكتوت الله وبره، فعند مجيء يوم الدينونة، سيتقدّم هؤلاء الذين تعبوا في كنيسته وصنعوا أعمالاً صالحة لنواب الملوك.

١٠ - ليتك لا تخشى أن تخسر ميراثك الأرضي لو بدأت تتصدّق منه بسخاء، ألا تعلم أيها الإنسان البائس أنك بينما تخشى أن تفقد ثروتك، تخرب حياتك ذاتها وخلاصك. وبينما أنت قلق من أن

تقلص ممتلكاتك، لا تنتبه إلى أنك أنت ذاتك الذي تحب المال أكثر من نفسك، وأنك ضحيت بنفسك لأجل المال، لذلك حسناً يعلن الرسول ويقول: «لأننا لم ندخل العالم بشيء، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء؛ فإن كان لنا قوت وكسوة، فلنكتف بهما. وأماماً الذين يريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة، تُغرق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور، الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة» (١٠-٦٧).<sup>٦١</sup>

١١ - هل تخشى أن تفرغ ثروتك متى بدأت تتصدق بسخاء؟ متى حدث أن احتاج إنسان بار لمعيشته؟ أليس مكتوب: «الرب لا يُجيع نفس الصديق» (أم ١٠: ٣)؟ فإيليا كانت الغربان تُطعمه في البرية، ودانيل عندما ألقى في جب الأسود بأمر الملك أعدت له وجبة من السماء (انظر تتمة دا ١٤: ١٣-٣٨). وبينما أنت تفعل الصلاح، وتستحق الخير من الله، تخشى لولا يعوزك الطعام! إن الله يشهد في الإنجيل ويوبخ أصحاب الأذهان المتشككة وقليلي الإيمان ويقول: «انظروا إلى طيور السماء: إنها لا تزرع ولا تقصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. أنتم أنتم بالحربي أفضل منها؟» (مت ٦: ٦).<sup>٦٢</sup>

إن الله يُطعم الطيور والعصافير التي لا تدرك تلك الأمور الإلهية، بل وحتى الخليقة التي لا مشاعر لها، فالمأكل أو الشراب لا ينقصها أبداً، هل تعتقد أنك - وأنت مسيحيّ وخدم الله ومكرّس في عمل الخير وعزيز جداً عند الله - أنك سوف تكون في عوز؟

١٢ - هل يمكن أن يفكر الإنسان هكذا، أن يظن من يعطي طعاماً لل المسيح، أن المسيح لن يطعمه؟ وإن أولئك الذين أعطوا أموراً سماوية وإلهية أنهم سوف يعتازون إلى الأشياء الأرضية!! من أين يأتي هذا الفكر الخالي من الإيمان؟ من أين يأتي هذا الفكر الدين؟ ما الذي يفعله مثل هذا القلب المجادل، في بيت الإيمان؟ وكيف يُدعى مسيحيًا من لا يؤمن بال المسيح على الإطلاق؟ إن لقب «فريسي» يليق به بالأكثر!

فالرب حينما تحدث في الإنجيل عن الصدقة سبق وعلّمنا لأجل خلاصنا بأنه يجب علينا أن نصنع لأنفسنا أصدقاء بمال الظلم حتى تُقبل في المظال الإبدية، أضاف الكتاب بعد ذلك: «وكان الفريسيون أيضًا يسمعون هذا كله وهم محبون للمال فاستهزأوا به» (لو ١٤: ١٦). فحن نرى الآن مثل هؤلاء في الكنيسة. هؤلاء الذين أغلقوا آذائهم وأعموا قلوبهم، فلم يصغوا إلى التحذيرات الروحية المخلصة، لذا يجب علينا ألا نتعجب إن كانوا يزدرؤوا بالخادم حينما يتكلّم عن هذه الأمور، فأمثال هؤلاء قد استهزأوا بالرب ذاته.

١٣ - لماذا تسمع لهذه الأفكار الحمقاء والفارغة أن تأخذ مكانها فيك؟ وتحمل تحفوك وقلفك من المستقبل يمنعك من فعل الخير؟ لماذا تتصرّر هذه الخيالات والأوهام حتى تحد لنفسك عذرًا واهيًّا؟ فلتتعرف بالحقيقة واكتشف خفايا قلبك، لأنك لا تستطيع أن تخدع العارفين. لقد أطبقت الظلمة على ذهنك، وتسرّب النور إلى خارجك، فظلمة الطمع العميق قد أعمت قلبك الجسدي: فأصبحت

عبد وأسير لمالك ولمقناتك، أنت مربوط بسلاسل وقيود الطمع،  
أنت الذي حررك المسيح، عُدت ثانية إلى أسرك وسحنك، عُدت  
تدخل المال على الرغم من أن ادخارك له لن يخلصك. أنت تقدس  
الثروة التي تشق كاهلك بحملها الثقيل، ألا تذكر ما قاله الله للرجل  
الغنى الذي كان يتباها بمحاصده الوفير: «يا غي هذه الليلة تطلب نفسك  
منك. فهذه التي أعددتها لم تكون؟» (لو ١٢: ٤٠). لماذا تُطيل التفكير  
في غداك، إنك كلما صرت غنياً في نظر العالم، كلما ازدادت فقرًا  
في عيني الله؟ اقتسم أرباحك مع الرب إلهك، اجعل المسيح شريكًا  
في كل مكاسبك، اجعل المسيح شريك لك في ممتلكاتك الأرضية  
لكيما يجعلك هو أيضًا وريث معه في ملكته السماوي.

١٤ - فأنت يا من يظن نفسه غنياً في العالم، أنت ضالٌّ ومخدوِّع،  
اسمع صوت الرب في سفر الرؤيا عندما يوبخ مثل هؤلاء قائلاً:  
«لأنك تقول: إني أنا غني وقد استغنيت، ولا حاجة لي إلى شيء، ولست  
تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان. أشير عليك أن  
تشتري مني ذهبًا مصفى بالنار لكي تستغنى، وثيابًا بيضاء لكي تلبس، فلا  
يظهر خزي عريتك. وكحل عينيك بكحل لكي تبصر» (رؤ ٣: ١٧ و ١٨).  
لذلك يا من أنت غني وثرى، اشتري لنفسك ذهبًا مصفى بالنار  
من المسيح، حتى تكون أنت ذهباً نقى. وتكون أدناسك قد حُرقَت  
كمًا لو بنار، إذ تطهرت بالصدقة والأعمال الصالحة. اشتري لنفسك  
ثيابًا بيضاء لكي ترتدي ثوب المسيح الأبيض يا من كنت عرياناً مثل  
آدم وكان منظرك بشعاً لا يليق.

وأنت أيتها السيدة الغنية والشريعة، كحّلي عينيك، لا بكم  
الشيطان بل بكم المسيح حتى يمكنك أن تنظر إلى رب عندما  
تستحقين الخير منه بسلوكك وأعمالك الحسنة.

١٥ - وأنت يامن لا تستطيع أن تعمل الأعمال الصالحة في الكنيسة لأن عينيك قد أحاط بها السواد وتغطت بظلال الليل. فلم تعد ترى الفقراء والمحاجين. هل تعتقد أيها الغني - يا من لا يجول بفكرك بالمرة صندوق العطاء. يامن تأتى إلى عيد الرب بدون ذبيحة، يا من تشارك الفقير في الذبيحة التي يقدمها؟ انظر الكتاب المقدس فترى أرملة فعلت الصلاح في وسط ضغوط ومشقات الفقر. إذ ألقت في الخزانة فلسين كاتا هما كل ما تملكه، وعندما رآها رب نظر إلى عملها، ولم ينظر إلى مقدار العطية، بل رأى قيمة هذا العمل وقدره كثيراً وأحباب قائلًا: «بالحق أقول لكم: إن هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر من الجميع، لأن هؤلاء من فضليتهم ألقوا في قرابين الله، وأمام هذه فمن إعوازها، ألقت كل المعيشة التي لها» (لو ٢١: ٣٤). فطوبى لهذه المرأة، التي استحقت قبل يوم الدينونة أن يمدحها صوت الديان! فليخز الغني من سلوكه هذا.

فها أرملة فقيرة تعطى، وجدت عظيمة للغاية في محبتها، في حين أن كل شيء يتصدق به الناس إنما يعطى عادة للأرامل والأيتام، إلا أنها أعطت، فالتي كان يجب أن تأخذ هي التي أعطت. ومن هنا يمكن أن نعرف كم هي رهيبة مجازاة الأغنياء والبخلاء، إن هذا الموقف يُرينا أنه حتى الفقراء أيضاً يستطيعوا أن يفعلوا الخير. ولکیما

ندرك أن هذه الأعمال الصالحة مقدمة لله، وأن من يفعلها يستحق الثناء منه. انضروا المسيح إنه يدعو تلك العطايا «قراين الله». ويشير إلى أن الأرملة وضعت فلسين في «قراين الله». وهذا يوضح جلياً أن من يعطف على المسكين يُقرض الله.

١٦ - أيها الإخوة الأحباء، قد يظن البعض أنه يستطيع التماس العذر في عدم قيامه بأعمال الرحمة والصدقة، لأن لديهم أطفال، فمثل هذا التفكير يقيد المسيحي أحياناً ويعنده عن عمل الخير. لكننا في العطايا الروحية يجب أن نضع في اعتبارنا أن المسيح هو الذي ينالها (غير الصدقة للفقراء)، فنحن لا نفضل رفقائنا في العبودية على أولادنا، ولكننا نفضل رب عليهم، إنه يحدّرنا بقوله: «من أحب آبَا أو أمًا أكثر مني فلا يستحقني» (مت ١٠: ٣٧). وأيضاً في سفر التثنية كتب عن قوة الإيمان ومحبة الله: «الذى قال عن أبيه وأمه: لم أرهما، وبأخته لم يعترف، وأولاده لم يعرف، بل حفظوا كلامك وصانوا عهدهك» (تث ٣٣: ٩). لأنه لو كانت نحب الله من كل القلب، فينبع علينا إلا نفضل الوالدين أو الأولاد على الله.

وهذا أيضاً ما يوضحه يوحنا الحبيب في رسالته، أن محبة الله لا توجد في من لا يريدون فعل الخير للفقراء: «وأيّاً من كان له معيشة العالم، ونظر أخاه محتاجاً، وأغلق أحشاءه عنه، فكيف تثبت محبة الله فيه؟» (١يو ٣: ١٧).

فإن كنا بعطائنا للفقراء نجعل الله مدينا لنا، فإن الذي يقدم لهؤلاء الأصغر، إنما يقدم للمسيح ذاته، فلا يوجد مبرر لأي أحد

أن يفضل الأرضيات على السماويات ولا أن يضع الأمور البشرية فوق الأمور الإلهية.

١٧ - لذلك عندما نقرأ في سفر الملوك الأول عن أرملة صرفة صيدون، التي عندما فرغ كل شيء بسبب الجحاف والجفاعة، ولم يعد لديها سوى ملء كف من الدقيق في الكوار وقليل من الزيت في الكوز لتعمل كعكة تأكلها هي وابنها ثم تموت، جاء إيليا وأسألاها أن تصنع له أولاً كعكة ليأكل ثم بعد ذلك تأكل هي وابنها مما تبقى. لم تتردد الأرملة في إطاعته ولا وضعت ذاتها وابنها فوق إيليا، رغم أنها كانت جائعة ومحتجة، إلا أنها أعطت إيليا قبل ابنها. لقد صنعت هذه الأرملة عملاً مرضيًّا لله، فما طلب منها أعطته في الحال وبجانبها، لم يكن عطاءها من فيض بل من احتياج وعوز شديد، وبينما كان ابنها يتضور جوعاً فضلت عليه آخر أبي إيليا، ولم تسمح للإحتياج أو الجوع أن يهزم الرحمة. فمن أجل عمل الخير استهانت بالحياة حسب الجسد، من أجل أن تحفظ روحانية النفس، لذلك أظهر إيليا - الذي يرمز للمسيح - أن المسيح بحسب رحمته يعطي كل أحد جعلته إذ قال: «لأنه هكذا قال رب إسرائيل: إن كوار الدقيق لا يفرغ، وكوز الزيت لا ينقص، إلى اليوم الذي فيه يعطي رب مطرًا على وجه الأرض» (مل ١٤: ١٥ و ١٧).

وبحسب إيمانها بالوعد الإلهي، تضاعفت وتزايدت هذه الأشياء التي قدمتها، وأثر عملها البار ورحمتها التي أظهرتهما، ولم يفرغ كوار الدقيق ولم ينقص كوز الزيت. إن هذه الأم لم تكن تعرف المسيح بعد، ولا سمعت تعاليمه، ولا كانت تقدم الطعام والشراب عرفاناً

لدمه كمن افتداهم المسيح بصلبيه وألامه. فكم بالحربي يسيء لل المسيح هؤلاء الذين يضعون أنفسهم وأولادهم قبل المسيح ويدخرون ثروتهم ولا يشركوا الفقراء المعززين في ميراثهم الأرضي الوفير.

١٨ - قد تقول أن لك أبناء كثيرين في بيتك، وأن كثرتْهم هذه تمنعك من أن تُقدم على فعل الخير. إنك بهذه الحقيقة ذاتها ينبغي عليك بالأكثـر أن تُكثـر من فعل الخير، إذ أنك أب لأولاد كثـيرين. ويوجـد كثـيرين تطلبـ من أحـلـهمـ أمامـ الـربـ، وـكـماـ أـنـهـ فيـ هـذـهـ الـحـيـاةـ كلـمـاـ اـزـدـادـتـ بـالـأـكـثـرـ نـفـقـاتـكـ منـ أحـلـ مـطـالـبـ الـحـيـاةـ، هـكـذـاـ أـيـضـاـ فيـ الـحـيـاةـ الـرـوـحـيـةـ كلـمـاـ زـادـ عـدـدـ أـبـنـائـكـ كلـمـاـ كـانـ عـلـيـكـ أـنـ تـرـدـادـ فيـ الـأـعـمـالـ الصـالـحةـ. هـكـذـاـ كـانـ أـيـوبـ يـقـدـمـ ذـبـائـحـ عـدـيـدةـ لـأـحـلـ أـوـلـادـهـ. وـبـقـدـرـ ماـ كـانـ عـدـدـ أـوـلـادـ كـبـيرـاـ كـانـتـ ذـبـائـحـهـ أـكـثـرـ. لـأـنـهـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـمـضـيـ يـوـمـ دـوـنـ أـنـ يـخـطـئـ أحـدـهـ أـمـامـ الـرـبـ، هـكـذـاـ كـانـتـ لـاـ تـنـقـطـعـ الذـبـائـحـ يـوـمـيـاـ. وـالـكـتـابـ الـمـقـدـسـ يـرـهـنـ عـلـيـ ذـلـكـ بـقـولـهـ: «وـوـلـدـ لـهـ سـبـعـ بـنـينـ وـثـلـاثـ بـنـاتـ... وـكـانـ لـاـ دـارـتـ أـيـامـ الـوـلـيمـةـ، أـنـ أـيـوبـ أـرـسـلـ فـقـدـسـهـمـ، وـبـكـرـ فيـ الـغـدـ وـأـصـدـ مـحـرـقاتـ عـلـيـ عـدـدـهـ كـلـهـمـ» (أـيـ ٢: ٥ـ ٦ـ).

لـذـلـكـ، إـذـ كـنـتـ حـقـاـ تـحـبـ أـوـلـادـكـ، وـإـذـ كـنـتـ تـرـيـدـ أـنـ تـظـهـرـ لـهـمـ عـنـ عـذـوبـةـ حـبـ الـأـبـويـ، فـيـنـبـغـيـ لـكـ أـنـ تـعـمـلـ أـعـمـالـ صـالـحةـ أـكـثـرـ حـتـىـ تـسـتـوـدـعـ أـوـلـادـكـ لـدـىـ اللـهـ بـأـعـمـالـكـ الـبـارـةـ.

١٩ - لا تـعـتـيرـ منـ هوـ زـائـلـ وـضـعـيفـ، أـبـ لـأـوـلـادـكـ، بلـ اـقـنـ الـرـبـ الـذـيـ هوـ الـأـبـ الـأـبـديـ وـالـقـوـيـ لـأـبـنـاءـ رـوـحـيـنـ. سـلـمـ لـهـ كـلـ

ثروتك التي تحفظها. اجعله وصيًّا على أبنائك ليكون هو حافظهم من كل آلام هذا العالم، فعندما تُوكِل لله أمر ثروتك لن تصادرها الدولة أو يستولى عليها جباه الضرائب ولن تخسرها خلال الدعاوى القضائية، لأن الميراث كله في عنابة الله، هذا هو معنى الحبيطة، هو أن تعمل لأجل ورثتك في المستقبل بالحب الأبوى، وحسبما يقول الكتاب: «كنت فقى وقد شحت، ولم أر صديقاً تخلى عنه، ولا ذرية له تلتئس خبزاً. اليوم كله يتراءف ويقرض، ونسله للبركة» (مز ٣٧: ٢٥ و ٢٦). وأيضاً: «الصديق يسلك بكماله، طوبى لبنيه بعده» (أم ٢٠: ٧).

فإن كنت كأب تُعتبر مذنب وحائِن ما لم تنتَلِع بِإِحْلَاصٍ مِنْ أَجْلِ مَصْلَحةِ أَوْلَادِكَ، وَمَا لَمْ تَعْكُفْ عَلَى خَلَاصِهِمْ بِمَحْبَةِ حَقِيقِيَّةٍ. لماذا تلهف على الثروة الأرضية أكثر من الثروة السماوية؟ لماذا تفضل أن تستودع أولادك للشيطان بدلاً من المسيح؟ إنك تخطئ مرتين وترتكب جريمة مضاعفة ومزدوجة لأنك لا توفر لأبنائك عنابة الله أَيْهُمْ، ولأنك تعلمهم أن يحبوا ممتلكاتِهِمْ أكثر من المسيح.

- ٢٠ - إن الآباء يجب أن يتشبهوا بطوبيا، وأن يعطوا أبناءهم وصايا نافعة لخلاصهم كما أعطى طوبيا لابنه حينما قُتل: «اسمعوا يا بني لأبيكم، اعبدوا الرب بحق وابتغوا عمل مرضاته وأوصوا بنيك بعمل العدل والصدقات وأن يذكروا الله وبيار كوه كل حين بالحق وبكل طاقتهم» (طه ١٤: ١١ و ١٠)، وأيضاً: «وأنت فليكن الله في قلبك جميع أيام حياتك واحذر أن ترضى بالخطيئة وتتعذر وصايا الرب إلينا. تصدق

من مالك ولا تحول وجهك عن فقير وحيينه فوجه الرب لا يحول عنك.  
كن رحيمًا على قدر طاقتك، إن كان لك كثير فابذل كثيراً وإن كان لك  
قليل فاجتهد أن تبذل القليل عن نفس طيبة فإنك تدخل لك ثواباً جميلاً إلى  
يوم الضرورة لأن الصدقة تجني من كل خطيئة ومن الموت ولا تدع  
النفس تصير إلى الظلمة. إن الصدقة هي رجاء عظيم عند الله العلي جميع  
صانعيها» (ط٤: ٦-١٢).

٢١ - أي نوع من العطايا - أيها الإخوة الأعزاء - يكون تقديمها  
أمر عظيم في عين الله؟ عند الأمم تعد تقدمات كريمة لتقديمها إن  
كان الإمبراطور أو الحاكم حاضراً، والذين يقدمونها يكونون في  
أبهى زينة، فكم يكون أعظم جداً وأكثر مجدًا هو مجد التقدمة  
الكريمة التي فيها يكون الله حاضراً؟ لابد أن تكون الزينة أعظم  
وأغلى بكثير عندما تكون قوات السماء مجتمعة في هذا المشهد،  
عندما تجتمع الملائكة، فالمكافأة ليست مركبة ذات أربع خيول، أو  
ترشيح لمنصب في الإمبراطورية أو حلافة، بل نوال الحياة الأبدية،  
عندما يكون السعي ليس وراء رضى الناس الزائل، بل وراء الجعلة  
الدائمة للملكوت السموات.

٢٢ - أمّا الكسالي الذين لا يتبعون ولو بالقليل في الأعمال  
الصالحة بسبب حبهم للمال، فليكن لهم الخزي، ليضع كل واحد  
فيهم أمام عينه: الشيطان<sup>(١)</sup> مع أعونه - أي مع الحالكين - وهو منطلق

(١) في هذه الفقرة يتخيل القديس كيريلوس حواراً موجهاً من الشيطان إلى المسيح بعرض فيه مقارنة بين  
رد الفعل الحاصل للإنسان بحاجة الله، وعلى الجانب الآخر مسيرة الإنسان للشيطان رغم كراهية الأخير له.

إلى الوسط مستثيراً أتباع المسيح - والمسيح نفسه حاضر ويدين. والشيطان يقارن متحدياً قائلاً: «لأجل هؤلاء الذين ترون معي، لم أقبل الضربات ولم احتمل الجلد ولم أحمل الصليب ولا سفك دمي ولا افديت عائلتي بالآلام والدم، أيضاً لم أعدهم بالملائكة السماوي ولا أدعوهم مرة أخرى إلى الفردوس ومع ذلك ما أعلى وأفخر الهدایا التي يحضرونها لي، وكم من تعب يتبعونه من أجلي، إما برهن أو بيع مقتنياتهم في سبيل تدبير هذه العطية. أظهر أيها المسيح أتباعك الذين يعطون، هؤلاء الأغنياء، هؤلاء الأثرياء بشراء فاحش إن كانوا يعطون في الكنيسة - حيث أنت قائم وتنظر - بعد رهن أو توزيع ممتلكاتهم (على الفقراء)، نعم بعد تحويلها إلى وضع أفضل، إلى كنوز سمائية.

فيما يخصنى هي مشاهد أرضية زائلة، لم يتم إطعام أو كساء أحد، ولن يُعالَج أحد لا بطعام أو شراب، كل شيء تم تقديمه لحسابي كان بين جنون من يستعرض عطاياه وضلال المترفرج.

ولكن في وسط فقراي (أيها المسيح) فأنت مكسياً وشبعاناً وأنت تَعْد هؤلاء الذين يعطون الصدقة بالحياة الأبدية. ورغم أنك تكرّمهم عِكافات إلهية ومحازاة سعادوية فنادرًا ما يتساوى أتباعك مع أتباعي».

- ٢٣ - لماذا تجربوا عن كل هذا أيها الإخوة الأعزاء؟ بأي طريقة ندافع عن البخل وأذهان الأغنياء التي يغطيها ظلام الليل، بأي عذر نبرئهم نحن الذين أقل من خدام إيلليس (في العطاء له)؟ إذ أننا لا

بخاري ولو بالقدر الضئيل لأجل ثمن آلامه ودمه؟ لقد أغضى لنا  
 الرب وصاياه، وعلّمنا ما يجب أن يفعله خدامه واعداً إيانا بالأحر  
 لكل من يعطي صدقة ومهدداً بالعقاب للبخيل. لقد أوضح حكمه  
 وأنباً بما ستكون عليه دينونته. أى عذر يمكن أن يوجد لمن لا يعمل  
 هكذا؟ أى دفاع سيكون للبخيل؟ ما لم يفعل العبد ما أمره به الرب،  
 سينفذ الرب ما هدد به. فقد قال: «مَنْ جَاءَ إِبْنَ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ  
 وَجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَذِلَّ بِجَلْسٍ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ  
 أَمَامَهُ جَمِيعُ الشَّعُوبِ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِيُّ الْخَرَافَ مِنْ  
 الْجَدَاءِ، فَيَقِيمُ الْخَرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجَدَاءِ عَنِ الْيَسَارِ. ثُمَّ يَقُولُ الْمَلَكُ لِلَّذِينَ  
 عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالُوْا يَا مَبَارِكَيَّ أَبِي، رُثَوا الْمَلَكُوتُ الْمَعْدُ لَكُمْ مِنْذِ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ.  
 لَأَنِّي جَعَتُ فَاطِعَمَتُمُونِي. عَطَشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَأَوْتَمْوَنِي.  
 عَرِيَانًا فَكَسُوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَرَرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمُ إِلَيَّ. فِي جَيْهِ الْأَبْرَارِ  
 حِينَذِلَّ قَاتِلِينَ: يَارَبُّ، مَنْ رَأَيْنَاكَ جَائِعًا فَاطَعَمْنَاكَ. أَوْ عَطَشَانًا فَسَقَيْنَاكَ؟  
 وَمَنْ رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَأَوْتَيْنَاكَ، أَوْ عَرِيَانًا فَكَسُونَاكَ؟ وَمَنْ رَأَيْنَاكَ مَرِيضًا أَوْ  
 مَحْبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ فِي جَيْهِ الْمَلَكِ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنْكُمْ  
 فَعَلْتُمُوهُ يَاحِدٌ أَخْوَيْ هَؤُلَاءِ الْأَصْغَارِ، فَيَقُولُونَ.

ثُمَّ يَقُولُ أَيْضًا لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِي يَا مَلَائِكَةِ النَّارِ الْأَبْدِيَّةِ  
 الْمَعْدَةِ لِإِبْلِيسِ وَمَلَائِكَتِهِ، لَأَنِّي جَعَتُ فَلَمْ تَطْعَمْنِي. عَطَشْتُ فَلَمْ تَسْقِنِي.  
 كُنْتُ غَرِيبًا فَلَمْ تَأْوِنِي. عَرِيَانًا فَلَمْ تَكْسُوْنِي. مَرِيضًا وَمَحْبُوسًا فَلَمْ تَزُورْنِي.  
 حِينَذِلَّ يَجْسِيُونَهُ هُمْ أَيْضًا قَاتِلِينَ: يَارَبُّ، مَنْ رَأَيْنَاكَ جَائِعًا أَوْ عَطَشَانًا أَوْ  
 غَرِيبًا أَوْ عَرِيَانًا أَوْ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا وَلَمْ نَخْدِمْكَ؟ فِي جَيْهِهِمْ قَاتِلًا: الْحَقُّ أَقُولُ  
 لَكُمْ: بِمَا أَنْكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ يَاحِدٌ هَؤُلَاءِ الْأَصْغَارِ، فَيَقُولُونَ. فَيَمْضِي

هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية» (مت ٢٥: ٣١-٤٦).

أي إعلان أعظم وأكثر وضوحاً من هذا؟ بأي شيء كان يمكنه أن يمحتنا على أعمال البر والرحمة أعظم من قوله أن كل ما نعطي للحتاج والفقير إنما نقدمه له شخصياً، وبقوله أن عدم مساعدتنا للفقير هي إساءة له هو نفسه، إن من هو في الكنيسة ولا تتحرك أحشائه تجاه أخيه عليه أن يتأمل في المسيح الذي في أخيه، والذي لا يهتم برفيقه في العبودية أثناء الضيق أو الاحتياج، فليعلم أن الرب في ذلك الشخص الذي يزدرى به.

٤ - هكذا أيها الإخوة الأحباء، أنتم الذين تخافون الله، الذين رفضتم ودستم العالم تحت أقدامكم ورفعتم عقولكم إلى أعلى إلى أعظم الأمور الإلهية، فلنقدم طاعة بإيمان تام وعقول مكرسة وأعمال صالحة دائمة، لتناول رضى الرب.

فلنلعنط ثياباً للمسيح على الأرض لتناول ثياب السماء، فلنقدم طعاماً وشراباً من هذه الأرض لكي ما نأتي إلى الوليمة السمائية مع إبراهيم وإسحق ويعقوب، فلنذر بفيض وغزارة حتى نتناول حصادةً عظيماً، فلنفكر في حياتنا وخلال صناعي، كما ينصح الرسول بولس قائلاً: «فإذا حسيمنا لفرصة، فلتعمل الخير للجميع، ولا سيما لأهل الإيمان فلا نفشل في عمل الخير لأننا ستحصد في وقته إن كنا لا نكل» (غلا ٦: ٩ و ١٠).

٥ - لنتظر أيها الإخوة الأحباء ماذا فعل المؤمنين (في أيام الرسل) إذ كانت قلوبهم منذ البداية عامرة بفضائل عظيمة، عندما

كان إيمانهم حاراً وحمية الإيمان تعمل فيهم. آنذاك باع المؤمنون ببيوتهم وأملاكهم وقدموها بارادتهم كل ما يملكونه للرسل كي يوزعوه على الفقراء. لقد باعوا مقتنياتهم الأرضية وزعوا ميراثهم الأرضي إلى حيث سيدحبون ليعيشوا إلى الأبد، هكذا كان جهادهم وفيضهم في الأعمال الصالحة ووحدتهم في الحب كما نقرأ في سفر الأعمال: «وكان جمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركاً» (أع ٤: ٣٢).

هذا بالحق يعني أن تصير ابنًا لله بقوه الميلاد الروحاني، وأن نقتدي بعدل الله الآب بناموس سماوي، لأن كل ما هو للجميع، ولا يستثنى أحد من عطياته ونعمه، كي يصير للجنس البشري كله نصيباً متساوياً في صلاح الله وسخائه.

لذلك ينير النهار بنوره للجميع، والشمس تعطى للجميع بهاءها، والمطر ماءه، والريح نفختها، وهناك نوم واحد لكل من ينامون، وشعاع واحد من النجوم... وفي مثال المساواة هذا، هؤلاء الذين على الأرض والذين يقتسمون ما يمتلكونه مع إخوتهم، والذين هم أحجار وأبرار في عطياتهم للجميع إنما يتشبهون بالله الآب.

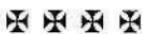
٢٦ - أيها الإخوة الأحباء كم سيكون مجد هؤلاء المحبين المتعطفين؟ كم سيكون فرح عظيم عندما يفرز الرب شعبه ويوزع المكافآت بحسب فضائلهم وأعمالهم الصالحة كما وعد، عندما يبدأ يعطي العطايا السماوية عوضاً عن الأرضية، الأبدية عوضاً عن الزمانية، العظيمة عوضاً عن التافهة؟ عندما يقدمنا للآب الذي

استعادنا له بتقدّيسه؟ سيهينا عطية الحياة الأبديّة غير المائة التي  
أعطيت لنا مرة ثانية بدمه الحبي، ويقودنا إلى الفردوس ويفتح لنا  
ملوكوت السموات.

علينا أن نحفظ هذه الأمور في أفكارنا ونفهمها في ملء الإيمان،  
ونحبها بكل قلوبنا ونشتريها بعزم الروح التي تظهر في أعمالنا  
الدائمة، أي أعمال الحب والرحمة، تلك الأعمال المحبة الإلهية التي  
هي تعزية المؤمنين الكبار، هي حامية لرجائنا، ضرورية للضعف،  
ومحيدة للقوى، وبها ينال المسيحيون النعمة الروحية.

فلن Jihad بفرح بلا كليل لأجل إكليل أعمال الخير، لنسعى كلنا  
في ميدان البر حيث يتطلع الله والمسيح علينا، ولا نترافق في جهادنا  
لأجل أية رغبة في هذه الحياة أو في هذا العالم، نحن الذين أصبحنا  
أعظم من هذه الحياة وهذا العالم.

فإذا جاء يوم المكافأة أو يوم الإضطهاد ونحن مستعدون في  
ميدان الأعمال الصالحة هذه، فلن يتأخر الرب عن أعطاء المكافأة  
حسب استحقاقنا. في زمان السلام سيهينا نحن الفائزين إكليلاً  
أبيض لأجل أتعابنا، وفي زمان الإضطهاد، سوف يهب إكليلاً  
أرجوان لأجل آلامنا.



## فائدة الصبر

١ - أيها الإخوة الأحباء، حينما تتكلّم عن الصبر ومزايده وفوائده، فمن أين نبدأ إلا من هذا الواقع، إذ أنكم تحتاجون إلى الصبر ولا سيما الآن حق تستطيعوا أن تصغوا وتعلّموا. إذ بدون الصبر لا يستطيع أحد أن يتعلّم كلمة الله وطريق الخلاص.

إن لا أجد أيها الأحباء، وسيلة أخرى بين كل وسائل النظام السماوي أكثر أهمية لأجل حياتنا ومجданنا من التمسك بوصايا الله بطاقة نابعة من المخافة والتكرّيس، وعلى وجه الخصوص أن ندرك أهمية إحتياجنا إلى الصبر.

٢ - الفلاسفة أيضًا يدعون ممارسة هذه الفضيلة، وإن كان صبرهم هذا كاذب وزائف كما حكمتهم أيضًا، إذ كيف يمكن أن يكون حكيمًا أو صبورًا من لا يعرف حكمة أو صبر الله؟ إذ أن الله نفسه، يحذر أولئك الذين يعتقدون بأنهم حكماء في أعين أنفسهم في هذا العالم فيقول: «فتَبَيِّنْ حِكْمَةَ رَبِّكُمْ وَلَا يَخْفَى فَهْمَاهُ» (إش ١٤:٢٩)، وبالمثل يعلن بقوة الطوباوي بولس الرسول، الممتلىء من الروح القدس والرسل ليذعن ويعلم الأمم: «انظروا أن لا يكون أحد يسبّكم بالفلسفة وبغرور باطل، حسب تقليد انسان، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح» (كور ٨:٢)، وفي موضع آخر يقول: «لا يخدعن أحد نفسه. إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر، فليضر جاهلاً لكي يصير حكيمًا! لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله،

لأنه مكتوب: الآخذ الحكماء بعكرهم وأيضاً: الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة» (كوا ٣١-١٨: ٢٠).

لهذا فالحكمة التي لديهم ليست حقيقة، وكذلك الصير لا يمكن أن يكون حقيقياً. فلكي يكون الإنسان صبوراً يجب أن يكون متواضعاً ووديعاً، وإذا كنا على عكس ذلك نجد أن هؤلاء ليسوا متواضعين ولا ودعاة بل أنهم معتدلون بذواتهم ومتكبرين، وإذا هم مسوروون بأنفسهم، لا يمكن أن يجد الله مسأته فيهم، فإذا من الواضح إن الصير الحقيقي لا يمكن أن يوجد حيث يوجد الفكر المتكبر والحسارة التي لا حد لها والحرية المصطنعة.

٣ - أمّا نحن أيها الأحباء، فلسنا فلاسفة بالقول بل بالفعل، ولا ندعى الفلسفة كهؤلاء الذين يدعون أنهم حكماء ويرتدوا الرداء الخاص بهم<sup>(١)</sup>، بل نحن حكماء حقاً، ولا نتفاخر بالفضائل، بل لأننا خبرة هذه الفضائل وممارستها، لا نتحدث فقط عن الأمور السامية النبيلة، بل نعيش حياتنا كخدم وعابدين لله، ونُظهر ذلك الصير الذي هو ثمرة الخضوع الروحي والذي تعلمناه من تعاليم السماء.

إذ أننا نقتني بالشركة مع الله هذه الفضيلة ، فالصبر يبدأ منه، وبه يستمد بهاءه وقوته. إن أصل وعظمة الصبر تنبع من الله صانعه وسيده، ويجب علينا أن نحب كل ما هو عزيز لدى الله، فهي فضيلة محبوبة لديه، بل أن الحالات الإلهية تحدث عليها، وإذا كان الله هو ربنا

(١) كان الفلاسفة يتميزون برأي خاص مميز لهم. لهذا كتب العالمة ترتيليان كتابه «العبادة».

وأبونا، فعلينا إذاً أن نتبع صبره، إنه الرب والأب لنا في آن واحد، وإن كانت الطاعة واجبة على العبيد، فكم تكون بالأحرى جديرة بالبين.

٤ - فيال صير الله العظيم، إذ يحتمل ما أقامه البعض من التماشيل والهيكل الوثنية ، لكيما يسخروا من حلاله ومن مجده. أمّا هو فيشرق شمسه على الأشرار كما على الصالحين، وحينما يُروي الأرض بالمطر لا يحرّم أحد من خيراته، بل إنه يعطي بلا تمييز، نرى صبره على المذنبين والأبرياء، على الأنبياء والأشرار، على من يشهدون بفضله وعلى الناكرين. تُطیعه الفضول وكل العناصر تكمل خدمتها، تهب الرياح وتتدفق الينابيع وتنمو المحاصيل بوفرة، وتتضج الكروم في حفتها وتحمل الأشجار بالثمار وتتعطى الغابات بالأوراق والمروج بالأزهار، ومع أنه يحزن جداً لخطاياانا المختلفة وماذا أقول؟ المستمرة؟ إلا أنه يطيل أناهه ويتنتظر ليوم المحازاة، المعين قبلاً مرتّة وإلى الأبد، ومع كونه صاحب السلطان للإنتقام فإنه يفضل أن يحفظ الصبر محتملاً ومتباطثاً برحمه واضحة حتى ما يعطى فرصة للتوبة، وحتى ما يرجع الإنسان، بعد أن اندفع في شروره وضلاله، ويعود إلى الله: «لأنّي لا أسر بعوت من يموت، يقول السيد رب، فارجعوا واحيوا» (حز ١٨: ٣٢). وأيضاً: «ارجعوا إلى أرجع إليكم» (ملا ٣: ٧)، «إرجعوا إلى رب إحكام لأنّه رؤوف رحيم، بطى الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر» (يو ٢: ١٣). وإذا يذكر الطوباوي بولس هذه الحقيقة وإذا يسعى لاقتياض الخطى إلى التوبة يعلن بقوه: «أم تستهين بعنى لطفه وإمهاله وطول أناهه، غير عالم

أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبه؟ ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب، تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيجازى كل واحد حسب أعماله» (رو٢:٤-٦). وحسناً قالت دينونة الله، فالله حقاً طويل الآناء وإن كان يتباطأ إلى أمد طويل فهذا حتى ما يهتم الإنسان بخلاصه. لكن العقاب واقع لا محالة على الشرير الخاطئ عندما لا يتوب عن الخطية، لأنه حينذاك يصبح كل شيء عديم الجدوى.

٥- من هذا نفهم ونتعلم أكثر أيها الأحباء أن الصبر هو من الله، وإن الإنسان الصبور والعطوف الوديع إنما يتشبه بالله الآب، لذلك نرى الرب بعد أن أعطى الوصايا التعاليم في إنجيله لأجل الخلاص، نطق بالتحذيرات الإلهية حتى يصير تلاميذه كاملين، فأعلن قائلاً: «سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك. وأماماً أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم. أحسروا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويعطر على الأبرار والظالمين. لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم، فأيّ أجر لكم؟ أليس العشرون أيضاً يفعلون ذلك؟ وإن سلمتم على إخوتكم فقط، فإيّ فضل تصنعون؟ أليس العشرون أيضاً يفعلون هكذا؟ فكونوا أنتم كاملين كما أن أبيكم الذي في السماوات هو كامل» (مت٥:٤٣-٤٨). إنه بهذا الشرط كما قال يصبح أبناء الله كاملين، وكما أوضح في تعليمه، أن أولئك يبلغوا كمالهم التام، إن كان صير الله الآب يسكن فيهم، وإذا صار الشبه الإلهي الذي فقده آدم بخططيته واضحًا ومشرقاً في أفعالهم.

٦ - أيها الإخوة الأحباء، إن إلها رب المجد لم يعلمنا الصبر بكلماته، بل أكمله أيضاً بأعماله. فهو الذي أعلن أنه جاء لكيما يتم إرادة الآب، فمن بين جميع القصائل العجيبة التي كانت دليلاً على عظمته الإلهية، إنه بشاته حفظ صير أبيه في كل ما احتمله. وهكذا سائر أعماله منذ تجسده تميزت بحضور صبره، فمنذ أن نزل من أعلى السموات إلى الأرض لم يأنف وهو ابن الله أن يتخد جسدًا إنسانيًا، في الوقت الذي لم يكن هو ذاته خاطئًا، حمل خطايا الآخرين، محتملاً أن يصير إنسانًا من أجل أن يموت وهو غير المذنب من أجل المذنبين، ومع أنه الرب ارتضى أن يعمد عبده، ومع أنه معين ليهب مغفرة الخطايا لم يأنف من أن يغسل جسده في حرن التجديد، لقد صام ذاك الذي يقيت الآخرين أربعين يوماً، واحتبر الجوع إلى الطعام من أجل أن يشبع أولئك الجائعين إلى الكلمة (اللوغوس) والنعمنة من خبر السماء. دخل في حرب مع إيليس المحرّب، واكتفي فقط بأن يهزمه، ولم يستخدم في ذلك سوى الكلمات. أمّا عن تلاميذه فهو لم يأمرهم كإله يسود على عبيده، بل بعطفه وصلاحه أحبهم حبة أخوية، بل إنه تنازل وغسل أقدامهم، كما يعلمهم بمثاله. وإذا كان هكذا تصرف السيد مع عبيده، فكم يكون تصرف الحادم في الخدمة مع رفقائه وزملاؤه وإنحوته. فلا ينبغي لنا أن نتعجب أنه كان هكذا وسط تلاميذه، وعندما نرى كيف أظهر أعظم صور الصبر مع يهودا حتى النهاية، قدم له الطعام ولم يرد أن يفضحه علانية بل أنه حتى لم يرفض قبلته، بالرغم من أنه عرف أنه عدوه وخائنه.

أى صبر أظهره في معاملاته مع اليهود؟ كم أظهر من ثبات وصبر عظيم؟ قاد غير الأمناء إلى الإيمان بالإقناع، وغمر غير المعرفين بالجميل بالملوحة، وأحاب المعارضين برقه، هؤلاء الذين كانوا يريدون أن يمتحنوه، تعامل بالتسامح مع المغوروين، والإقصاء مع المضطهددين. وأراد أن يجمع حتى إلى وقت الصلب والآلام قتلة الأنبياء والذين كانوا يجذبون عليه.

٧ - وحتى في ساعة آلامه وصلبه، أية تهممات وتعييرات استمع إليها ببصر، أية استهزاءات مهينة احتملها حتى إن أولئك الشامتين بصقوا عليه، وهو الذي حينما تفل أعاد البصر لرجل أعمى، وأى احتمال للجلد احتمله وهو الذي يقوم اليوم خدامه بحمل الشيطان وأعوانه، وكيف رأى نفسه مُكللاً بالشوك وهو الذي يكمل الشهداء بالزهور الأبديّة، لطم على الوجه بقبضته اليد، وهو الذي يضع الأكاليل الحقيقية للغالبين، جردوه من ثيابه وهو الذي يكسونا بثوب الخلود، قبل المارة وهو الذي أعطاهم طعاماً سائياً، أعطى خلاً ليشرب وهو الذي أسكنانا من كأس الخلاص، هو البرئ، وهو البار، بل بالأولى إنه البراءة والبر ذاته، لكنه أحصى مع الأئمة، إنه الحقيقة التي حاول شهود الزور إخفاءها، أدانه الناس ذاك الذين يدينون، كلمة الله أقتيد للذبح وهو صامت، وحينما أنت ساعة صليبه أظلمت الشمس واضطربت العناصر وتزلزلت الأرض، وحلَّ الظلام عوض نور النهار واحتسبت الشمس ساعة آلامه حتى لا ترى أشعتها جريمة اليهود، احتمل حتى المتهوى كل شيء ثبات لا يكمل حتى ما يجد الصبر الكامل وال تمام كماله في المسيح.

٨ - وحقّ بعدها تألم، فإنه لا يزال يقبل قاتلته إذا تابوا وأتوا إليه، وبفضل صبره الذي يجعل الخلاص، لا يغلق كنيسته في وجه أحد. بل حتى مقاوميه والمحدين عليه والأعداء الدائمين لاسمها، إن تابوا عن خطايهم، وأفروا بذوبهم، فهو لا يهبّهم فقط غفران خطايهم، بل أيضًا جعلة ملوك السموات. فمن ذا الذي يمكن أن يكون أكثر صبراً وشفقة منه؟!

لقد عاش بدم المسيح، ذاك الذي سفك دم المسيح. هكذا يكون صير المسيح العجيب، وإن لم يكن عظيماً هكذا، لما أمكن للكنيسة أن يكون فيها بولس رسولاً.

٩ - وهكذا إذا كنا نحن أيضًا مع المسيح وفي المسيح ولبسنا المسيح، وإن كان هو طريق الخلاص، فلابد إذاً أن نتبع خطواته مقتفيين آثاره كما يعلمنا يوحنا الرسول: «من قال أنه ثابت فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك، هكذا يسلك هو أيضًا» (يو ٦:٢)، وكذلك القديس بطرس يقول في رسالته: «إن المسيح أيضًا تألم لأجلنا، تاركًا لنا مثلاً لكي تتبعوا خطواته. الذي لم يفعل خطية، ولا وُجد في فمه مكر، الذي إذ شتم لم يكن يشتم عوضًا، وإذا تألم لم يكن يهدد، بل كان يُسلم من يقضى بعدل» (بط ١:٢١-٢٣).

١٠ - وأيضاً نجد أن الآباء والأنبياء وجميع الأبرار الذين كانوا رمزاً للمسيح، لم يحافظوا فقط على شيء في فضائلهم الجيدة أكثر من الصبر، وهكذا كان هابيل أول من إستشهد، عندما تألم لم يتذمر كإنسان بار ولم يقاوم أخاه الذي قتله، بل إذ كان متضعًا

ووديعاً استسلم بصير للذبح، وهكذا إبراهيم الذي آمن بالله، بطل الإيمان إذ حُرب في ابنه لم يتردد أو يؤجل بل أطاع الأمر الإلهي بكل صبر وإخلاص، وإسحق إذ كان مثالاً وصورة لذبيحة الله حينما قدمه أبوه ليذبحه، وجدناه صابراً، ويعقوب الذي هرب من بلدته بسبب أخيه، رحل منها بصير، بل وأظهر صبراً أعظم فيما بعد، عندما ربح أخاه مرّة ثانية بتضرعه وعطايته على الرغم إن عيسو في ذلك الوقت كان أكثر تمرداً وقسوة.

ويوسف، بعد أن باعه إخوته، لم يسامحهم بصير فقط، بل بسخاء ومحبة عندما أتوا إليه أعطاهم عطايا من القمح.

وموسى الذي كان يُدان دوماً من شعبه الجاحدين عدم الإيمان، كاد الشعب العنيد أن يرجمه ومع ذلك كان بوادعة وصبر، يصلى إلى الله لأجلهم.

وداود الذي من نسله جاء المسيح بحسب الجسد، أظهر صبراً مسيحيًا وعجيبةً من خلال الفرص العديدة التي كان يستطيع فيها أن يقتل شاول الملك، على الرغم من أن شاول كان يسعى لقتله وحتى عندما وقع في الأسر أخيراً، فضل أن يتركه سالماً دون أن ينتقم منه، بل على العكس لقد انتقم لشاول منْ قتله !!

وأخيراً كم من أنبياء قُتلوا وكم من شهداء كُرموا بموت مجده، وقد بلغوا جميعاً الأكاليل السماوية باستحقاق الصبر! فهذه الأكاليل لا نستطيع أن نربحها إلا إذا احتملنا بصير أولاً هذه الآلام والآتعاب.

١١ - ولكنّي نستطيع أن نعرف أيّها الإخوة الأحباء بأكثـر  
كمال ووضوح كم أن الصبر نافع وضروري، فلننظر إلى العقوبة  
التي أنزلها الله بآدم عندما سقط وتعدى الوصية والناموس الذي  
أعطى له، حينئذ سنعرف كم يجب علينا أن تتسلّح بالصبر في هذا  
العالم، نحن الذين عيّنا هنا على الأرض لنجاهد مع متابعيها، فلنصلّغ  
إلى ما قاله رب آدم: «لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة  
التي أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل  
منها كل أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً ثبت لك. وتأكل عشب الحقل.  
بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك  
تراب، وإلى تراب تعود» (تلك: ١٧-١٩). وما إننا نحن جميعاً تحت  
هذا الحكم حتى يأتي الموت على الأرض كلها ونغادر هذا العالم،  
فمن الضروري لنا أن نجوز الأحزان والأتعاب جميع أيام حياتنا، وأن  
نأكل خبزنا بالعرق والتعب.

١٢ - كذلك كل إنسان بمجرد ميلاده وقدومه إلى غربة هذا  
العالم، لا يبدأ حياته بالبكاء، ومع كونه يجهل تماماً كل شيء إلا أنه  
في اللحظات الأولى من ولادته يبكي، إنه بروية مسبقة يشن على  
أحزان هذه الحياة البشرية، ونفسه التي لم تختبر شيئاً بعد، تشهد منذ  
الابتداء الدموع والبكاء، على أتعاب وعواصف العالم الذي يدخله،  
لأنه طالما أن الحياة مستمرة، هناك يكون التعب والكد، ولا يمكن  
لأى شيء آخر أن يكون مصدراً للتعزية إلا بالصبر لهؤلاء الذين  
يتحملون هذه الأتعاب.

وإذا كان التخلّي بالصبر نافع وضروري للجميع، فهو نافع

وَضُرُورِي بِصَفَةٍ خَاصَّةٍ لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ نُحَارِبُ وَنُحَرَّبُ أَكْثَرُ مِنْ قَبْلِ الشَّيْطَانِ، إِذَا عَلَيْنَا أَنْ نَقْاتِلَهُ وَنَحْارِبَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خَطِّ الْمَوَاجِهَةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى هَذِهِ الْحَرْوَبِ وَالْتَّجَارَبِ، عَلَيْنَا أَيْضًا أَنْ نَتَأْمِنَ وَأَنْ نَتَحْلَى عَنْ مُمْتَلَكَاتِنَا، وَنَكَابِدَ السُّجْنَ، وَالْقَتْلَ، وَالسِّيفَ، وَالْوَحْشَ الْمُفْتَرَسَةَ، وَالنَّيْرَانَ، وَالصَّلْبَ، فِي مَعرِكَةِ الْاِضْطَهَادِ وَبِإِختِصارٍ كُلَّ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ وَالْأَلْمِ الَّتِي تَأْتِي عَلَيْنَا يَجِبُ أَنْ نَتَحْمِلَهَا وَنَخْتَازُهَا بِإِيمَانٍ وَبِفَضْلَةِ الصَّابِرِ. تَبَعًا لِتَعْلِيمِ الرَّبِّ الَّذِي يَقُولُ: «قَدْ كَلَمْتُكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِي الْعَالَمِ سِيقَةً، لَكُمْ ثُقَوْنَا أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (يو ٣٣: ١٦).

وَإِنْ كُنَّا نَحْنُ الَّذِينَ حَجَدْنَا الشَّيْطَانَ وَالْعَالَمَ نَتَأْمِنَ مِنْ ضَيْقَاتِ وَشَرُورِ الشَّيْطَانِ وَالْعَالَمِ بِعِنْفٍ، فَكُمْ يَنْبَغِي عَلَيْنَا بِالْأَكْثَرِ أَنْ نَخْفِظَ الصَّابِرِ، فَإِنْ مَعْوِنَتِهِ وَرَفِقَتِهِ الدَّائِمَةُ سُوفَ تَعِينَنَا عَلَى احْتِمَالِ كُلِّ الضَّيْقَاتِ الَّتِي تَأْتِي عَلَيْنَا.

١٣ - هَذِهِ هِيَ التَّعَالِيمُ الَّتِي لَرَبِّنَا وَمَعْلَمَنَا فِيمَا يَتَعْلَقُ بِالْخَلاصِ: «الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُسْتَهْدَى فَهُدَى بِخَلْصٍ» (مت ٢٤: ١٠)، وَأَيْضًا: «إِنْ ثُبَتمْ فِي كَلَامِي فِي الْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلَامِيذِي، وَتَعْرَفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يَحْرُكُمْ» (يو ٨: ٣٢ و ٣١). فَلَا بُدَّ أَنْ نَحْتَمِلَ وَنَثْبِتَ كَيْ بَعْدَمَا أَعْطَيْنَا رِجَاءَ الْحَقِيقَةِ وَالْحُرْبَيَّةِ، يُمْكِنَنَا أَخْبَرًا أَنْ نَدْرُكَ تَلْكَ الْحُرْبَيَّةَ وَالْحَقَّ، وَذَلِكَ لِأَنَّ حَقِيقَةَ كُونَنَا مُسِيَّحِينَ هِيَ ذَاتِهَا مَصْدِرًا لِلْإِيمَانِ وَالرِّجَاءِ. وَلِكُمْ تَسْتَحقِقُ هَذِهِ الشُّمْرَةُ فَلَا بُدَّ أَنْ تَتَحَلَّى بِالصَّابِرِ. نَعَمْ لَيْسَ الْأَخْدُ الْحَاضِرُ الَّذِي نَطْلُبُهُ بِالْعَتِيدِ كَمَا يَقُولُ الرَّسُولُ بُولُسُ: «لَا نَتَأْمِنُ بِالرِّجَاءِ خَلْصَنَا.

ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء، لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضًا؟  
ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر» (رو٨:٤ و٢٥).

الانتظار والصبر لا غنى عنهما أبدًا من أجل أن نكمل ما بدأنا  
أن نكونه حتى ندرك بمعونة الله هدف رجائنا وإيماننا.

وفي موضع آخر يعلم الرسول الأبرار والمجاهدين الذين يصنعون  
أعمالاً صالحة وبذلك يدخلون لهم كنزًا في السماء، ويحثّهم على  
الصبر قائلًا: «فإذا حسبما لنا فرصة، فلتعمل الخير للجميع، ولا سيما  
لأهل الإيمان. لأننا سنحصل في وقته إن كنا لا نكل» (غل٦:٩-١٠).

فهو يحذرنا لثلا يفشل أحد في صنع الأعمال الصالحة بسبب  
عدم صبره، إذ يجب ألا يتوقف الإنسان—سواء بسبب انكساره في  
تخاربه أو اضطرابه—في منتصف الطريق المؤدي للمجد والمدح،  
ويتسبب في ضياع كل ما ربحه سابقاً غير مكمل جهاده، كما هو  
مكتوب «بِرَّ الْبَارِ لَا يُنْجِيهُ فِي يَوْمِ مَعْصِيَتِهِ» (حز١٢:٣٣) وأيضاً:  
«تَمَسَّكَ بِمَا عَنْدَكُ لَثلا يَأْخُذْ أَحَدٌ إِكْلِيلَكَ» (رؤ١١:٣) فهذا الصوت  
الإلهي يحثّنا أن نحفظ أنفسنا في صبر وقوه نحن الساعين لنواز  
المكافأة والإكيليل، حتى إذ جاء الوقت نكمل بسبب دوام الصبر.

١٤— ولكن الصبر، أيها الإخوة الأحباء من جهة أخرى لا  
يحافظ فقط على الفضائل، بل ويدفع عنا المقاوم ويخفر عمل الروح  
القدس ويربضنا بشدة بالحقائق السمائية والإلهية، ويعيننا ضد أعمال  
الجسد التي تهاجم النفس بعنف وتحعلها أسيرة. ولننظر بالفعل إلى  
القليل من هذه الأعمال الكثيرة، حتى ندرك من هذا القليل البقية.

فالرزا وأعمال الغش والقتل هي خطايا مميتة. لكن من تكون فضيلة الصبر قوية وثابتة في قلبه، ولديه الجسد المكرّس الذي أصبح هيكلًا لله فذاك لن يت遁س بالرزيق، والبراعة التي تُدرّت للبر لن تُتنى بأعمال الغش، واليد التي حملت الإفخارستيا لن تتلوث بالسيف المخضب بالدم.

١٥ - الحبة هي رباط الإخوة وأساس السلام ودعامة وثبات الوحيدة، بل إنها الأكثر عظمة من الرجاء والإيمان. وهي تتفوق على الأعمال والشهادة، وهي التي ستبقى معنا إلى الأبد في ملوكوت السموات. إذا نزع منها الصبر وبقيت وحدها لن تصمد. إنزعوا عنها تأييد الاحتمال والصبر تبقى بلا جذور وبلا قوة.

بناءً على ذلك فإنّ الرسول بولس عندما كان يتكلّم عن الحبة ربطها بالاحتمال والصبر فقال: «الحبة تتأني وترفق الحبة لا تخسر.. ولا تستفح، ولا تحتد.. ولا تظن السوء، وتحتمل كل شيء، وتصدق كل شيء، وترجو كل شيء، وتصير على كل شيء» (أقوال ١٣: ٤ و ٥ و ٧). وبذلك أوضح أن الحبة تثبت بقوة لأنها تحتمل كل شيء، وفي موضع آخر يقول: «محتملين بعضكم بعضاً في الحبة مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام» (أقوال ٣: ٢ و ٤). فلا يمكن إلاّ عن طريق الصبر أن تحفظ الوحيدة والسلام برباط الإتفاق.

١٦ - وماذا أيضًا؟ عن لا تختلف أو لا تشتم أو لا تسترد ما سلب منك. أو تقديم الخد الآخر لمن لطمك، وأن نغفر لمن أساء إلينا، ليس فقط سبعين مرة سبع مرات، بل أن نغفر له كل أخطائه. وحبة الأعداء والصلحة لأجل من يضطهدوننا، هل يمكن أن تخضع

لهذه الأمور إذ لم يكن لنا ثبات الصبر والإحتمال؟ هذا ما رأيناه في استفانوس فهو لم يطلب الانتقام لنفسه. بل الغفران لقتليه قائلًا: «يارب لا تقم لهم هذه الخطية» (أع:٧٦). هكذا كان يجب أن يكون شهيد المسيح الأول، وهو الذي بموته المحب وسبق الشهداء الذين بعده. ولم يكن فقط كارزاً بالآلام الرب بل أيضًا مُتشبهاً بصيره العظيم.

وماذا أقول عن الغضب وعدم التوافق والشorer التي لا ينبغي أن تكون في الإنسان المسيحي؟ فليت الصبر يسكن قلوبنا، حينئذ لن يكون فيها مكان للرذائل. وحتى إذا حاولت أن تخترق القلب، تُطرد سريعاً وتُطرح خارجاً، فيظل القلب موضعًا للسلام يسكنه إله السلام، ولذلك يحذرنا الرسول ويعلّمنا: «لا تُحزنوا روح الله القدس الذي به خُتمتم ليوم القيمة، ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط غضب وصياغ، وتُجديف مع كل خبث» (أف:٤ و ٣٠).

فلو تخلص المسيحي من نزعات وزنوات الجسد، يكون مثل بحر هذا من هيجانه، وبهدوئه يصل إلى ميناء المسيح، الإنسان المسيحي لا يجب أن يدع الغضب أو الخصوم أن يتسلل إلى قلبه. لأنه لا يليق به أن يجازى الشر بالشر ولا أن يُغضض أحد.

١٧ - إن الصبر أيضًا ليس أقل ضرورة في مواجهة المتابع الأخرى كالمرض ومحارب الحياة، فمنذ أن تعدى الإنسان الوصية فقد صحة الجسد وكذلك الخلود، ومع الموت دخل المرض، لذلك لا يمكن أن تسترد الصحة قبل أن يستعاد أيضًا الخلود، لذلك ينبغي

دائماً النضال والجهاد في هذه الحالة ضد الوهن والضعف الطبيعي للجسد، ولا نستطيع أن نفعل ذلك بدون قوة الصبر.

ومن جهة أخرى من أجل اختبار الإنسان وتحقيقه تأتي علينا أنواع مختلفة من التجارب، مثل فقدان الممتلكات وحرارة الجسم، والجراحات المؤلمة، وموت الأعزاء، وهنا لا شيء يميز المخطأة عن الأبرار إلا موقفهم تجاه الآلام، إذ أن الأئمّة بسبب عدم الصبر يشكوا ويجدف، بينما البار يتذكرى بالصبر ويتحمل كما هو مكتوب: «في الحزن احتمل، وفي حalk المتواضعه اصطب لـأنه بالنار يُسْخن الذهب والفضة» (سيراخ: ٤٥).

١٨ - هكذا مُحصّ أیوب وأختبر ثم رُفع إلى المجد بسبب فضيلة الصبر. فقد نصب الشيطان سهامه ضده، وكم من الأسلحة التي صوبها تجاهه، لقد احتمل ضياع ثروته، ورأى بعينيه هلاك عدد كبير من أبنائه. وبعد أن كان مالكاً غنياً بالخيرات وأباً أكثر غنى بالأبناء، صار فجأة بلا أبناء ولا ثروة، وتاتي الضربة الأعنف، حين أصابت جسده قروحًا قاسية، وضرب بالدود الذي أخذ يأكل أعضاءه أيضًا، لم يكن هناك شيء لم يختبره أیوب في تجربته، جرداً الشيطان أيضًا أمرأته ضده، مستخدماً أساسها القدم في الحديث كما لو كان يتدخل امرأة يستطيع أن يفسد ويخدع كل العالم، الأمر الذي حدث منذ الإبتداء (مع آدم)، ومع ذلك فأیوب لم يدع نفسه تصرع بهذه الضربات المؤلمة والقاسية: بل إنه في وسط هذه الآلام وهذه الإضطرابات لم يكف بصيره المنتصر عن تمجيد الله. وبالمثل

طوبياً أيضاً بعد ما أكمل أعمالاً تتميز بالبر والمحبة، حُرب بفقد بصره، لكنه احتمل بصير هذا العمى، ونال نعمة عظيمة من الله بفضل صبره الجدير بال مدح.

١٩ - ولكي ما تتألق بالأكثـر فضيلة الصبر لمن نظر إليها الإخوة الأحباء من جهة أخرى إلى الشرور التي تنشأ عن عدم الصبر. لأنه كما إن الصبر هو خير يأتينا من المسيح، كذلك فإن عدم الصبر هو شرّ من شرور الشيطان. وكما أن من يحيى فيه المسيح يكون دائمًا صبوراً، هكذا من تمتلىء روحه بشرّ إبليس، يكون عديم الصبر. ولنفحص بدايات الجنس البشري، فإبليس لم يكن له الصبر لكي يتحمل خلقة الإنسان على صورة الله، وهذا السبب كان هو أول الساقطين، وأدّم بالرغم من الوصية الإلهية سقط إذ أنه لم يتذرع بالصبر؟ ووقع في قبضة الموت، ولم يحفظ بالصبر النعمة الإلهية التي أقبلها من الله.

وقاين لعدم صبره قتل أخيه بسبب تقدّمه، وعيسو أيضًا بسبب عدم صبره وإشتئاه للعدس فقد حقه في البكورية، وماذا نقول عن الشعب اليهودي بالنسبة إلى عدم صبره وعدم تصديقه للمواعيد الإلهية؟ أليست خطية عدم الصبر هي التي جعلته ينفصل عن الله لأول مرة؟ إذ لم يتحمل تأخير موسى الذي كان يتحدث مع الله، تحرّأً وطلب من الآلهة الدائنة رأس عجل وتمثال أرضي، أن تكون قائدة له في مسيرته، إنهم لم يتحلوا فقط بالصبر، بل كانوا دائمًا متذمرين ضد تعليم وتديير الله، قتلوا الأنبياء والأبرار، بل اندفعوا

بالمثل إلى الصليب وسفكوا دم الرب.

وأيضاً عدم الصبر هو الذي صنع المراطفة في الكنيسة، ودفع أولئك الذين على مثال اليهود إلى أعمال عدائية وعداوات مشعومة ليثوروا ضد سلام ومحبة المسيح.

وحق لا نطيل الحديث إذ نعرض لكل هذه التفاصيل، فيقيينا إن كل الأشياء التي يُؤول بها الصبر إلى المجد يهدّمها عدم الصبر، بل إنه يقود الإنسان إلى الخراب والهلاك.

٤٠ - أيها الإخوة الأحباء، بعد أن أوضحتنا منافع الصبر من جهة، وشرور عدم الصبر من جهة أخرى، فلنراعي بغيره شديدة الصبر الذي يدعنا ثبت في المسيح ونبلغ مع المسيح إلى الله، إن الصبر مملوء بالغنى ومتعدد الجوانب لا تحدّه حدود ضيقية. بل أن فاعليته تمتد إلى أفاق متسعة، وخصوصيته الوفيرة تسري في طرق عديدة تؤدي إلى المجد، وليس في أعمالنا فقط ما يمكن أن يأخذ استحقاقاته، دون فضيلة الصبر.

الصبر هو الذي يزكينا ويحفظنا أمام الله، وهو الذي يهدى الغضب، ويُلجم اللسان، ويقود الروح، ويحرس السلام، ويضبط الشهوات، ويطفئ نيران الكراهية، ويردع قوة الغنى، ويعزى الفقراء، ويحفظ كمال العذارى وعفة الأرامل.

إن الصبر يجعل الإنسان متضعاً في غناه وشجاعاً في محنته، وهادياً أمام الإهانات والشتائم، الصبر يعلّمنا أن نغفر لمن يسيء إلينا، ويعلم المخطئ أن يطلب الغفران دوماً، الصبر يهزم التجارب،

يُعْصِدُ فِي الْإِضْطَهَادَاتِ، وَيُتُوجُ عَذَابَاتِ الشَّهَادَاءِ.

إِنَّهُ الصَّرِّيرُ الَّذِي يَقُوِّي أَسْسَ إِيمَانِنَا، الَّذِي يَنْمِي رِجَاءَنَا، وَهُوَ الَّذِي يَنْظُمُ سُلُوكَنَا حَتَّى نُسْتَطِعَ أَنْ تَبَعَّدَ الْمَسِيحُ، وَيَجْعَلُنَا أَبْنَاءَ اللَّهِ يَأْتِيَنَا بِصَرِّيرَ اللَّهِ الْآبِ.

٢٩ - وَبِمَا أَنْ كَثِيرِينَ بَيْنَكُمْ كَمَا أَعْرَفُ أَيْهَا الْإِخْوَةَ الْأَحْبَاءَ سَوَاءَ بِسَبِّبِ بَعْضِ الْإِسَاءَاتِ الَّتِي يَرْزُحُونَ تَحْتَ ثَقْلِهَا مِنَ الَّذِينَ يَهَا جُمُونَهُمْ وَيَعْتَدُونَ عَلَيْهِمْ، يَرْغُبُونَ فِي الانتقامِ السَّرِيعِ مِنْ يَسِيئُونَ إِلَيْهِمْ، فَإِنِّي لَا يَجِبُ أَنْ أَخْتَمَ حَدِيثِي دُونَ أَنْ أَتَعْرَضَ لِهَذِهِ النَّقْطَةِ، إِذَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَظَرَ بَصَرِّيرَ يَوْمِ الدِّينُونَةِ الْآخِيرِ، وَلَا تُسرِعَ بِالْإِنْتَقَامِ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «اَنْتَظِرُوْنِي، يَقُولُ الرَّبُّ، إِلَى يَوْمِ اُقْوَمُ إِلَى السَّلْبِ، لِأَنَّ حُكْمِي هُوَ بِجَمِيعِ الْأَمْمِ وَحْشَرُ الْمَالِكِ، لِأَصْبِبَ عَلَيْهِمْ سُخْطِيِّي، كُلُّ حُمُوْرِيِّي. لِأَنَّهُ بَنَارٌ غَيْرِيٌّ تُؤْكِلُ كُلَّ الْأَرْضِ» (صَفَّ: ٣٨). فَالرَّبُّ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نَنْظُرَ بَصَرِّيرَ ثَابِتٍ إِلَى أَنْ يَأْتِي يَوْمُ الْإِنْتَقَامِ إِذَا يَقُولُ فِي سَفَرِ الرَّؤْيَا: «لَا تَخْتَمُ عَلَى أَقْوَالِ نَبْوَةِ هَذَا الْكِتَابِ، لِأَنَّ الْوَقْتَ قَرِيبٌ. مِنْ يَظْلِمُ فَلَيَظْلِمْ بَعْدًا. وَمِنْ هُوَ نَجِسٌ فَلَيَتَجَسِّسَ بَعْدًا. وَمِنْ هُوَ بَارٌ فَلَيَتَبَرَّ بَعْدًا. وَمِنْ هُوَ مُقْدَسٌ فَلَيَتَقَدَّسَ بَعْدًا. وَهَا أَنَا آتَيْتُكُمْ سَرِيعًا وَأَجْرِيَ مَعِي لِأَجْزاَيِ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ» (رَوْ١٠: ٢٢-١٤)، وَقَدْ أَعْطَى الْأَمْرَ كَذَلِكَ لِلشَّهَادَاءِ الَّذِينَ يَصْرُخُونَ وَيَطْلُبُونَ الْإِنْتَقَامَ لِأَنفُسِهِمْ، يَقُولُ لَهُمُ الرَّبُّ أَنْ يَنْتَظِرُوا وَيَصْبِرُوا حَتَّى يَكُمَلَ الزَّمَانُ وَيَكُمَلَ الْعَبْدُ رَفِيقَاهُمْ «وَمَا فَتَحَ الْخَتْمُ الْخَامِسُ، رَأَيْتَ تَحْتَ الْمَذْبُحِ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتُلُوا مِنْ أَجْلِ كَلْمَةِ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ الشَّهَادَةِ الَّتِي كَانَتْ عَنْهُمْ، وَصَرَخُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: حَتَّى مَقِيْ أَيْهَا السَّيْدُ الْقَدُوسُ وَالْحَقُّ، لَا تَقْضِي

وتنقم لدمانا من الساكين على الأرض؟ فأعطوا كل واحد ثيابا بيضاء، وقيل لهم أن يستريحوا زمانا يسيرا أيضا حتى يكمل العبيد رفقاءهم، وإخوتهم أيضا، العبيدون أن يقتلوا مثلهم» (رؤ 6: 9-11).

٢٢ - وحينما يأتي الإنقاص الإلهي لدم البرئ، يعلن الروح القدس بواسطة ملاخي النبي: « فهوذا يأتي اليوم المتقد كالشّور، وكل المستكرين وكل فاعلي الشر يُكونون قساً، ويحرقهم اليوم الآتي، قال رب الجنود» (ملا 4: 1). كما نقرأ أيضا في المزامير حيث يعلن لنا مجىء الله الذي؟ المخوف بجلال حكمه: «من صهيون كمال الجمال، الله أشرف. يأتي إلينا ولا يصمت. نار قدّامه تأكل، وحوله عاصف جداً. يدعو السماوات من فوق، والأرض إلى مدينته شعبه: اجتمعوا إلى أتقيني، القاطعين عهدي على ذبيحة. وتُخبر السماوات بعدله، لأن الله هو الديان» (مز 50: 6-2). ويعلم أيضا إشعيا بالمثل: «لأنه هؤلاً الرب بالنار يأتي، ومركباته كزوجة ليرد بحمو غضبه، وزجره بلهيب نار. لأن الرب بالنار يُعاقب وبسيفه على كل بشر» (إش 66: 15 و 16). وأيضاً: «الرب كالجبار يخرج. كرجل حروب ينهض غيرته. يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه. قد صمت منذ الدهر. سكت. تجلدت» (إش 42: 13 و 14).

٢٣ - ولكن ذاك الذي صمت سابقاً لن يصمت على الدوام، إنه ذاك الذي سيق «كتعجة صامتة أمام جازيهها فلم يفتح فاه» (إش 53: 7). إنه ذاك الذي لم يصبح ولم يسمع أحد في الشوارع صوته (إش 42: 2)، إنه ذاك الذي لم يعاند ولم يحتاج حينما بذل ظهره للسياط وخدشه للطم ولا حول وجهه عن البصاق (إش 50: 6).

إنه ذاك الذي إنهم من قبل الكهنة والشيوخ ولم يحب بشيء  
البنة، وعندما تعجب منه بيلاطس إلتزم الصمت بصير. إنه ذاك  
الذي صمت في أثناء آلامه لكنه لن يصمت بعد أكثر. إنه إلهنا،  
ليس إله الجميع بل إله المؤمنين والأمناء، لن يبقى صامتاً حينما يأتي  
في مجده الثاني. ولو أنه في مجده الأول كان متخفياً في تواضعه،  
فسيأتي علانية في قوته.

٤ - لنتظره أيها الإخوة الأحباء كديان ومنتقم، سينتقم لنا  
نحن شعب كنيسته مع جموع الأبرار منذ ابتداء العالم، فليست ذاك  
الذي يُسرع ليتقم لنفسه أن يتأمل فذاك الذي له حق الانتقام لم  
يتنقم بعد، وفي سفر الرؤيا عندما أراد يوحنا أن يسجد للملائكة قال  
له: «انظُر لا تفعل! لأنك عبد الله ومع إخوتوك الأنبياء، والذين يحفظون  
أقوال هذا الكتاب. اسجد لله» (رؤ٩:٢٢).

فياليه من صبر عظيم، أن الرب يسوع الذي يُسجد له في السماء  
لم يُنتقم له بعد على الأرض!! فلنفتكر في صره أيها الإخوة الأحباء  
في إضطهادنا وآلامنا.

ولنُظهر خصوتنا كاملاً في انتظار مجده، ولا نسرعن للإنقاص  
لأنفسنا قبل نسمة الرب، فهذا سلوك لا يليق بنا كعبد لله. بل ليتنا  
ثابر ونسهر، لنحفظ وصايا الرب حتى إذا جاء يوم الغضب  
والإنقاص لا نُعاقب مع الأئمة والخطاة، بل نتمجد مع الأبرار والذين  
يتّقدون الله.



## الغيرة والحسد

١- أيها الإخوة الأحباء قد يرى البعض منا أن الغيرة من الفضيلة التي نراها في الآخرين، وكذلك الحسد الذي قد نكته لمن هم أفضل منا أنه من الخطايا البسيطة والهينة، وحينما نظن ذلك فإننا نستهين بها ولا نخشها، ويصبح من الصعب علينا أن نتجنبها، إذ إنها تحول إلى شرّ خفي تعمل على تدمير أنفسنا فهي تتسلل خفية لتصيب القلوب غير الحذرة، أمّا الإنسان الحكيم فهو الذي يتتجنب مثل هذه الأمور.

إن الرب أوصانا أن تكون ساهرين ومتيقظين، لأنّ خصمنا ساهر وفي حالة ترقب وانتظار، ولو نجح في التسلل إلى قلوبنا لأشعل النار من مستصغر الشرر، وصنع من الأشياء التافهة مشاكل ضخمة، فمتي تسلط على الشخص المترافق وغير الحذر فإنه يبدأ في تهدئته وإراحته بنسيم لطيف، بعد أن يكون قد أثار في داخله كل زوابع وعواصف الغضب مما يؤدى إلى تحطم سفينة حياته.

لذا يجب علينا أيها الإخوة الأحباء أن تكون متيقظين وأن نجاهد بكل قوانا حتى نردّ هذا العدو الذي يصوب سهامه ضد كل جزء من أجسادنا لعله ينال منا، ويتركنا جرحى. كما سبق وحدّثنا الرسول بطرس في رسالته قائلاً: «اصحوا واسهروا. لأن إبليس خصمكم كأسد زان يجول ملتمساً من يتلّعه هو» (١٦:٨).

٤ - العدو يحاصر كل منا بمفرده، وكأى عدو حينما يحاصر خصومه، يفحص الأسوار باحثاً عن موقع أقل ثباتاً وتحصيناً حتى يستطيع الإقتراب والإختراق إلى الداخل. فهو يقدم المغريات والملذات السهلة للعيون حتى يفسد العفة من خلال النظر، ويُغرّي الآذان بغمات شجية لكيما بسماعها يضعف روح الجهاد، ويحفز اللسان حتى يُخطيء عندما توجه إليه إهانة ما، ويُحرّض الأيدي على القتال بوحشية عندما يعتدي علينا أحد. ويعرض على النفس أرباحاً ضارة حتى ما يسيطر عليها بالمال، ويعدها بالكرامات الأرضية ليفقدها السماوية، ويُظهر لها ما هو مزيف لينزع منها الحقيقى.

وعندما لا يستطيع العدو أن يخدع ويحتال، فإنه يهدّد علانية وبحسارة ويلوح بحرب عنيفة بلا كليل على خدام الله محاولاً غلبتهم على الدوام، إذ أنه في حالة عداء دائم معهم، فهو مخادع وقت السلام وعنيد وقت الاضطهاد.

٣ - لذلك أيها الإخوة الأحباء يجب أن يكون الذهن مستعداً ومتسلحاً ضد كل مؤامرات إبليس الخادعة أو تهديداته الواضحة، وأن يكون حاضراً للرّدّ، فالعدو مستعد دائمًا للهجوم. وسهامه التي تتسلل إلينا كثيرة وخفية، بل إنه يرمينا بها بطريقة أكثر جفاءً وغدرًا إلى الدرجة التي لا نلحظها، لذلك يكون هجومه دائمًا أكثر فاعلية وأوفر حظاً في اصابتنا. فليتنا إذاً نكون متبهين حتى نصد تلك الهجمات.

من بين هذه السهام التي للعدو خصية «الغيرة والحسد»، وإذا ما

تعن أي منا في ذلك الأمر سيكتشف أنه لا شيء يستحق الاحترام ويجب على الإنسان المسيحي أن يتحجّب أكثر من السقوط في الحسد والخقد، فعندما يقع أحدهنا في هذه الفحاخ الخفية التي للعدو المخادع، حيث الحسد، يتحوّل إلى كراهية أخيه، ولا يدرك أنه يقتل نفسه بذات السيف الذي صنعه هو بيده. وحتى نستطيع أن نفهم هذا الأمر فهماً كاماً وأن ندركه بأكثر وضوح، دعونا نعود إلى معرفة مصدره وأصله، لنرى من أين تبدأ العيّرة؟...ومتي وكيف تبدأ؟ حتى ما يكون من السهل علينا أن نتحجّب لهذا الشرّ الحبيث إذ ما عرّفنا منشأه وأصله.

٤ - لأجل هذا (الحسد) وقع إبليس نفسه منذ بدء العالم في الهلاك وأهلك معه الآخرين. ذاك الذي كان في مجده الملائكي وكان مقبولاً وعزيز لدى الله. عندما رأى الإنسان مخلوقاً على صورة الله ومثاله، سقط هو في العيّرة بحسده الحقد. فقبل أن يُسقط أحد غيره في خطيئة الحسد كان قد سقط هو ذاته فيها. وأسر هو بها قبل أن يأسّر بها أحد، وحطّم نفسه قبل أن يحطّم بها الآخرين. وإن كان بحسده حرم الإنسان من نعمة الخلود التي أعطيت له، فإنه هو نفسه خسر ما كان له من قبل.

أيها الإخوة الأحباء، ما هو هذا الشرّ الذي سقط بمقتضاه هذا الكائن السامي في العلو والمجد، وبه انخدع؟ إنه الحسد.

ومنذ ذلك الوقت يتفشى الحسد على الأرض، فإنه عندما يُسقط أحد ما في الحسد فإنه يتبع سيد الهلاك، ويقتدي بإبليس كما

هو مكتوب أنه: «بمحض إبليس دخل الموت إلى العالم» (حكمة ٢٤: ٢) هكذا من يقتدون به.

٥ - ومن ثم بدأت أخيراً البغضة والكراهية بين الإخوة الأوائل (قابين وهابيل). ودخل القتل البغيض بين الإخوة عندما غار قابين الظالم من هابيل البار، واضطهد الشرير - الصالح نتيجة العيّرة والحسد. كم كانت نيران العيّرة قوية لتميم تلك الجريمة، لدرجة أن قابين لم يضع في اعتباره، الحبة الأنبوية، أو جسامته الخطية، أو حتى مخافة الله، وعقوبة الخطية.

فذاك الذي كان أول من ظهر بـه (هابيل) اُضطهد ظلماً... من لم يعرف البغضة عانى من الكراهة. ذُبح بطريقة وحشية ذاك الذي لم يُقاوم وهو يُذبح.

كانت العيّرة هي السبب أيضاً في عداء عيسو لأنبيه يعقوب، فلكلون يعقوب نال البركة، اضطرم عيسو بنار الحسد حتى أغض أنبيه واضطهدته. كان الحسد أيضاً هو الدافع أن يُباع يوسف بيد إخوته، وكان الحلم الذي رأه قد أشعل قلوبهم بالحسد نحوه، بعد أن انطلق في براءة وبساطة ليفتقد سلامه إخوته.

وأى أمر أثار شاول الملك أيضاً لكي يغض داود - ذاك البريء الرحيم الصبور الوديع - سوى العيّرة؟ إذ حاول أن يقتلته مراراً. فعندما قتل جليات هذا العدو الجبار معونة ونعمة إلهية خرج الشعب وأبدى إعجابه واستحسانه وقام ب مدح داود، فإلهب قلب شاول بنيان الكراهة والبغضة بدافع الحسد.

ولنلا يطول الحديث بذكر أسماء أخرى، دعونا ننظر إلى هلاك الشعب الذي هلك مرّة وإلى الأبد. لم يهلك اليهود لأجل هذا السبب؟ إذ أنهم فضّلوا أن يحسدو المسيح على أن يؤمّنا به، وإن ازدرروا بالأعمال العظيمة التي قام بها خدعتهم الغيرة العميماء، ولم يكونوا قادرين أن يفتحوا عيون قلوبهم ليروا أعمال المسيح الإلهية العظيمة.

٦ - أيها الإخوة الأحباء، الآن إذ نرى هذه الأمور، فلنحضر قلوبنا التي تكرّست لله بشجاعة ويقظة رافضين مثل هذا الشرّ العظيم المُهلك، ولتكن موت الآخرين (الشخصيات التي ذُكرت) نافعاً لخلاصنا، وتكون عقوبة الأحق منفعة للحربيين. ولكن مع ذلك فلا يظن أحد أن هذه الخصيّة تأخذ شكلاً واحداً فقط أو تنحصر في حدود ضيقة أو تقتصر على نطاق محدود. إن الهلاك الذي تسبّبه الغيرة متعدد، ومنتشر على نطاق واسع. إنها مصدر كل الشرور، ومنبع الكوارث، بذرة الخطية، وأصل التعديات، منها تنشأ الكراهيّة ومنها تخرج العداوة. فالغيرة تُلهب الطمع عندما لا يكون الإنسان مكتفيّاً بما عنده، عندما يرى شخص آخر أكثر منه رفعة وبحدّاً. فعندما تعمي الغيرة الحواس وتُخضع العقل لسيطرتها، حينئذ لا تصير لخافته الله اعتباراً وتهمل تعاليم المسيح ولا يكترث الإنسان ليوم الدينونة، فالكربلاء تنفس، والقسوة تجلب المرارة، وعدم الاحتمال يشير النفس، والخلاف في الرأي يجعل الحق، وهكذا تتحطم رابطة السلام، وتنتهي المحبة الأخوية، ويُفسد الحق، وتنقسم الوحيدة، ويتورط الشخص في المطرقات والانشقاقات، خاصة عندما يزدرى بالكهنة أو يغار من الأساقفة أو عندما يشتكي من

عدم سيامته هو نفسه كاهناً أو أسقفاً، أو عندما يستنكف من احتمال من صار أعلى رتبة منه مُحتقرًا إياه.

هكذا يتمرد الشخص المتكبر بسبب الغيرة، ويصير ضحية للحسد، فيثور بغضب على عدوه مُريدًا إلحاق الأذى به، هنا تكون الثورة لا ضد الشخص ذاته، بل ضد الكرامة التي نادها.

٧- هكذا تكون الأكلة التي تأكل النفس، والوباء الذي يملك أفكار الإنسان، كم تكون كمية الصدأ التي لهذا القلب عندما يغار من فضيلة إنسان آخر أو سعادته، وأن يكره فيهم مواهبهم أو النعمة الإلهية التي فيهم، وأن يرى في خير الآخرين شرّ له، وأن يتعدب من نجاح الآخرين، وأن يجعل من مجد الآخرين سبب عقوبة له، وأن يكون جلاداً لقلبه. إن أعمق هذا القلب تصاب ببراثن البغضة والكراهية. مثل هؤلاء الناس لا يهنا لهم طعام ولا يلذ لهم شراب، بل هناك دائمًا تنهد وأنين وآلام، لأن القلب محاصر بها ليلاً ونهاراً على الدوام.

الشرور الأخرى لها حدود وأي خطايا يرتكبها الإنسان لها نهاية. فحرم الرأي يتوقف بعد اقترافه لفعل الشهوة وجرم القاتل عندما يقترف القتل. وجشع السارق يتوقف بامتلاكه الغنيمة. أمّا الغيرة فلا نهاية لها، إنها شرّ دائم وخطية لا تنتهي، فطالما وجد المحسود بمحاجاً أكبر كلما إلهب قلب الحاسد بلهيب أكثر.

٨- من هنا نرى تعبيارات الوجه المتوعدة، والنظرية الشريرة، والوجه الشاحب وارتعاش الشفتين وصرير الأسنان والكلمات

الماجنة والإهانات التي بلا ضابط واليد المتأهة لوحشية القتل، فحتى لو كانت الأيدي بلا سيف فهي متسلحة بالكراهية النابعة من عقل متقدّ بالغضب، ولذلك يقول الروح القدس في المزمور: «لا تغُرْ من الذي ينفع في طريقه، من الرجل المجرى مكايده» (مز ٣٧: ٧) وأيضاً «الشرير يتفكّر ضد الصديق ويُحرق عليه أسنانه. الرب يضحك به لأنَّه رأى أن يومه آت» (مز ٣٧: ١٢ و ١٣).

كذلك يشير ويحذر الطوباوي بولس من ذلك عندما يقول: «خنجرتهم قبر مفتوح. بالستتهم قد مکروا. سُم الأصلال تحت شفاهِم. وفهم مملوء لعنة ومرارة. أرجلهم سريعة إلى سفك الدم. في طرقهم اغتصاب وسحق. وطريق السلام لم يعرفوه. ليس خوف الله قدام عيونهم» (روم ١٣: ٣-١٨).

٩ - عندما تُجَرِّح الأعضاء بالسيف فالشَّرّ يكون أهون والخطر أقل، لأن العلاج يكون أسهل عندما يكون الجرح ظاهراً. أمّا جراح الغيرة فهي خفية ودفينة لذلك فلا تقبل الشفاء، الغيرة كامنة في أعماق النفس المظلمة. فمن هو حسوداً أو خبيثاً فلينظر كم يكون ما كرراً ومؤذياً وكارهاً لمن يكن لهم البغضة. إنك لست عدوًا لغير الآخرين بقدر ما أنت عدو لذاتك. فآياً كان من تضطهدك بغيرتك، فهو قادر على الهرب منك وبختيك، ولكنك لا تستطيع أن تهرب من ذاتك فأينما كنت، يكون خصمك معك، العدو دائمًا في قلبك، والهلاك مغلق عليه داخلك، وأنت مقيد ومربوط بسلاسل من القيود لا مفر منها، أنت أسير الغيرة التي هي سيدك وليس من

عزاء ليخفف عنك. إنه شر دائم أن تضطهد شخصاً أنعم الله عليه، إنها نكبة بلا علاج أن تكره من هو سعيد.

١٠ - لذلك أيها الإخوة الأحباء حذرنا الله من هذا الخطأ لثلا يقع أحداً في فخ الموت بسبب غيرته من أخيه، فعندما سأله التلاميذ من الأعظم بينهم قال: «الأصغر فيكم جيئاً هو يكون عظيمًا» (لو ٩:٤٨). وبجوابه هذا قطع كل غيرة واستأصل ومزق كل سبب وأساس للحسد. تلميذ المسيح غير مسموح له أن يكون حاسداً فلا مجال للنزاع بيننا على مجد السلطة، بل بالاتضاع نصل إلى أعلى الدرجات، ونصير مرضيin أمامه.

وأخيراً يرشدنا وينصحنا بولس الرسول أيضاً عن كيف يجب علينا نحن الذي استترنا بنور المسيح وهربنا من ظلمة أعمال الليل، أن نسير في أعمال النور، فيكتب ويقول: «قد تناهى الليل وتقرب النهار، فلتخلع أعمال الظلمة وتلبس أسلحة النور. لنسلك بلياقة كما في النهار: لا بالبطر والسكر، ولا بالمضاجع والعهر، ولا بالخصام والحسد» (رو ١٢:١٣ و ١٢:١٣). فإذا فارق الظلام قلبك وانقضع منه الليل وإذا تلاشت الغيوم وأضاء بهاء النهار حواسك وإذا بدأت أن تصير إنساناً للنور، فاعمل الأعمال التي للمسيح، فالمسيح هو النور والنهار.

١١ - لماذا تندفع نحو ظلمة العَيْرَةِ؟! لماذا تورط نفسك في سحابة الحسد؟! لماذا تطفئ كل نور للسلام والمحبة بظلم العَيْرَةِ؟! لماذا تعود للشيطان الذي سبق ومحنته؟! لماذا صرت مثل قايين؟ إذ كان حاسداً لأخيه ويضمّر له الكراهة فأعتبر كقاتل، فيوحنا الرسول

يقول في رسالته: «كل من يبغض أخيه فهو قاتل نفس، وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه» (١يو:٣-٥) وأيضاً: «من قال: إنه في النور وهو يبغض أخيه فهو إلى الآن في الظلمة. من يحب أخيه يثبت في النور وليس فيه عشرة. وأما من يبغض أخيه فهو في الظلمة، وفي الظلمة يسلك، ولا يعلم أين يمضي، لأن الظلمة أعمت عينيه» (١يو:٩-١١). فهو يقول أن من يبغض أخيه يسير في الظلمة ولا يعلم إلى أين يذهب لأنه دون أن يدرك يمضي إلى جهنم وبجهل وعدم بصيرة يورط ذاته في العقاب، متسجحاً من نور المسيح الذي ينذرنا قائلاً: «أنا هو نور العالم. من يبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (يو:٨:١٢).

من يتبع المسيح هو الذي يحفظ وصاياه، ويسلك في تعاليمه، ومن يقتفي آثار أقدامه وطريقه يتمثل بتعاليمه وأعماله. فالرسول بطرس يحثنا على ذلك وينصحنا إذ يقول: «لأنكم لهذا دُعيتم. فإن المسيح أيضاً تالم لأجلنا، تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته» (بط:٢١).

١٢ - علينا أن نتذكر لماذا يدعو المسيح شعبه وما هو اللقب الذي يطلقه على قطيعه... أنه يدعوهـم «خراف». لأن براءة الإنسان المسيحي تقابل تلك التي للخراف، إنه يدعوهـم هكذا لأن بساطة الفكر (المسيحي) تشبه الطبيعة البسيطة للخراف. فلماذا يتوارى الذئب في ثياب الحمل؟ لماذا يدعو نفسه كذباً أنه مسيحي بينما هو يشين قطيع المسيح؟ فيما إذا ندعوهـم من ينضوى تحت اسم المسيح دون أن يسير في طريق المسيح سوى إنه مجدهـف على الاسم الإلهي

وبعيد عن طريق الخلاص، حيث أنَّ الرب نفسه يُعلِّم ويقول أنَّ من يحفظ الوصايا يحيا، وإنَّه يُدعى حكيمًا من يسمع ومن يعمل بكلماته، وأمَّا من عمل وعلَّم فهذا يُدعى أعظم معلم في ملوك السموات. كم تكون الاستفادة من الواقع جليلة عندما يتحقق في أعماله ما يعلَّم به.

تُرى لماذا أوصى الرب تلاميذه؟ وأي من نصائح المسيح الخلاصية ووصاياته السماوية يجب أن تُحفظ أكثر من أن نحب بعضنا بعضاً بالمحبة التي أحب بها تلاميذه؟

هل يستطيع ذاك أن يكون مسالماً أو مُحبًا؟ وأن يحفظ السلام ومحبة الله، ذاك الذي دخلت الغيرة إلى قلبه؟

١٣ - كذلك القديس بولس الرسول أيضًا بعد أن أبرز فضائل السلام والمحبة وعندما أكد بشدة أنه لا نفع للإيمان أو للعطايا أو حتى للألام المعترف أو الشهيد إلا إذا حفظ الوصايا كاملة وتمامًا، أضاف قائلاً: «المحبة تتأني وترتفق. المحبة لا تحسد، المحبة لا تتفاخر ولا تنتفع» (١كورنثيانوس ٤: ١٣).

فهو يعلّمنا ويُظهر لنا، أنَّ من كان دوماً متأنياً ومترفقاً ومتحرراً من الغيرة والحسد يستطيع أن يقتني المحبة، وبالمثل في موضع آخر عندما كان ينصح من امتلاء بالروح القدس وصار ابنًا لله بميلاد السماوي بآلا يتبع شيء سوى الأمور الروحية والإلهية، كتب هذا التعليم حين قال: «وأنا أيها الإخوة لم أستطيع أن أكلمكم كروحيين، بل

كجسديين كأطفال في المسيح، سقيتكم لبناً لا طعاماً، لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون، بل الآن أيضاً لا تستطيعون، لأنكم بعد جسدية (وتسلكون بحسب البشر» (كو ۳: ۱-۳).

١٤ - أيها الإخوة الأعزاء، لابد من سحق الرذائل والخطايا الجسدية وأن ندوس بقوة الروح على هذا الداء الذي يُبتلي به الجسد الترابي، وألا نعود لتصرفات الإنسان العتيق ونتورط في الفحاح المميتة. كما سبق فحضرنا الرسول لنفعتنا بحكمة إذ قال: «فإذا أيها الإخوة نحن مدانون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تميّتون أعمال الجسد فستحيون. لأن كل الذين يقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨: ١٢-١٤).

فإن كنا أبناء الله، وإن كنا قد بدأنا فعلاً أن نكون هياكل له، وإن كنا نعيش بقداسة وروحانية بعد أن قبلنا الروح القدس، ورفعنا أعيننا من الأرض نحو السماء، وإن كنا قد رفعنا قلوبنا المملوكة بالله وال المسيح إلى الإلهيات والسماويات، فيحب علينا ألا نفعل شيئاً غير جدير بالمسيح، كما يحثنا الرسول: «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق، حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد مُتم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أظهر المسيح حياتنا، فحينئذ تُظہرون أنتم أيضاً معه في الجد» (كو ٣: ٤-٦). دعونا إذاً نحن الذين مُستّنا في المعمودية ودُفنا من جهة الخطايا الجسدية التي للإنسان العتيق والذين قمنا مع المسيح في الميلاد

السماوي الجديد، أن نعتبر ونفعل بالمثل أيضاً الأمور التي للمسيح كما يعلّمنا الرسول قائلاً: «الإنسان الأول من الأرض تراي. والإنسان الثاني رب من السماء... وكما لبستنا صورة التراي، سنلبس أيضاً صورة السماوي» (كوه ١٥: ٤٧-٤٩). فنحن لا نستطيع أن نحمل صورة السماوي إلا إن كنا على صورة المسيح ومثاله، وهي الحالة التي بدأنا أن نكون عليها الآن.

١٥ - وهذا لكي تتغيروا وتصبحوا كما ينبغي أن تكونوا عليه، حتى يشرق فيكم الميلاد الإلهي وتستحييوا للتعليم الإلهي الذي لله الآب، حتى يتمجد الله في الإنسان من خلال حياته المكرمة والتي تستحق المدح.

لكي يختبرنا ويخذرنا الله ذاته ويعد الذين يمجدونه بدورهم قائلاً: «فإن أكرم الذين يكرموني، والذين يحتقروني يصغرون» (صم ٢: ٣٠). فالرب الذي يهيننا ويعذّننا لكي ما نتمجد، وابن الله الذي يغرس فينا صورة الله الآب يقول في إنجيله: «سمعتم أنه قيل: تحب قربك وتبغض عدوك. وأماماً أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، فإنه يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويعطى على الأبرار والظالمين» (مت ٥: ٤٣-٤٥).

فإن كان من المخد والفنجر للإنسان أن يكون أبناء مشابهين له، وأن يحمل باقي نسلهم نفس ملامح الآب، فكم بالأكثر يكون فرح الله الآب عندما يولد أبناءه بالروح حتى أنهم من حلال

أعمالمهم وتبسيحهم يمحدون الله! وكم يكون إكليل البر عظيماً  
والتابع المعد لكم عندما لا يقول الله عنكم: «ربت بين ونشأتهم، أما  
هم فعصوا على» (إش ٢: ١).

ليت المسيح يطوبكم ويدعوكم للمكافأة بقوله: «تعالوا يا  
مباركي أي، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم» (مت ٣٤: ٢٥).

١٦ - أيها الإخوة الأحباء، إن الفكر ينبغي أن يتقوى بالتأمل  
وأن يتحصن ضد سهام إبليس بمثل هذه التداريب الروحية. فلتكن  
دوماً بين يديك القراءة الإلهية (أي الكتاب المقدس)، وفي فكرك  
فكر الرب، ولا تتوقف أبداً عن الصلاة. والمشاركة في الأعمال  
الروحية حتى كلما يدنو منا العدو ويحاول الاقتراب منا، يجد القلب  
مغلقاً ومسلحاً ضده. لأن إكليل الإنسان المسيحي ليس هو الإكليل  
الذى يناله في زمن الاضطهاد فقط، بل أيضاً إن فرقة السلام لها  
إكليل، في حروبنا الروحية، حينما ننتصر على الخصم ونطرحه،  
فالنصرة على الشهوة يقابلها إكليل العفة، ومقاومة العنف والغضب  
مكافأته إكليل الصبر، أما النصرة على الجشع فهي في نبذ المال،  
ومدح الإيمان هو في احتمال ضيقات هذا العالم والثقة في المستقبل.  
ومن لا يفتخر بعناد ينال مجد الإنضاج. ومن يعطف على الفقير ينال  
الغنى السماوي. ومن لا يحسد أحد ويحب إخوته بلا رباء، يُكرم  
ويُكافأ بالحبة والسلام، فنحن كل يوم نعدو في ميدان الفضائل لكي  
ما نصل إلى أكаниل وتيحان البر.

١٧ - ولكي تستحقوا هذه الأكاليل، أنتم الذين امتلأتم بالغيرة والحسد عليكم أن ترکوا تماماً كل نية سيئة كانت فيكم سابقاً. وأن تقوموا ذاتكم لطريق الحياة الأبدية مقتفين خطوات الخلاص. انزعوا من قلوبكم الأشواك، حتى تأتي بذار الرب بشمر وفير. اقطعوا سُم المراة، وكذلك مرض الانشقاقات، طهروا العقل الذي أصيب بغيرة الحياة. دعوا المراة التي استقرت داخلكم تلين بعدوّة المسيح. إذأخذتم من سر الصليب الطعام والشراب. فلتدعوا الخشبة التي جعلت الماء عذباً في «مارة» (خر ٢٢: ١٥-٢٧) تُفیدكم أنتم بالحقيقة في شفاء قلوبكم المرتحلة، وإن فعلتم هذا فستتالوا الشفاء، فابدوا في علاج أنفسكم من الموضع الذي منه كان الجرح. أحب من كنت تكرههم من قبل، أكرم أولئك الذين أصابهم حسدك بتحقيرات ظلمة، اقتدى بالصالحين إن كنت تستطيع أن تفعل مثلهم، وإن كنت لا تستطيع ذلك فابتهج بالحقيقة معهم، وهنئ المتفوقين عليك. اجعل نفسك مشاركاً معهم في وحدانية المحبة، وشريكًا لهم في شركة الحب ورباط الإخوة. فسوف تُغفر لك ذنوبك حين تغفر أنت أيضاً للآخرين، وسوف تُقبل تقدماتك وذبائحك حين تتقدم إلى الله كصانع سلام، أفكارك وأعمالك سيقودها الله حين تتأمل في الأمور الإلهية كما هو مكتوب: «قلب الإنسان يفك في طريقه، والرب يهدى خطواته» (أم ٩: ١٦).

١٨ - إضافة إلى ذلك فهناك أمور كثيرة علينا أن نذكرها، تذكر الفردوس حيث لن يعود قاين إليه ثانية إذ قتل أخيه بسبب الغيرة، تذكر ملوكوت السموات الذي لن يسمع الرب بدخوله إلا

لمن لهم قلب وفکر واحد، تذكر أن هؤلاء فقط يمكن أن يدعوا أبناء الله: الذين هم صانعوا سلام (مت ٥:٩)، الذين بواسطة الميلاد الإلهي (المعمودية) وحفظ الوصايا أصبحوا واحداً، صائرين على مثال الله الآب وال المسيح. تذكروا أننا تحت عينا الله، الذي يتطلع ويدين. أنها آنذاك نصل في النهاية إلى إمكانية رؤيته، إن كنا نرضيه إذ هو يلاحظ أعمالنا، إن كنا نُظهر أنفسنا كمستحقين لنعمته وغفرانه إن أرضيناه أولاً في هذا العالم، وبالتالي سنكون في رضاه إلى الأبد في السماء.



## ثواب العذاب

١ - الإلتزام هو حارس الرجاء، ورباط الإيمان، هو المرشد لطريق الخلاص، ومعلم الفضيلة، به ثبت في المسيح ونحبا دوماً لله، حتى ندرك المواعيد السمائية والمعمالات الإلهية. من يجد في أثره يكون ذلك نافعاً لخلاصه، أما من يهمل فيعرض نفسه للهلاك. فالروح القدس يقول في المزمير: «الزموا الأدب لنلا يغضب رب، فتضلوا عن طريق العدل، عندما يُقدّم غضبه بسرعة، طوي جميع المتكلمين عليه» (مز ٢: ١٢)، وأيضاً: «وللشريير قال الله: ما لك تحدث بفراصي وتحمل عهدي على فمك؟ وأنت قد أبغضت التأديب وألقيت كلامي خلفك» (مز ٥: ٥ و ٦ و ٧). ونقرأ أيضاً: «الذي يزدرى بالأدب هو شقى» (الحكمة ٣: ١١)، وكذلك تحدّرنا الحكمة قائلة: «يا ابنى لا تحقر تأديب الرب ولا تكره توبّخه، لأن الذي يحبه الرب يؤدّبه» (أم ١١: ٣ و ١٢). فإن كان الله يوبخ من يحبه لأجل تقويمه وتهذيبه، لذا يجب على الإخوة ولا سيما الكهنة أن لا يُغضروا من يوبخونهم، بل أن يحبونهم لأجل تهذيبهم. إن الله قد أشار إلى زماننا على فم إرميا إذ قال: «وأعطيكم رعاة حسب قلبي، فيرونكم بالمعرفة والفهم» (إر ٣: ١٥).

٢ - وإن كان الكتاب المقدس من خلال كل أسفاره قد مدح كثيراً فضيلة الإلتزام، فذلك لأنه أساس الحياة الروحية كلها، فمن الطاعة والمخافة ينبع الإيمان ، وليس هناك شيء آخر يليق بنا أن نشهيه ونزيده ونتمسك به سوى أن نؤسس بيotta على الصخر

مقابل عواصف وزوابع العالم، كي نصل بالتعاليم الإلهية إلى حالات الله. مُتذكرين وعالمين أن أعضاءنا هي هيأكل الله، وقد تطهرت من دنس الفساد القديم في حبيم المياه (المعمودية)، فيجب ألا تُهان أو تُدنس، فالذى يشين جسده، يشين نفسه، فعلينا تحزن عابدي وكهنة هذه الهياكل أن نطيع المسيح الذي صرنا خاصته كما يقول الرسول بولس: «إنكم لستم لأنفسكم؟ لأنكم قد أشتريتم بشمن. فمجدوا الله في أجسادكم» (أكتو ۲۰: ۶-۹).

فلمجد الله إذن بجسد طاهر عفيف، بطاعة كاملة وسلوك أكثر كمالاً، ولنخضع بطاعة مطلقة لشريعة فادينا نحن الذين افتدينا بدم المسيح، ولنحرص ألا يدخل أي شيء دنس أو بحس داخل هيكل الله، لئلا يحزن فيهجر الهيكل الذي سكنه. ولنا كلمات الرب التي تحمينا وتحذرننا إذ يقول: «ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضاً، لئلا يكون لك أشر» (يو ٥: ١٤). فهو يهب حياة، يهب شفاء، لكنه لا يسمح لنا أن نُطلق العنان لشهواتنا، بل أنه يتوعد بصرامة أشد من يعود يستبعد ثانية لتلك الخطايا التي سبق فشفاه منها، فالذي تدعى قبل أن يعرف تأديب الرب هو أقل استحقاق للملامة، من ذاك الذي بعد أن عرف الله يرتكب هذه الخطايا.

لذلك فليتبه الرجال والنساء، الأولاد والفتيات، كل جنس وكل عمر، أن يحفظوا ما نالوه من لدن رب طاهراً ونقياً بمحف ورعدة.

٣- إن حديثي موجه إلى العذارى، الالاتي يقدّر ما أن مجدهن أكثـر رفعـة، يقدـر ما يقتضـي مـا نـحن اهـتمـاماً أكـثر، فـهن زـهرـة

الكنيسة، نعمة وزينة المواهب الروحية، صورة الله التي تعكس القدسية، الأكثر مجدًا في قطبيع المسيح، العمل التام غير الفاسد الذي للمدح والكرامة، فكلما كثر عدد من يتبتلن، ازداد بهن فرح الكنيسة.

هؤلاء نحن نتكلّم، ونتصرّح - بالمحبة لا بالسلطان - وليس ونحن آخر الكل ندعى لذواتنا حرية التوبیخ، بل لأنّه كلما كان اهتماماً بخلاصنا، كلما كنا أكثر حرصاً من هجوم إبليس.

٤- ليس اهتماماً باطلًا أو خوفاً فارغاً أن يهتم المرء بطريق الخلاص، وأن يحفظ وصايا الرب التي تهب الحياة، حتى يستطعن - أولئك اللاتي كرّسن أنفسهن لل المسيح وابتعدن عن كل شهوة حسدانية ونذرن أنفسهن لله في الجسد كما في الروح - أن يكملن عملهن ذا الجعلة العظيمة. ولا يسعين لأن يُسر أي أحد بهن إلا ربهن الذي منه يتظرونّ جعلة البتولية، كما قال هو نفسه: «ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطي لهم، لأنّه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمّهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملکوت السموات...» (مت ١٩: ١٢ و ١١).

كذلك كلمات ملاك سفر الرؤيا تعلن مجد البتولية وتكرز بها: «هؤلاء هم الذين لم يستجسوا مع النساء لأنّهم أظهار. هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيشما ذهب...» (رؤ ٤: ٤). والرب هنا لا يوجه الكلام إلى الرجال فحسب، بل للنساء أيضًا، لأن المرأة أخذت من الرجل، لذلك فهو يتكلّم مع المرأة من خلال الرجل.

٥ - إذا كانت العفة تتبع المسيح، والبتوأة جعلتها الملوك، فما شأن أولئك العذارى بالثياب أو بالزينة، لأنهن بسعين من حلالها لإرضاء الناس، يُسْعَن إلى الله، رغم أن الرسول بولس يقول: «فلو كنت بعد أرضي الناس، لم أكن عبداً للمسيح» (غلا: ١٠).

فالعفة ليست طهارة الجسد فقط، بل أيضاً في اللياقة والخشمة في الثياب والزينة، كي تكون غير المتزوجة - بحسب كلمات الرسول - ظاهرة جسداً وروحًا، فالرسول بولس يعلّمنا قائلاً: «غير المتزوج يهتم في ما للرب، كيف يرضي الرب. وأمّا المتزوج فهو في ما للعالم كيف يرضي امرأته... غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحًا» (١ كور: ٧-٣٢).

إذ يجب ألا يشك أحد عندما يرى عذراء إذا كانت عذراء أم لا، بل يجب أن يكون الكمال في كل الأمور، وألا يكون ثوب العذراء مصدرًا للشك في صلاح ذهنها، لماذا تسير متزينة؟ وبشعر مُزيّن ومصنّف كما لو كان لها زوج أو تطلب واحداً؟ فالتي ليس لها زوج يجب أن تحفظ نفسها ظاهرة عفيفة، ليس فقط في الجسد بل وأيضاً في الروح، لأنه ليس من اللائق أن تصتفف العذراء شعرها لكي تُظهر مفاتنها، أو تفتخر بجماليتها الحسدي، لأنه لا يوجد جهاد أعظم هؤلاء من جهادهم ضد أجسادهم، وليس لديهم صراع أصعب من هزيمة واحتضان الجسد.

٦ - ورغم أن الرسول بولس يهتف بصوت عال: «وأمّا من جهتي، فحاشا لي أن افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد

صلب العالم لي وأنا للعالم» (غل٦:١٤). إلا أن هناك في الكنيسة من العذاري من تفخر بجمالها الجسدي ومظهرها!! إن ق. بولس يضيف قائلاً «ولكن الذين هم للمسيح قد صلبو الجسد مع الأهواء والشهوات» (غلا٥:٢٤)، كيف إذاً لمن تذر أن تجحد شهوات وأهواء الجسد أن توجد وسط هذه الأمور عينها التي نذرت أن تجحدوها!! تفاخررين بمكانة ما وتسعين إلى شيء آخر. أنت تنحّين ذاتك مع أنك مدعوة للطهارة والخشمة.

إن الرب يقول لإشعيا: «كل جسد عشب، وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب، ذبل الزهر، لأن نفحة الرب هيّت عليه. حقاً الشعب عشب! يبس العشب، ذبل الزهر. وأماماً كلمة إلهنا فشبت إلى الأبد» (إش٠٤:٦-٨). لا يليق بأي مسيحي وبالخصوص للعذراء، أن تهتم بأي مجد أو كرامة للجسد، بل أن تطلب وتشتهي فقط كلمة الله، حتى تناول العطايا التي تدوم إلى الأبد. أمّا لو كان لها أن تفخر في الجسد، لكان الإفتخار عندما تتألم لأجل الاعتراف بالاسم الحسن، أو عندما تجتاز النيران، أو الصليب، أو السيف، أو الحيوانات المفترسة، أو كيف تكون أقوى من العذابات حتى تكمل، فهذه العذابات هي زينة لجسدها، إنها «جواهر الجسد الشمينة».

٧ - هناك بعض النساء الثريات اللائي يفرحن بغناهن. ليعرفن قبل كل شيء أن الغنية هي تلك الغنية في الله، والثانية هي تلك الثانية في المسيح، وأن النعم التي هي بالحق نعم، هي تلك الروحية التي تعودنا إلى الله والتي تدوم معنا في ملكية دائمة، أمّا سائر الأمور الأرضية التي يقتنيها الإنسان في هذا العالم، والتي ستبقى فيه،

فسوف تدان كما سيدان العالم نفسه الذي جحدنا قواه ومسراه عندما قدمنا قدوماً مباركاً إلى الله، ويوحنا الحبيب البتول يعلمنا ويختنا وهو يشهد بصوت سمائي: «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم: شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعظم المعيشة، ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضى وشهوته، وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (يوهانس ١٥: ٢-١٧).

لذلك يلزمـنا أن نطلب الأيديات والإلهيات وأن نعمل كل الأشياء بحسب مشيئة الله، وأن نتبع خطوات وارشادات الرب الذي سبق فـحدـرـنا وقال: «لأني قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلي» (يوهانس ٣٨: ٦).

إذا كان العبد ليس أعظم من سـيـدهـ، والشخص الذي اعتقـ من العبودية مدـيـنـ بالـلـوـفـاءـ لـمـنـ حـرـرـهـ، فيـحـبـ عـلـيـنـاـ نـحـنـ الـذـيـنـ نـرـيـدـ أنـ نـكـونـ مـسـيـحـيـنـ أـنـ نـقـتـدـيـ بـمـاـ قـالـهـ السـيـدـ مـسـيـحـ. كـمـاـ هـوـ مـكـتـوبـ: «مـنـ قـالـ: إـنـهـ ثـابـتـ فـيـهـ يـتـبـغـيـ أـنـهـ كـمـاـ سـلـكـ ذـاكـ، هـكـذـاـ يـسـلـكـ هـوـ أـيـضاـ» (يوهانس ٦: ٦). فعلـيـنـاـ أـنـ نـسـعـيـ فـيـ إـثـرـ خـطـوـاتـهـ. آنـذـاكـ سـيـتـفـقـ سـعـيـنـاـ لـأـجـلـ الـحـقـ معـ إـيمـانـاـ فـيـ اـسـمـهـ، فـالـمـكـافـأـةـ لـنـ يـنـالـهـ الـمـؤـمـنـ إـلـاـ إـذـاـ كـانـ يـحـيـاـ مـاـ يـؤـمـنـ بـهـ.

٨ - تقولـنـ أـنـكـ غـنـيـةـ وـثـرـيـةـ، أـمـاـقـ. بـوـلـسـ فـيـعـتـرـضـ عـلـىـ غـنـاكـ، وـيـنـصـحـكـ بـالـاعـتـدـالـ فـيـ ثـيـابـكـ وـزـيـنـتكـ قـائـلاـ: «يـزـيـنـ ذـوـاتـهـ بـلـيـاسـ الـخـشـمـةـ، مـعـ وـرـعـ وـتـعـقـلـ، لـاـ بـصـفـائـرـ أـوـ ذـهـبـ أـوـ لـآـلـيـ أـوـ مـلـابـسـ كـثـيرـةـ الشـمـنـ، بـلـ كـمـاـ يـلـيقـ بـنـسـاءـ مـتـعـاهـدـاتـ بـتـقـوـىـ اللـهـ بـأـعـمـالـ صـالـحةـ»

(اتى١٠٩:٢). وأيضاً بطرس الرسول يقول: «لا تكن زينتكن الزينة الخارجية، من ضفر الشعر والتخلّى بالذهب ولبس الثياب، بل إنسان القلب الخفي في العديمة الفساد، زينة الروح الوديع المادي، الذي هو قنَّام الله كثير الشمن» (أبط٣:٤).

إذاً كانت هذه الآيات تحذر النساء المتزوجات اللائي يتحلّن عذرًا لأجل ثيابهن وإرجاع ذلك الأمر إلى أزواجهن، وتنبهن إلى ضرورة الخضوع لتعليم الكنيسة، فكم بالحرى جداً يليق بالعذراء أن تفعل ذلك، وهي التي ليس لها عذر لتزيين، والتي لا يمكن أن تُعزى هذا الخطأ إلى أي شخص آخر، بل تبقى هي المسئولة عن أفعالها.

- ٩ - تقولين إنك غنية وثريّة، ولكن ليس كل ما يمكن أن يستهيه المرء يفعله، فيجب ألا تكون الشهوات النابعة من كبراء العالم فوق كرامة ومجد البطلية إذ أنه مكتوب: «كل الأشياء تحمل لي، ولكن ليس كل الأشياء توافق. كل الأشياء تحمل لي، لكن ليس كل الأشياء تبني» (أبو ١٠:٢٣).

فأولئك اللائي يتزيّن باهتمام زائد، ويسترن كما لو كن يرغبن في جذب انتباه الآخرين، حاذبات عيون الشباب الصغار وراءهن، مشعلات لحيف الشهوات، ويتسببن في هلاك الآخرين، إذ يقدمون أنفسهن - كما لو كانوا - سيف أو سُم للناظر إليهن، حينئذ لا يمكنهن أن يتحلّن عذرًا لأنفسهن بمحنة أنهن عفيفات ونقيات في أذهانهن، لأن ثوبهن المُخجل وزينتهن المفرطة تديننهن، ولا يمكن أن يُعتبرن ضمن عذارى وعرائس المسيح.

١٠ - تقولين أنك غنية وثرية، لكن لا يليق بالعذراء أن تفتخر بعنانها إذ يقول الكتاب: «فَمَاذَا نَفْعَنَا الْكَبِيرَاءُ وَمَاذَا أَفَادَنَا افْتِحَارُنَا بِالْأَمْوَالِ». قد مضى ذلك كله كالظلّ وكالخبر السائر» (حكمة٥:٩٨) والرسول بولس أيضًا يحذرنا قائلاً: «الذين يشترون لأنفسهم لا يملكون، والذين يستعملون هذا العالم لأنفسهم لا يستعملونه. لأن هيبة هذا العالم تزول» (١كور٣٠:٧)

وكذلك القديس بطرس الذي أوصاه ربّه أن يرعى خرافه، يقول أن ليس له ذهب ولا فضة لكنه غني في إيمانه وفضيلته، وبها أجرى أعمالاً عديدة وعجائب آلت إلى مجد المسيح. فمن أرادت أن تكون غنية في المسيح لا يمكن أن يكون لها هذا الغنى وهذه المقتنيات.

١١ - تقولين أنك غنية وثرية، وتظندين أن لك أن تستخدمني ما تملكه، استخدميه لأجل أعمال الخلاص، وألجل الأمور التي أوصى بها الله. لتدع عن الفقير يشعر أنك غنيات، ولتدفع عن المحتاج يشعر أنك ثريات. اجعلن المسيح مدين لك من خلال مقتنياتك. حتى تحفظن مجد بتوليتكن إلى النهاية، صلي كثيراً لكي يهبك ربّك أن تبلغى إلى جعلتك الرب.

احفظي كنزك حيث لا ينقب سارق، وحيث لا يفسد صدأ، لأنك لو ظنت أن الغنى الذي وهبك الله إياه هو لأجل أن تستعملي به تخطئي إلى الله، دون أن تنتبهي إلى خلاصك، نعم، الله أعطى الإنسان صوتاً، لكن هذا لا يعدّ سبيلاً لكى يعني الأغاني المبتذلة

والغير لائقه. كذلك شاء الله أن يكون الحديد لأجل خير الأرض، لكن هذا لا يعني أن تُرتكب به الجرائم.

هل كون أن الله عَيْنَ البحور والخمر والماء، أنه لابد أن يستخدم في تقديم الذبائح للأوثان؟ أو هل لأن لديك قطبيع ضخم من الماشية في حقلـكـنـ، أنه يجب عليكـنـ أن تقدمـنـ محـرـقاتـ وتقـدـمـاتـ للـآلهـةـ؟ـ بالـأـكـيدـ،ـ لاـ

هـكـذاـ الغـنـيـ هوـ تـجـربـةـ إـلـاـ إـذـ أـسـتـخـدـمـ فيـ خـدـمـةـ أـهـدـافـ صـالـحةـ،ـ لـذـاـ يـجـبـ عـلـىـ كـلـ إـنـسـانـ بـحـسـبـ مـقـدـارـ غـنـاهــ،ـ أـنـ يـفـتـدـىـ تـعـدـيـاتـ بـعـطـاـيـاهـ لـأـنـ يـزـيدـهـاـ.

١٢ - إن الزينة والثياب وأغراءات الجمال لا تليق إلا بالزانيات وغير العفيفات، ولذلك - بصفة عامة - لا تجدر ثوباً أثمن وأعلى من ثياب هؤلاء اللواتي عفتهن رخيصة، ولذلك نقرأ في الكتاب المقدس - الذي به أراد الله أن يعلمنا ويهذبنا - وصفاً للمدينة الزانية أنها جميلة ورائعة للغاية في المنظر بسبب زينتها، ولكنها ستهلك بسبب هذه الزينة عينها: «ثم جاء واحد من السبعة الملائكة الذين معهم السبعة الجامات، وتكلم معى قائلاً لي: هلم فارييك دينونة الزانية العظيمة الحالسة على المياه الكثيرة، التي زنى معها ملوك الأرض، وسكن سكان الأرض من هن زناها. فمضى في الروح إلى برية، فرأيت امرأة جالسة على وحش قرمزي مملوء أسماء تجديف، له سبعة رؤوس وعشرة قرون. والمرأة كانت متسربلة بأرجوان وقرمز، ومتحللة بذهب وحجازة كربعة ولواء، ومعها كأس من ذهب في يدها مملوءة رجاسات ونجاسات زناها» (رؤ ١٧: ٤-١) لـيت العذارى العـفـيـفـاتـ النـقـيـاتـ

يُبتعدن عن ثياب غير العفيفات وعن طرقهن، وعن زينة الزانيات.

١٣ - إشعيا النبي أيضًا وهو ممتلىء من الروح القدس يصرخ ويوبخ بنات صهيون إذا أفسدنهن الذهب والفضة والثياب، ويوبخهن لأنهن غارقات في ثراء مهلك ومُبتعفات عن الله لأجل مسارات العالم، ويقول: «من أجل أن بنات صهيون يتشارعن، ويعيشن ممدوفات الأعناق، وغامزات بعيونهن، ومحاطرات في مشيهن، ويختشن بأرجلهن، يصلع السيد هامة بنات صهيون، ويعزى الرب عورتهن. ينزع السيد في ذلك اليوم زينة الخلاخيل والصفائر والأهلة، والخلق والأسوار والبراقع والعصائب والسلالس والمناطق وحناجر الشمامات والأحراس، والخواتم وخزائم الأنف، والثياب المزخرفة واللطف والأردية والأكياس، والموائى والقمصان والعمائم والأزر. فيكون عوض الطيب غفونة، وعوض المنطقة حبل، وعوض الجداول فرعة، وعوض الدبياج زمار مسج» (إش ٢٤:٣-٦).

فإذا ابتعدن عن الزينة الحقيقة الإلهية وصرن عاليات، سقطن برووسهن المزينة وصار نصيبيهن الخزي والعار، وإذا لبسن الحرير والأرجوان، لا يمكنهن بعد أن يلبسن المسيح، وإذا تزين بالذهب واللآلئ والقلائد، فقدن زينة القلب والروح.

فمن ذا الذي لا يتحبب ما كان سبباً هلاك الآخرين، من ذا الذي يشتهي أن يأخذ ما كان سيفاً ليقتل به الآخرين؟ وإن كان من شرب ما في الكأس قد مات، ألا تعرف إن ذلك كان سماً، وإذا كان أحد قد مات بعد تناول الطعام، فهل تأكل أو تشرب مما كان سبباً في هلاك الآخرين، فأى جهل للحقيقة، وأى جنون أن

تستهيني بما هو ضار وما سوف يكون دوماً مُهلكًا، وأن تعتقدين أنك لن تهلكي بهذه الأمور التي تعلمين أن بها قد هلك آخرون !!

١٤ - إن الله لم يخلق الأغنام بلون قرمزي أو أرجواني، ولا علم كيفية الصباغة والتلوين بالمساحيق، ولا كيفية صنع الحلى من الأحجار الكريمة المطعمية بالذهب أو عقود اللآلئ حتى تخفي بها العنق الذي خلقه الله.

هل مشيئة الله في أن تُنْقَب آذان الفتيات وهن في مرحلة الطفولة والبراءة وأن يتأملن دون أن يعرفن شرور العالم لكيما - فيما بعد - تُوضع في آذانهن أحجار كريمة. كل هذه الأمور خاطئة والشياطين اختبرعنها بخيالهم عندما فقدوا قوتهم السماوية بسقوطهم في المستنقع الأرضي، لقد علموا النساء كيف يضعن الكحل في عيونهن والمساحيق على خدوذهن وأن يطردن كل صدق من وجوههن ورأسمهن بهجماتهم الفاسدة عليهن.

١٥ - ليس فقط العذارى والأرامل، بل والمتزوجات أيضًا وكل النساء عموماً لابد أن يعلمن أن عمل الله وخلقه يجب إلا تشهوه باستخدام الألوان والأصباغ أو بأى نوع من المساحيق التي تفسد الملامح الطبيعية، لأن الله يقول: «نعمل الإنسان على صورتنا كثيعبنا» (تك:٢٦). فهل يجرؤ أحد أن يغير أو يبدل عمل الله؟!

إنهن يحاولن أن يغيّرن ما عمله الله غير علامات أن كل ما أتى إلى الوجود هو من صنعه، وإن كل تغيير هو من الشيطان. فإذا قام أحد الرسامين برسم صورة رائعة لشخص ما بدقة وألوان بدعة،

ثم جاء آخر بعد أن انتهى ذاك من عمله ووضع يده عليها كما لو كان - أكثر مهارة منه - ويرى أنه يستطيع أن يجعلها أفضل، إلا ييدو هذا أمر مُحزن ومهين وسيّاً وجيهًا لغضب الرسام الأول، فهل تظنين أنك حينما تقرفين مثل هذا الشر لن تناли أية عقوبة بينما أنت تُسيئين إلى الله الفنان الأعظم؟

إن ارتكاب العذارى مثل هذه التعديات إنما هو إهانة للخالق الصانع، فعندما يستخدمن الأصياغ المغربية ويتزين ويفصفن شعورهن، يشوهن العمل الإلهي ويزعن عن الحق.

١٦ - إن صوت الرسول يحذر: «نقوا منكم الجمرة العتيقة، لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير. لأن فصحتنا أيضًا المسيح قد ذبح لأجلنا. إذا لعید، ليس بجميرة عتيقة، ولا بجميرة الشر والخبث، بل بفطير الإخلاص والحق» (أوكو ٥: ٨ و ٧). لكن هل يبقى الإخلاص والحق عندما نلوث وندنس ما هو أصيل بخلطه من الألوان، وعندما يتبدل ما هو حق إلى كذب بالأصياغ الخادعة والمساحيق؟ رغم أن الرب يقول: «لا تقدر أن تجعل شرة واحدة بيضاء أو سوداء» (مت ٥: ٣٦).

لكن أنت، ترغبي أن تنتصرى على كلمة الرب وأن تكوني أقوى منه، أنها محاولة طائشة ووقاحة دنسة أن تقومى بصياغة شعرك وفي أن يكون لك شعر لونه ناري وتحطيقين - وبالعظيم الشر - برأسك التي هي أبل جزء من الجسد. مع أنه مكتوب عن الرب: «وأمّا رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج» (رؤ ١٤: ١). فأنستِ تشمئزين من الشعر البرمادي وتعافين اللون الأبيض الذي

يشابه رأس الرب.

١٧ - أني أسألك: ألا تخشين من تلك الحالة التي أنت فيها، إن خالقك يوم القيمة لن يتعرّف عليك، وسيبعنك عن حالاته ومواعيده ويرفضك موجهاً إياك قائلاً: «إن هذا ليس عمله ولا هذه صورته»، لقد لوثي بشرتك بمسحوق كاذب وغيرت لون شعرك باللون مزيفة وانهزم وجهك بالأكاذيب وفسدت صورتك.

إنك لن تستطعي رؤية الله لأن عيونك لم تعد تلك التي صنعها الله، بل تلك التي أفسدتها الشيطان، إذ اقتديت بالعيون الحمراء المرسومة التي للحياة، وتزيينت مثل العدو فمعه أيضاً سوف تخترقين قريباً.

ألا ينبغي على خدام الله أن يتفكرُوا في هذه الأمور؟ وأن يرهبُنها ليل نهار؟ فلتتضرر النساء المتزوجات إلى الأمر هكذا، وينظرن كيف يخدعن أنفسهن بالحديث عن رغبتهن في إرضاء أزواجهن، إنهن بالتحجج بأزواجهن كعذراً لهن، يجعلونهم شركائهن في إثمهن.

أما العذاري اللاتي تزيين بفنون من هذا النوع، فيجب ألا يعتبرن في عداد العذاري بل هم مثل الخراف المصابة والماشية المريضة التي يجب أن تُعزل عن قطيع البشارة المقدسة والنقي لئلا باختلاطهن وعيشهم معًا يلوث الآخريات بعدواى مرضهم، ويُهلكن آخريات كما أهلكن أنفسهم.

١٨ - وإن كنا نطلب نعمة العفة حقاً، فعلينا أن نتجنب كل ما هو مضاد لها، وإن كنت لا أغفل أن هناك بعض الأمور التي تضر

بالمسلوك الجيد واليقظة، فالبعض للأسف لا ينجلن من حضور حفلات الزفاف، والاشتراك في المناقشات والأحاديث غير العفيفة الدنسة، وسماع ما لا يليق، والجلوس على موائد السكارى والكلمات المخزية، أي مكان في هذه الأفراح لتلك التي لا تفكّر في الزواج؟ ما الذي يمكن أن يكون متعًا أو مُبهجًا لها في تلك المناسبات، حيث الرغبات والشهوات مختلفة عن تلك التي لها؟ أليس هذا فشلاً ذريعاً للعذراء في تحقيق نذرها عندما تذهب إلى هناك عفيفة وتخرج غير عفيفة!! نعم قد تكون بتول في جسدها، لكن في العينين، في الأذنين، في اللسان فقدت الكثير من الفضائل التي قد اقتنتها فعلاً.

١٩ - وماذا أيضاً عن اللاتي تذهبن إلى الحمامات العامة والتي تخعلن من أجسادهن عرضه للأعين الشهوانية، هذه الأجساد التي تقدّست للعفة والخشمة؟ ألا يثرون شهوة من هم حاضرين لما فيه ضرر وخزي لهن؟

ربما تقولين: إن اهتمامي الوحيد هو حميم الجسد، ولينظر ذاك الآخر إلى ما دفعه إلى المحبّ هنا.

مثل هذا الدفاع لا يبرك ولا يبرئ الآخر من خطية الشهوة، ففي هذه الحمامات من الخلاعة والفساد ما يفوق المسارح، وحتى إن لم تتأثر العذراء بما تراه هناك من فساد ومشاهد شهوانية، إلا أنها ستكون عثرة لآخرين وموضع شهوتهم، فهذه الحمامات لا تغسل أو تطهر الجسد، بل تدنسه.

٤٠ - ومن هنا فإن الكنيسة تحزن على عذاراها، وتعن وتنوح بسبب سلوكيهن البغيض والشريرة السيئة عنهن، من هنا تتلاشى زهرة البتولية وتتقلل كرامة وحشمة العفة. والسمو يتدىس، ومن هنا يتسلل العدو خلسة بمكائده، ويزحف إبليس إلى الداخل بشياكه، فالعذاري اللاتي يتزينن بعباية أكثر، ويتحولن بحرية أكبر، لا يعدن بعد عذاري، بل فاسدات بخزي خفي، ويصرن أرامل قبل أن يتزوجن، زانيات حائبات، ليس لأزواجهن، بل للمسيح، وبقدر ما كان نصيبيهن قبلًا أن ينلن ج تعالات عظيمة لأجل عذر أو يتهمن، كذلك سينلن عقاباً مريعاً لأجل فقدانهن عذر أو يتهمن.

٤١ - لذلك استمعن إلى أيتها العذاري كأب، استمعن لمن يحذركن بإخلاص لأجل فائدتكن ومنتغون، احفظن أنفسكن كما صنعكم الله الخالق، احفظن أنفسكن كما زينكم أبوكم السماوي، ليظل وجهكن غير فاسد، وأعناقكن غير مزينة، وهيئتكن بسيطة، ولا تدعن ثقوباً تصنع في آذانكن، ولا تدعن الأساور والقلائد الشمينة تلتف حول أذرعتكن أو أعناقكن، فلتكن أقدامكم حرة من القيود (الخلاغيل) الذهبية، شعوركم غير ملوثة بأى صبغة، عيونكم مستحقة أن تعain الله، فليكن استحمامكم مع النساء اللواتي هن محشمات لكي يكون حميمكم عفيفاً، ابتعدن عن الأعياد المخزية وموائد الزواج الماجنة، اهزمن الشياط لأنكم عذاري، اهزمن الذهب لأنكم تهزمن الجسد والعالم، فمن غير المعقول ألا يُقهر المرء أمام العدو الكبير، بينما يُهزم من العدو الأصغر !! عسير وضيق هو الطريق المؤدي إلى الحياة، شاق وصعب

هو الدرج الذي يفضي إلى الجحود، لكن عبر هذا الطريق يتقدم الشهداء، تمضي العذارى، يتقدم الأبرار، هناك يتملّق الشيطان كي يخدع، يبتسم كي يصنع شرًّا، يغوى كي يقتل.

إن مرتبة العذارى تالية لمرتبة الشهداء، فثرمة الشهداء هي مئة ضعف، ثمرة العذارى هي ستون ضعف، وكما أن الشهداء لا يفكرون في الحسد أو العالم، والجهاد هنا ليس هين أو لذيد، كذلك العذارى - الالاتى جعلتهن تالية في النعمة - يجب أن تكون قوة احتماهن تالية للشهداء، فالارتقاء للأمور العظيمة ليس بالأمر السهل، فأى مشقة نبذل وأى جهد نعمل عندما نحاول أن نصعد التلال أو قمم الجبال! فما بالكم ونحن نصعد إلى السماء؟ لكن إذا نظرنا إلى جهالة الموعد، سنجده أن ما نحمله هو أقل، فالخلود يُوهب لمن يثابر.

٤٢ - ثابرن أيتها العذارى، تمسكن بما قد ابتدأتن أن تكوننه، وبما سوف تكونن عليه، فهناك جهالة عظيمة محفوظة لكن، ومكافأة مجيدة للفضيلة، جهالة فائقة جداً للطهارة. هل تردن أن تعرفن أي تعب تتحببه فضيلة العفة، وأى صلاح تمتلك، الله يقول للمرأة: «تكثيراً أكثر أتعاب حبك، بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك» (تك ١٦:٣). أمّا العذارى فهن متحرّرات من هذا الحكم، فلا يخسّنن آحزان وآنات النساء وليس لديهن خوف من الولادة ولا يتسلّط زوج عليهن، لكن سيدهنّ ورأسهنّ هو المسيح، وهذا ما أعلنه رب بقوله: «أبناء هذا الدهر

يُزوجون ويُزوجون، ولكن الذين حسوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات، لا يُزوجون ولا يُزوجون، إذ لا يستطيعون أن يموتون أيضاً، لأنهم مثل الملائكة، وهم أبناء الله، إذ هم أبناء القيامة» (لو ٢٠: ٣٤ - ٣٦). فالحالة التي يبلغها الأبرار في القيامة تبلغها العذارى الآن، إذ يقتنين في هذا العالم مجد القيامة، ويعبرن العالم دون الإصابة بسمومه، ولأنهن يعيشون عفيفات بتولات، لذلك هن مُساويات لملائكة الله، لكن عليهن أن يحفظن بتوليتهم بصير، وكما بدأن بشحاعة كذلك فليكملن جهادهن دوماً، ولا يطلبن زينة العنق ولا الشياطين، بل زينة السلوك، فلتتطلع عيونكن نحو الله والسماء، وليس إلى أسفل نحو شهوة الجسد وشهوة العالم.

٤٢ - لقد أمرت الوصية الأولى بالنمو والكثرة، وجاءت الوصية الثانية تندح العفة والتولية وتوصى بها، لكن رب لا يأمر أن نعيش خصيانت لأجل الملوك، لكنه فقط يحثنا، فهو لا يضع نير الضرورة لأن اختيار الإرادة الحرة متترك للإنسان، لكن عندما يقول أن في بيت أبيه منازل كثيرة، يعني بهذا أن هناك سكنى فيها إقامة أفضل، وهو ما تطلبه العذارى، إذ يتركت شهوات ورغبات الجسد، فينزلن جعالة ذات نعمة عظيمة في المنزل السماوى.

نعم إن كل الذين ينالون العطايا الإلهية والميراث السماوى بتقدیس المعمودية يخلعون الإنسان العتيق بنعمة الحميم المخلص، ويتجددون بالروح القدس من دنس الفساد القديم، يتظاهرون بهذه الولادة الثانية، لكن التقدیس الأعظم وصدق الميلاد الثاني يخسان

العذاري اللاتى لم تعد هن أي شهوات جسدانية، بل تلك التى للفضيلة والروح القدس التى بقيت فىهن للمجد، فهذه هي الكلمة الرسول الذى دعاه رب إباء المختار، والذي أرسله ليكرز بالوصية السماوية «الإنسان الأول من الأرض ترابي. والإنسان الثاني رب من السماء. كما هو الترابي هكذا السماويون أيضاً، وكما هو السماوي هكذا السماويون أيضاً. وكما لبستنا صورة الترابي، سلبنا أيضاً صورة السماوي» (كوفى: ٤٧-٤٩).

فالبتولية تحمل هذه الصورة، القداسة تحملها، الحق يحملها، التلاميد الذين يملأ الله أذهانهم بحملونها، يحفظون البر بتدقيق، الثابتين في الإيمان والمتضعين في خفافة، الشجعان لكل الآلام، والوداع في مكافحتهم للإساءات، المسرعين لإظهار الرحمة، الذين لهم ذهن واحد وقلب واحد في السلام الأخوى.

٤٤ - أيتها العذاري الصالحات، عليكن أن تحفظن سائر هذه الفضائل وأن تحببنها وتكملنها، أنتن يا من كرّستن أنفسكن للرب، وعلى المتقدمات في الأيام أن يقدمن تعليماً لمن هن أصغر منهن، وعلى الصغيرات أن يقدمن قدوة وحافر لمن في عمرهن. احتملن بشجاعة، تقدمن روحياً، وإدركن الهدف بفرح، اذكرونا في ذلك الوقت، عندما تبدأ البتوالية تكافأ فيكن.



## الجاحدين

١ - أيها الإخوة الأحباء، لقد عاد السلام إلى الكنيسة، رغم أن حدوث ذلك كان صعباً عند هؤلاء الشكاكين، ومستحيلاً لدى الخائبين، إلا أنه بالإيمان والمعونة الإلهية عاد السلام إلى الكنيسة ثانية، لذلك علينا أن نقدم التسابيح والتماجيد لله بعد أن عبر صيف الاضطهاد، وأشرق المدودة والطمأنينة مرّة ثانية، وأن نقدم له الشكر على نعمه وعطياته، وإن كان المؤمنين لم يتوقفوا عن تقديم الشكر لله حتى في زمان الاضطهاد، فلا أحد يستطيع ولا حتى العدو أن يمنعنا - نحن الذين نحب رب بكل قلوبنا وقوتنا وحياتنا - من التحدث ببركاته وتسابيحة دوماً في كل مكان، إن النهار الذي اشتقتنا إليه في كل صلواتنا قد آتى، واستنار العالم بنور رب بعد ظلام ذلك الليل الطويل.

٢ - بوجوه مملوءة بالفرح تتطلع إلى هؤلاء المعترفين العظام الذين نادوا باسم الحسن، والممدوحين من الفضيلة والإيمان، نختضنهم ونقبلهم بقلبات مقدسة، هؤلاء الذين اشتقتنا إليهم بمحبة إلهية. هؤلاء جنود المسيح المتوضحين بالثياب البيضاء، الذين هزموا هجمات الاضطهاد الهائجة ومعاناة السججون ومواجهة الموت.

لقد قاومتم العالم بشجاعة، وقدّمتم مشهدًا مجيداً في عيني الله، لقد كتّمتم مثلاً لإخوتكم سوف يتبعونه، هذا الصوت الذي ذكر اسم المسيح واعترف به، وهذه الأيدي العظيمة، التي اعتادت على الأعمال الإلهية فقط، قاومت الذبائح الدنسة. والأفواه التي تقدّست

من جسد الرب ودمه لفظت الدين الذى خمير الأوثان. رؤوسكم  
ظللت حرّة من الغطاء الشرير الردى الذى كان على رؤوس هؤلاء  
الذين ذبحوا للأوثان، جباكم النقيّة بعلامة الله حفظت نفسها  
لإكليل الرب ولم تحتمل إكليل الشيطان. كم تأخذكم أمكم  
الكنيسة بفرح إلى أحضانها عندما ترجعون من المعركة !!

وبأيّة سعادة وبهجة تفتح أبوابها لكيمما تدخلوا.

مع هؤلاء الرجال المنتصرون جاءت أيضًا النساء اللائي غلبن ضعف  
جنسهن، وهن يصارعن العالم، والعذارى أيضًا جهن بالحمد المضاعف  
الذى لربهن، وكذلك الفتیان الذين فاقوا أعمارهم في الفضيلة.

كما أن هذا الجمجم الحاضر كانوا مصاحبين خطاكם بعلامات  
التبسيح وكانت خطفهم متحدة بخطاكم لأنّهم مؤسسو على أساس لا  
يهتر من التعاليم الإلهية، وثابتين بالتقاليد الإنجيلية، لم تُرهبهم العقوبات  
الموضوعة، ولا العذابات المرسومة، ولا ضياع الثروة، ولا العقوبات  
الجسدية. إن من يرجو الأبديّة من الله هو ذاك الذي جحد العالم.

٣- أيها الإخوة الأحباء، ليت لا أحد يخيب من هذا الجهد، ليت  
لا أحد من القائمين يسقط تحت أي افتراء خبيث، إن كل من لم  
يُنكر في يوم الإنكار أنه ليس مسيحيًا، أقرّ بمسحيته، فالخطوة  
الأولى للنصرة لمن سقط في أيدي هؤلاء الوثنين هي أن يعترف  
بالرب في وسط عنف وعذابات الأمم، بينما يأتي في المرتبة التالية  
للمجد الهروب بحذر وحفظ النفس للرب. الأمر الأول يكون  
الإقرار فيه أمام الجميع، أمّا الثاني فهو اعتراف شخصي خاص.

الأول هزم قضاة هذا العالم، والثاني اكتفى بالله كقاضي وديان له، وحفظ ضميره طاهراً في كمال القلب. الحالة الأولى الثبات فيها أقوى، أمّا في الثانية فهناك خشية من عدم الثبات.

الأول، حينما اقتربت ساعته، وُجد كاملاً ناضجاً فعلاً، والثاني ربما يكون قد تأخر، لكنه إذ ترك أملاكه، هرب زماناً يسيرًا حتى لا يُنكر، لكنه بالتأكيد إذ تم القبض عليه كان سيعرف هو الآخر، ويُقر بإيمانه.

٤- في وسط هذه الأكاليل السمائية للشهداء، والاعترافات الروحية الحميدة، والفضائل العظيمة جداً التي لإخوة الذين ثبتوا، انزع العدو جزء من أحشاء الكنيسة.

ماذا سأفعل في هذا الأمر أيها الإخوة؟ كيف أتكلّم؟ وماذا أقول؟ إن احتاج للدموع عوضاً عن الكلمات حتى أعبر عن هذا الحزن الذي أصاب الجسد بسبب هذا الجرح، إذ لا بد أن تتوح على الكثرين الذين ارتدوا، فمن ذا الذي هو هكذا قاسي القلب وعدم المشاعر حتى لا يتذكر الحبة الأخوية ويقف مُشاهداً هلاك أصدقائه وعيناه حافتان. أيها الإخوة، أنا حزين معكم، ولا أعتقد إن كان لي كمال أو قداسة أنها ستفلح في أن تخفف من آلامي.

إن جرح الراعي أعمق من جرح أي أحد من القطيع، لأنه يشارك بقلبه مع كل أحد، ويشارك في حمل نير الأنين والحزن، يبكي مع الباكين، ويتحبّب مع الناحبين، وعندما يُضرب المؤمنين بسهام العدو الغاضب، تخترق سيوفه القاسية أحشاءه. إن ذهني لم يعد قادرًا على الاحتفاظ بمناعته وحرّيته تجاه هجمات الاضطهاد،

من أجل إخوتي المتألين، فمحبتي وضعتني أيضاً معهم.

٥- أيها الإخوة الأحباء، فلنحفظ الإيمان، ولا ندع هذا الاضطهاد القاسي يطمس حواسنا حتى لا يُقى لنا شيء من النور والبهاء نستطيع أن ندرك به الوصايا الإلهية.

فمني عرفنا سبب الفاجعة، نستطيع في الحال أن ندرك العلاج لهذا الجرح، لقد أراد الله لاسرته أن تختبر. فالسلام الطويل أضر بالتلمندة التي سلمت إلينا، لذلك جاء التوبيخ الإلهي مُوقظاً لإيماننا، مع أننا نستحق أكثر من هذا بسبب خطايانا، إلا أن الرب الرحيم جعل هذه المضائقات تبدو محتملة، حتى وإن كان ما حدث يبدو اختباراً أكثر منه اضطهاداً.

٦- كلّ منا يرغب في زيادة ثروته وغناه مُتناسياً ما فعله المؤمنون والإخوة قبلًا في عصر الرسل، فعكف كلّ منهم بهم وجشع لزيادة ثروته، وبين الكهنة يوجد من ليس لديهم إخلاص للمسيح، أعمالهم لا تُوجد فيها رحمة، وأخلاقياتهم ليس فيها تأدب. الرجال طمسوا لحاظهم، والنساء طلوا وجوههن، وعيونهن زائفة وليس كما جبلتها يد الله، شعرهن مصبوع، وصاروا في زواج مع غير المؤمنين، وزنوا بأعضاء المسيح مع الأمم. لا يخلفون فقط باندفاع وتهور، بل وأيضاً كذباً، يتکبرون على من هم دونهم، ويتكلّمون بالشرّ عن بعضهم البعض، لسانهم مملوء سُئاً، ويتشاجرون بكراهية مع بعضهم البعض، وكثير من الأساقفة عوض عن أن يكونوا مصدراً للتشجيع والعزاء، والقدوة للآخرين، أهملوا مسؤوليتهم الروحية وساروا وراء ملوك الأرض، تركوا كراسيمهم

وهجروا شعهم وصاروا يتجولون بين المدن الأخرى سعيًا وراء الربح القبيح، بينما إخوتهم في الكنيسة يموتون جوعًا، رغبوا في اقتناه المال الوفير، وسطوا على أملاك الغير. فما الذي لا تستحقه بسبب كل هذه الخطايا؟ إذ قد سبق التوبيخ الإلهي وحدرنا: «إن ترك بنوه شريعي ولم يسلكوا بأحكامي. إن نقضوا فرائضي ولم يحفظوا وصاياتي. افتقد بعضًا معصيتهم، وبضربات إثيمهم» (مز ٨٩: ٣٠-٣٢).

٧- إن هذه الكلمات هي إنذار لنا، إذ سبق وتكلمت عنها النبوات سلفًا، لكننا نحن باهملنا وعدم حفظنا للوصية، جلينا على أنفسنا هذه الضربات، إذ بازدرأتنا بوصايا رب، وضعنا لنا أدوية أصعب وأقسى حتى توب عن خطايانا ويُمتحن إيماننا. إلا أن مخافة رب ليست فينا بعد، كي نتحمل بصبر وشجاعة هذا التقويم والتآديب الإلهي، فعقب التهديدات الأولى للعدو، تنكر عدد كبير من الإخوة لإيمائهم وسقطوا، ليس بسبب الاضطهاد، بل زلوا من تلقاء ذواتهم.

فيما له من أمر لم يسمع به قط من قبل! ما الذي حدث؟ كما لو كان بمحدوث أقل اضطراب، تخلّ بسرعة عن وصايا المسيح؟ أم يخبرنا الأنبياء أولاً وبعد ذلك الرسل عن هذه الأمور؟ فإذا كانوا مملوئين من الروح القدس، تنبأوا عن ضيقات وأحزان البار، وتعديات الوثنين الدائمة؟ أم تُخبرنا الأسفار المقدسة التي تقوى وتبثت إيماننا دوماً، نحن خدام الله، بالصوت السماوي وتقول: «الرب إلهك تقى، وإياه (وحده) تعبد» (تث ٦: ١٣)؟ إلا يقول ثانية معلنا الغضب الإلهي ومحذرًا من العقاب: «ويسجدون لعمل أيديهم لما صنعته أصابعهم. وينخفض الإنسان، وينظر الرجل، فلا تغفر لهم» (إش ٢: ٩ و ٨)، والرب

أيضاً يتكلّم قائلاً: «من ذبح لآلهة غير الرب وحده، يهلك» (خر ٢٢: ٢٠).  
الرب الذي علّمنا بكلماته وتم ب أعماله، الذي علّمنا ما الذي يجب  
أن نفعله، ألم يُخبرنا بما يحدّث الآن وما سوف يحدّث. ألم يرسم  
مجازاة أبدية لمن ينكرونه، وجعارات عظيمة لمن يعترفون به.

-٨- ياللأسف! إن البعض نسوا هذه الأقوال، ولم يتظروا حتى  
القبض عليهم، أو حتى أن ينكروا المسيح حينما يُسألوا، بل إن  
كثيرين سقطوا قبل المعركة وسجدوا قبل القتال، ولم يتركوا  
لأنفسهم حتى هذه الفرصة أن يظهروا وكأنهم يذبحون للأوثان بغير  
رغبة، بل أسرعوا إلى السوق (مكان المحاكمات). بإرادتهم، وأسرعوا  
إلى الهلاك من تلقاء ذواتهم، كما لو كانوا يرغبونه قبلاً، كأنهم  
يتنهرون الفرصة التي كانوا يشهونها دوماً، بينما الكثيرين عندما  
كان يتم القبض عليهم في المساء كانوا يتسلون لأنّا يرجأ استشهادهم !!

أمّا هؤلاء فأى عذر لهم، هل ارتدوا بسبب الألم أو العذابات؟!  
بأى شيء يكفّروا عن جريمتهم، هؤلاء الذين جلبو على أنفسهم الهلاك  
عندما ذهبوا من تلقاء ذواتهم إلى هيكل الوثن، عندما تقدّموا بإرادتهم  
مستسلمين لأفظع جريمة، ألم تتعثر خطواتهم، ألم ترعد أحشائهم ألم  
تتعثر أرجلهم وتتبّلد حواسهم وتنشق ألسنتهم وتستدّ أفواهم؟

كيف يمكن خادم المسيح الذي حَجَدَ الشيطان والعالم قبلًا أن  
يقف هناك ويتحدّى المسيح؟ لقد كان هو المحرقة لهذا المذبح الوثني  
الذي تقدم إليه هلاكه، كان عليه أن يرتعب كما لو كانت هناك  
جنازته وقبر حياته، كان عليه الهروب منه؟

لماذا أحضرتم أيها البائسون الذبائح معكم؟ لماذا تقدّمون ذبيحة؟  
لقد أتيتم أنتم أنفسكم إلى المذبح كتقدمة، لقد صرتم أنتم ذبيحة، فهناك  
يُقتل خلاصكم، رحاؤكم، هناك آخر قدم إيمانكم في هذه النيران المهلكة.

٩ - هناك الكثيرين الذين لم يكتفوا بهلاك أنفسهم فقط، بل باللحاح  
كانوا يدفعون البعض إلى ال�لاك، والطامة الكبرى إنه حتى الأطفال  
الرضع والصغار، قادوهم والديهم معهم وخسروا ما قد رجحوه  
بالمعمودية. ألن يقول هؤلاء الأطفال في يوم القيمة «أننا لم نفعل  
 شيئاً، ولم نترك قربان وكأس الرب حتى تسرع بإرادتنا إلى فعل  
الدنس، بل كان عدم إيمان الآخرين هو الذي أهلكنا، إن الذين  
قتلوا هم أباءنا، لقد أنكروا علينا أن تكون الكنيسة أمّنا، لقد أنكروا  
 علينا الله كأب لنا، فعندما كنا صغاراً، غير مدركون لهذه الجريمة،  
ورّطنا خطأ الآخرون في هذا الشر».

١٠ - بالأسف، لا يوجد أي سبب لهذه الجريمة التكراء، فإن  
كان هناك من يترك وطنه، ومن يتآلم لفقدان ثروته، فهذا هو حال—  
كل من يولد ويموت— أن يتخلى أحياناً عن وطنه في وقت ما، وأن  
يتآلم لفقدان ثروته.

ليت لا أحد يترك المسيح، لتكن خشيتنا من فقدان الخلاص  
والآبدية، هؤلاً الروح القدس يصرخ بالنبي ويقول: «اعترزوا،  
اعترزوا. اخرجوا من هناك. لا تمسوا نجسًا. اخرجوا من وسطها. تظهروا  
يا حاملي آنية الرب» (إش ٥٢: ١١). إلا أن هؤلاء الذين هم آنية الرب  
وهي أكل الله لم يخرجوا من الوسط!! ولم يرحلوا حتى لا يُغموا على

أن يمسوا النجس، وفي موضع آخر يقول صوت السماء محذراً مما سيحدث لخدم الله: «اخرجوا منها يا شعبي، لثلا تشتراكوا في خططيابها، ولثلا تأخذوا من ضرباتها» (رؤ١٨:٤). فالذى يخرج ويرحل لا يصير شريكًا في الخطية، أمّا من يشترك فسوف تصيبه الضربات.

لذلك يوصينا ربنا في زمان الاضطهاد أن نرحل ونهرب، وقد علمنا أن نفعل هذا، وصنعه هو نفسه، فكما أن الإكيليل يعطي بحسب المسيرة الصالحة لله ولا يمكن أن يأخذه أحد إلا عندما تأتي ساعته، فمن يهرب بعض الوقت حتى لا يُنكِر إيمانه هو ثابت في المسيح، أمّا الذي يسقط بعد أن رفض الهروب، فهو قد بقى لُنكِر إيمانه.

١١ - إن محبة الممتلكات قد خدعت الكثرين، لذلك لا يمكن لمن قيدته أموالكم كما يسلسلة أن يهرب، إن هذه المقتنيات هي الرباطات التي تربطهم وتعوقهم عن الهرب، هي التيود التي عاقت فضائلهم وثقلت على إيمانهم، وقيدت أرواحهم، حتى صار هؤلاء الغارقون في الأمور الأرضية طعاماً وغنية للحياة التي بحسب كلمات الله تتغذى على الأرض، لذلك يحذرنا ربنا معلم الصالحات لأجل المستقبل ويقول: «إن أردت أن تكون كاماً فاذهب وبع أموالك وأعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال ابني» (مت٢١:١٩). فلو صنع الأغنياء هكذا لما هلكوا بعذابهم، لو كانت كنوزهم في السماء لما كان لهم الآن شيطان يهاجمهم. فمتي كان الكنز في السماء عندئذ يكون معه القلب والعقل والمشاعر، فالعالم لا يستطيع أن يهزم ذاك الذي ليس له شيء فيه، لأنه يستطيع أن يتبع رب بحرية وسعة كما فعل

الرسل، فكثيرون في العصر الرسولي إذ تركوا ذويهم وممتلكاتهم التصقوا بال المسيح برباطات لا تنفص.

١٢ - فكيف هؤلاء المقيدين والمكبلين بشروطهم وغناهم أن يتبعوا المسيح؟ أو كيف هؤلاء الذين تتخلوا بالشهوات الأرضية أن يطلبوا السماء ويسل quo القمم العالية الشاهقة؟

يظنون أنهم مالكون بينما هم بالأحرى مُمتلكون، عبيداً لشروطهم وليسوا سادة من جهة أموالهم، أو بالأحرى مربوطين بربطة العبودية لأموالهم. والرسول يشير إلى هذه الأزمة وهؤلاء الناس عندما قال: «وَأَمَّا الَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْيَاءً، فَيُقْطَعُونَ فِي تَجْرِيبَةِ وَفْخِ وَشَهْوَاتِ كَثِيرَةٍ غَيْبَةٍ وَمَضْرَةٍ، تُغْرِقُ النَّاسَ فِي الْعَطْبِ وَالْهَلاَكِ. لَانْ مَحْبَةُ الْمَالِ أَصْلُ لِكُلِّ الشَّرُورِ، الَّذِي إِذَا ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلَّوْا عَنِ الْإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ» (١٠: ٦ و ٩).

لكن بأي جعلات يدعونا رب لاحتقار غنى العالم؟ بأي المكافآت سيعوضنا رب عن هذه الخسائر التافهة لهذا الزمان الحاضر؟ إنه يقول: «لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْنًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخْوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أَمَّةً أَوْ امْرَأَةً أَوْ أُولَادًا أَوْ حَقْوَلًا، لِأَجْلِ الْإِنْجِيلِ، إِلَّا وَيَأْخُذُ مِنْهُ ضَعْفَ الْآنِ فِي هَذَا الزَّمَانِ،... وَفِي الدَّهْرِ الْآتَى الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةِ» (مر ١٠: ٣٠ و ٢٩).

فإذ عرفنا هذه الأمور، ليس فقط لن تخشى أي خسارة من هذا النوع، بل أننا حتى نشتفيها لأن رب نفسه قال وحذر قائلاً: «طُوباكُمْ إِذَا أَبْغَضْتُمُ النَّاسَ، وَإِذَا أَفْرَزْتُمْ وَعِبْرَوْكُمْ، وَأَخْرَجْتُمْ إِسْكَمْ كَشْرِيرَ مِنْ أَجْلِ ابْنِ الْإِنْسَانِ. افْرَحُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتَهَلَّلُوا، فَهُوَ ذَا

١٣ - لكن إذ جاءت الآلام والعذابات في غاية القسوة عانى من قاوموا، وتعلل البعض بأنها كانت سبب سقوطه، مثل هذا يمكن أن يطلب قائلاً: «إني أردت فعلاً أن أجاهد بشجاعة، وإذا تذكرت نذري أخذت أسلحة الإخلاص والإيمان، لكن بينما كنت أجاهد، هزمتني العذابات المتوعنة والآلام الطويلة المستمرة. لقد كان ذهني ثابتاً وإيماني قوياً، ونفسى جاهدت طويلاً دون أن تتزعزع من الآلام المبرحة، لكن عندما أنهكت تماماً بالوحشية والبربرية التي هؤلاء الجلادين البالغى القسوة، لقد كانت السياط تمزقنى، وأصابتني الرضوض والكدمات من العصى، والمخلعة<sup>(١)</sup> (تعتصرى)، والمخالب تنغرس فى، والنيران تحرقنى، تخلى عنى جسدى في الجهد، واستسلم ضعف جسدى من الألم. وليس نفسى».

مثل هذا العذر يمكن أن ينال المغفرة والصفح، ودفع من هذا النوع يمكن أن يثير الشفقة والعطف. ففي مثل هذه الظروف سامح رب من قبل سيسليوس وامييليوس، فمع كونهما سقطوا في المعركة الأولى، أعطى لهم انتصار في الثانية. فهولاء الذين استسلما قبل للنيران، صاروا أقوى من النيران التي استسلما لها من قبل، وصاروا غالبين.

لقد توسلوا لأجل أن يتحنن عليهم رب، لا بدموعهم بل بحراحتهم، ليس بصوت حزين نادم فقط، بل بتهرأ أجسادهم وألامها، لقد فاض الدم بدلاً من الدمع، وبدلا من الدموع،

(١) أداة تعذيب قديمة يُمطرُ عليها الجسم.

## انسكب الدم من أحشائهم المختربة.

١٤ - لكن أية جروح يمكن أن يُظهروها هؤلاء الجاحدون؟ أي عذابات أو آلامات؟ فال مجرم لا يأخذ صك البراءة عن جريمه حتى لو ارتكبها رغمًا عنه، طالما أن له إرادة حرة، أنا لا أقول هذا حتى أجعل قضایاهم ثقيلة، بل لكي أدفعهم واستحثّهم ليصلوا طلبًا للصفح والمغفرة كما هو مكتوب: «ياشعی، مُرشدوک مُضلُون، ویبلغون طریق مَسَالک» (إش ٢:٣). لأن الذي يهدى الخطأ ويعزى به بكلمات كاذبة إنما يمهد السبيل للمزيد من الخطأ، ولا يكبح جماحه بل يُزيد من خطأه، لكن من يتهرّب وفي ذات الوقت يقدم التعليم والنصيحة لأخاه، يتحمّل على خلاصه فالرب يقول: «إني كل من أحبه أويجهه وأؤدبه» (رؤ ٣:١٩).

وهكذا يليق بكاهن الرب ألا ينخدع بالظاهر الكاذبة بل أن يقدم أدوية شافية، فالطبيب الذي يعالج أطراف الجرح بأيد حانية هو طبيب غير حاذق. إذ يترك بهذا السم في عمق الجرح وبذا يُزيد من آلامه، بل يجب أن يفتح الجرح ويستأصل الجزء الفاسد، حتى لو كان في ذلك صرامةً للمرضى وشكوى من شدة الألم، لكنه فيما بعد عندما يسترد عافيته سوف يقدم الشكر للطبيب على ما صنعه معه.

١٥ - أيها الإخوة الأحباء، لقد ظهر شر مستطير جديد من قبول هؤلاء الجاحدين تحت إدعاء الرحمة، كما لو أن عاصفة الاضطهاد قد ازدادت، إن هذا الأمر ضد تعاليم الإنجيل ومخالف لشريعة رب، فهذا السلام المنوح لهم، ما هو إلا سلام كاذب، إنه حظر على من يعنونه وعلم النفع لمن ينالونه. فهؤلاء (يتحدث

هنا عن ثوفاتيأن) لا يسألونهم الصبر اللازم للشفاء ولا الدواء الحقيقي، لأن التوبة بعيدة عن قلوبهم، وكذلك تذكرة خططيتهم. لقد عادوا من مذابح الشيطان بأيدي دَسَّةٍ تبعث منهم رائحة الموت وأفواههم تنطق بحرماتهم واقتربوا من موضع الرب المقدس رغم أن الكتاب المقدس يرفض هذا قائلًا: «يأكل كل طاهر منه. وأمّا النفس التي تأكل لحمًا من ذبيحة السلام التي للرب ونجاستها عليها فُقطَّع تلك النفس من شعبها» (لا ٢٠: ٦٧)، ويشهد الرسول أيضًا بالمثل فيقول: «لا تقدرون أن تشتراكوا في مائدة الرب وفي مائدة شياطين» (كو ١٠: ١١) بل أنه يهدّد أولئك المُوحِّجين وغليظي الرقة متوعداً: «من أكل هذا الخبز، أو شرب كأس الرب، بدون استحقاق، يكون مجرماً في جسد الرب ودمه» (كو ١١: ٢٧).

١٦ - لكن كل هذه التحذيرات وجدت منهم ازدراءً واحتقاراً وذهبت أدراج الرياح، فقبل أن يعترفوا بإيمانهم ويُكفرُون عن خططيتهم، وقبل أن يتضهّر ضميرهم بالذبيحة وبيد الكاهن، قبل أن يُعرضوا الرب الذي أساءوا إليه أخذوا يسيئون إلى جسد الرب ودمه وأخطأوا ضد الرب بأيديهم وأفواههم أكثر من جحدهم للرب. إنهم يظنون أن هذا سلام مجرد أن البعض منهم يتحايل بكلمات خادعة، إنه ليس سلام بل دمار، لأنه بعيد عن الإنجيل وغير متحد بالكنيسة. لماذا يدعون الإساءة رحمة؟ لماذا يشieren إلى عدم التقوى على أنها تقوى؟ لماذا يُوقفون نحيب التوبة ويدعون التواصل مع هؤلاء الذين ينبغي لهم البكاء باستمرار وأن يتسلوا للرب؟ إن ما يصنعه هؤلاء الجاحدون هو شبيه بأفعال الطبيعة، مثل ما يصنع مطر

الثلوج بالحصاد، والعاصفة الشديدة بالأشجار، والوباء المُهلك بالماشية، والنوء الهائج بالسفن. إنهم يفقدون عزاء الرجاء، ينزعون الجنور وبكلماتهم الفاسدة يسيرون إلى أخلاقك، يحطمون السفينة على الصخور لثلا تصل إلى الميناء.

إن التساهل هكذا مع هؤلاء الجاحدين، لن يهب السلام بل ينزعه ولن يمنع الشركة بل يعوق الخلاص، إنه اضطهاد آخر وتجربة أخرى لا يزال العدو ينقض بها على الجاحدين، مُهاجمًا إياهم بفساد مستر حتى يُهدىء من حزنهم وبكتائهم على خططيتهم، حتى ينسون تذكر خططيتهم، ويُسكت أذين قلوبهم، وتبعد دموع عيونهم، ولا يقدموا توبة للرب، مع أنه مكتوب: «اذكر من أين سقطت وتب» (رؤ٢:٥).

١٧ - يجب ألا يخدع أحد نفسه، لأن الرب وحده هو الذي يرحم، وهو وحده الذي يهب الصفح عن الخطايا التي ارتكبت ضده، فهو الذي حمل خطايابنا، وحزن لأجلنا، والذي يدل ذاته لأجل خطايابنا، والإنسان لا يمكن أن يكون أعظم من الله، ولا يستطيع العبد بتسهيله أن يغفر أو يصفح عما افترف ضد الرب، إنه بذلك يرتكب خطية أعظم، ويضيف خطية إلى إثمه، إذ يجعل ما قد أعلن: «ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان» (إر١٧:٥). يجب أن نطلب من الرب، فالرب فقط هو الذي يجب أن نرضيه بتوبيتنا، هو الذي قال أنه سينكر من أنكره لأن سلطان الدينونة قد دفع إليه من الآب (يو٥:٢٢). نعم نحن نؤمن أن استحقاقات الشهداء وأعمال البر لها قوة عظيمة عند الدينان، لكن هذا سيكون في يوم الدينونة،

في نهاية هذا الدهر عندما سيقف شعبه أمام منبر المسيح.

١٨ - أمّا من باندفاع وتهور يظن أنه يستطيع أن يمنع الغفران للكلّ أو يتحاسر ويعمل ضد وصايا الرب، فإن هذا الفعل لن يفيد الجاحد فحسب، بل سيعوقه أيضًا. فإن كنت لا تضع أمامك دينونة الرب وتظن أنه من غير الضروري أن تستعطفه الرب، وتحاوز حدودك أيها الإنسان وتغضب لنفسك حق المغفرة لآخرين فهذا من سلطان الله وحده. إنك بعملك هذا تثير غضبه. فتحت مذبح الله نفوس الشهداء المذبوحين تهتف بصوت عالي قائلة: «حتى مت أيها السيد القدس والحق، لا تقضي وتنقم لدمائنا من الساكين على الأرض؟». (رؤ٥:١٠)، ولكنه أعطى لهم أمراً أن يستريحوا حتى يكمل العبيد رفقاؤهم. هل يظن أحد أنه بغرانه وصفحه عن الخطايا بهذه الطريقة أنه صار شخصاً صالحاً، أو أنه يستطيع أن يبرر الآخرين قبل أن يتبرّر هو ذاته؟ إن الاستجابة لما يطلب الشهداء والمعترفون تتوقف على ما إذا كانت طلباتهم مطابقة لوصايا الرب أم لا.

١٩ - موسى أيضاً طلب الغفران لأجل خطايا شعبه، ومع ذلك لم ينال ما سأله، إذ قال: «آه، قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلة من ذهب. والآن إن غفرت خططيتهم، وإلا فامحي من كتابك الذي كتبت. فقال الرب لموسى: من أخطأ إلى أحوه من كتابي» (خر٣٢:٣١-٣٣). فرغم أنه كلّيم الله، الذي تكلّم مراراً مع الرب وجهاً لوجه لم يستطع أن ينال ما طلبه ولا استطاع أن يُسكن بتولسه غضب الله.

وإرميا الذي امتدحه الله قائلاً: «قبلما صورتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجمت من الرّحم قدستك. جعلتكنبياً للشعوب» (إر ١:٥). عندما تضرع مراراً وصلّى لأجل خطايا شعبه قال الله له: «لا تُصلّ لأجل هذا الشعب، ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلة، لأنّي لا أسمع في وقت صراخهم إلى من قبل بليتهم» (إر ١٤:١١).

من ذا الذي كان أكثر براً من نوح الذي وحده رب وحده باراً على الأرض، حين امتلأت الأرض كلها بالإثم؟ من كان أكثر بحداً من دانيال، ومن كان أقوى منه في ثبات إيمانه إلى درجة الاستشهاد؟ من كان أكثر اجتهاداً منه في الأعمال الصالحة؟ وأيوب، من كان أقوى منه في احتمال التجارب وأكثر صبراً في الآلامات وصدقًا في الإيمان؟ مع كل هذا قال الله عنهم أنه لو كان لهم أن يسألوا، ما منحهم إياه.

حزقيال النبي عندما تشفع لأجل خطايا الشعب قال الله له: «إن أخطأت إلى أرض وخانت خيانة، فمدّدت يدي عليها وكسرت لها قوام الحبز، وأرسلت عليها الجوع، وقطعت منها الإنسان والحيوان، وكان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة: نوح وDaniyal وأيوب... إنهم لا يخلصون بنين ولا بنات. هم وحدهم يخلصون» (حز ١٤:١٣ و ١٤ و ١٦). فليس كل من يسأل سُبحاب، بل إن هذا يكون بناءً على قبول المسيرة الإلهية.

٢٠ - يقول رب في الإنجيل: «كل من اعترف بي قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله، ومن أنكرني قدام الناس يُنكر قدام ملائكة الله» (لو ١٢:٩ و ٨:١٢). الإنجيل لا يمكن إلا أن يكون صادقاً،

فإذا كان الله لن ينكر من انكره وسيعرف من لم يعترف به، تكون أمام تعليم مخالف للإنجيل، ولا يمكن للإنجيل أن يكون صادقاً في جزئية وغير ذلك في جزئية أخرى، إما أن يكون كلام الأمران صحبياً أو كلامها خطأ. فإذا كان من ينكره لن يقع تحت الحكم، فلا بد أن من سيعرف به لن ينال جعالة الفضيلة. وإن كان الإيمان الذي انتصر يكمل، فلا بد بالضرورة أيضاً أن الخائن الذي حجد ينال العقاب.

هكذا بالنسبة للشهداء يمكن أن يصيروا عديمي النفع مادام يمكن كسر الوصايا لأجلهم أو العكس، فالذين يصيرون شهداء بحسب الإنجيل لا يمكنهم أن يتصرفوا بطريقة مناقضة للإنجيل.

ولكن يجب ألا يقلل أحد من كرامة ومجده الشهداء وإكليلهم لأن قوة إيمانهم غير الفاسدة تظل صحيحة، ولا يمكن لذاك الذي رجاؤه وإيمانه وفضيلته ومجده كله في المسيح أن يطلب أي شيء ضد المسيح، فلا يمكن هؤلاء أن يكونوا عذراً لأى فعل يقوم به الأساقفة مخالف لوصية الله. فهل هناك إنسان أعظم من الله أو أكثر منه رحمة، فهو يريد أن يعطى ما سمح الله به من إضطهاد كما لو أن الله غير قادر على حماية كنيسته، ويظن أنه يمكننا أن نخلص بمعونته.

٢١ - هل يظن أحد أن هذه الأمور قد حدثت بدون معرفة الله أو تمت بدون سماحة، اصغوا إلى الكتاب المقدس فهو يعلم غير العارفين عندما ينطق بهذه الكلمات: «من دفع يعقوب إلى السلب وإسرائيل إلى الناهرين؟ أليس الرب الذي أخطانا إليه ولم يشاءوا أن يسلكوا في طرقه ولم يسمعوا لشريعته. فسكب عليه هو غضبه» (إش ٤: ٢٤ و ٢٥).

وفي موضع آخر يشهد قائلاً: «هَا إِنْ يَدُ الرَّبِّ لَمْ تَقْصُرْ عَنْ أَنْ تَخْلُصَ،  
وَلَمْ تَشْفُلْ أَذْنَهُ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ. بَلْ آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلَهِكُمْ،  
وَخَطَايَاكُمْ سَرْتَ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعُ» (إِشْ ۚ ۱۱: ۵۹-۶۰). لِنَنْظُرَ إِلَى  
خَطَايَانَا وَنَفْحُصَ أَفْكَارَنَا وَأَعْمَالَنَا. لَنَعْدُ إِلَى ضَمَائِرَنَا وَقُلُوبَنَا إِذْ أَنَا لَمْ  
نَسْلِكْ فِي طَرْقِ الرَّبِّ وَرَفَضْنَا شَرِيعَتَهُ وَلَمْ نَعْدْ رَاغِبِينَ فِي حَفْظِ وَصَابِيَاهُ.

٤٢ - أَيْ صَلَاحٌ تَرَاهُ، وَأَيْ إِيمَانٌ لِذَاكَ الَّذِي كَانَ الْخُوفُ  
عَاجِزاً عَنِ إِصْلَاحِهِ، وَالاضْطَهَادُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقْوِمَهُ. إِنْ عَنْقَهُ  
الْمَرْتَفعَ لَمْ يَنْحِنِ أَصْلًا لِأَنَّهُ سَاقِطٌ، وَقَلْبُهُ الْمَرْتَفعُ لَمْ يَنْكُسِرْ لِأَنَّهُ  
مَهْزُومٌ. وَمَعَ أَنَّهُ مَصَابٌ فِي مَقْتَلٍ، إِلَّا أَنَّهُ يَهْدِي مِنْ هُمْ قَائِمِينَ وَأَصْحَاءَ،  
وَلِأَنَّهُ لَمْ يَنْالْ فِي الْحَالِ مِنْ جَسْدِ الرَّبِّ فِي يَدِيهِ الدَّنَسَتَيْنِ<sup>(١)</sup> أَوْ يَشْرُبُ  
دَمَ الرَّبِّ بِفَمِهِ النَّحْسِ يَصْبَحُ وَيَهُذِرُ ضَدَ الْكَهْنَةِ. يَا لَهُذَا الْجَنُونِ  
الْمُطْبِقِ الَّذِي لَكُمْ، أَنْتُمْ مُخْتَلِّي الْعُقْلِ. تَتَورُونَ ضَدَ مَنْ يَجَاهِدُ لِكِي  
يُسْكِنَ غَضْبَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَتَهْدِيُونَ مَنْ يَتَوَسَّلُ لِطَلْبِ الرَّحْمَةِ لَكُمْ،  
إِنَّهُ يَشْعُرُ بِحُرْ حَكْمٍ أَكْثَرَ مَا تَشْعُرُونَ أَنْتُمْ، وَيُسْكِبُ الدَّمْوَعَ عَلَيْكُمْ  
بَيْنَمَا أَنْتُمْ لَا تَفْعُلُونَ. وَتُزَيِّدُونَ جَرْمَكُمْ بِالْأَكْثَرِ، وَأَنْتُمْ غَيْرُ مُتَسَامِحِينَ  
بِحَاجَةٍ أَسَاقِفَةٍ وَكَهْنَةَ اللَّهِ، هَلْ تَظْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الرَّبِّ رَاضِيًّا عَنْكُمْ؟

٤٣ - اقْبَلُوا وَصَادَقُوا عَلَى مَا نَقُولُ. لَمَّاذَا لَا تَصْغِي آذَانُكُمْ  
الصَّمَاءَ لِوَصَايَا الرَّبِّ الَّتِي تَنْصَحُ بِهَا؟ لَمَّاذَا لَا تَرَى عَيْنُكُمُ الْعَمِيَاءَ  
طَرِيقَ التَّوْبَةِ الَّذِي نَصَعَهُ أَمَامَكُمْ؟ لَمَّاذَا لَا يَدْرِكُ ذَهَنُكُمُ الْمَرِيضُ

(١) كَانَ الشَّاولُ فِي الْقَرْوَنَ الْأَوَّلِ يُسْلَمُ فِي يَدِ الْيَمِينِ لِلشَّاولِ، حَتَّى يَضْعِفَ الشَّاولُ يَدَهُ الْيَسِيرِيَّ ثُمَّ  
الْيَمِينِ، ثُمَّ يَتَناولُ الْأَسْرَارَ يَلِي فِيهِ. وَقَدْ أَلْغَيَتْ هَذِهِ الْعَادَةِ وَاسْتَدَلَتْ عَلَيْهَا حَارِيُّ الْآنِ.

الأدوية التي تهب الشفاء التي نعرفها من الأسفار المقدسة ونعلم بها؟  
انظروا آية آلام نناها من الذين انكروا، آية ميتات حزينة من الذين  
نبكي عليهم! ومع أن يوم الديوننة لم يأتي بعد، لكن لا يمكنهم هنا  
أن يكونوا بدون عقوبة. وإن كان البعض وقع تحت العقوبة، فهذا  
لکى يهتدى البعض إلى الصواب. إن عذابات البعض هي أمثلة للكل.

٤٤ - إن أحد هؤلاء الذين مضوا من تلقاء ذواتهم ليذكر إيمانه،  
فقد النطق بعد أن جَحَدَ المسيح. كان العقاب من حيث بدأ  
الجريمة حتى أنه لم يعد بإمكانه أن يسأل أو يطلب الرحمة. أخرى  
كانت في الحمامات، كأنه كان ينقصها حتى يكتمل جرمها  
وشرورها وبعد أن جَحَدت المسيح أسرعت إلى الحمامات<sup>(١)</sup>، تلك  
التي فقدت نعمة حميم المعومدية، أمسكتها روح شرير، فمزقت  
بأسنانها لسانها الذي تكلم بطريقة أثيمة. وبعد أن أكلت الطعام  
الدنس، صارت هي جلاداً لنفسها، ولم يعد بإمكانها أن تحيا طويلاً  
فيما بعد، وماتت متأثرة بآلام بطنها وأحسائها.

٤٥ - اصغوا إلى ما حدث في حضوري، وكنت شاهداً عليه،  
أبوان هرباً ومن قلة بصيرتهما بسبب خوفهما، تركا ابنتهما الصغيرة  
في رعاية أحدى المربيات، والتي بدورها أسلمتها إلى الحكماء. حيث  
كان الناس مجتمعين هناك أمام الوثن، وإذاً كانت الطفلة عاجزة بعد  
عن أكل اللحم لصغر سنها، أعطوها خبراً ممزوجاً بخمر مما تبقى من

---

(١) الحمامات لم تكن مجرد مكان للإستحمام، بل كانت أشبه بالصالونات، وكان دخول الحمام يستغرق اليوم كله وكان يعني التدليل والدهون والعطور والموسيقى وأحياناً الدعارة.

تقدّمات الآلهة، وفيما بعد عندما عادا والداها استعادت الأم طفلتها. وبالطبع كانت الطفلة عاجزة عن أن تتكلّم أو تشير إلى الإثم الذي ارتكب لكونها كما في السابق كانت عاجزة عن إدراكه ومنعه. جاءت الأم مع طفلتها للكنيسة أثناء تقديم الذبيحة، فبدأت الطفلة تنهز من النحيب وتندفع بحرّكات هيستيرية. إلى أن انتهت صلوات القدس وابتدأ الشمامس<sup>(١)</sup> في تقديم الكأس للحاضرين وجاء دورها، فحوّلت وجهها عنه وضغطت فمها بشفتين مطبقتين بشدةً ورفضت أن تتناول، وعلى الرغم من ذلك أصرّ الشمامس رغم مقاومتها على أن ينالها بالقوة، وكانت النتيجة بعد ذلك أنها تقيّات، إن الإفخارستيا لا يمكن أن تبقى في الجسد الدنس. عظيمة جدًا هي قوة الرب وكم هو مهوب جلاله جدًا. بنور بهائه تنكشف الأسرار المخفية، وكاهن الله لا تخدعه الآثام المستترة.

٢٦ - هذا ما حدث لهذه الطفلة التي لم تبلغ بعد حدّ الكلام لكي تعبّر عن الجريمة التي افترفها الآخرين في حقها. وأيضاً تلك السيدة المسنة في العمر التي دخلت خلسة بينما كنا نقدس، وتناولت الجسد كأنه طعام فصار كأنه سيف لنفسها، وكما لو كان نوع من السم المميت داخل فمها وجسدها، فبدأت تعذّب، ليس من الاضطهاد، بل من خطيتها وسقطت وهي ترتعش وترتعّد. ولم تعد الجريمة التي ارتكبها في الخفاء دون عقاب. فتلك التي خدعت كاهن الله، عرفت الله كمنتقم. وآخر قد تنجس، تجاسر سرّاً على التناول

(١) للشمامس الكامل (الدياكون) أن يحمل الكأس وتناول الدم.

مع الحاضرين، فوجد نفسه عاجزاً عن تناول أو لمس جسد الرب، وعندما فتح يديه كان كمن يحمل حمرة مطفأة، والكل عرف يقيناً ما يصنعه الرب عندما يتم إنكاره وإن من هو غير مستحق يصير تناوله عديم النفع. فكم من كثيرين حلّت فيهم الأرواح النجسة، وكم من كثيرين أصابهم الجنون! ليت لا أحد يظن أنه قد أفلت حتى ولو حادت عنه العقوبة، بل يجب عليه بالأكثر أن يخشى من غضب الله الديّان في اليوم الأخير.

٢٧ - هناك من نحسوا ضمائرهم عندما قام أحد الوثنيين بذلك نيابة عنهم، لكنهم يقنعون ذواتهم بأنه لا ينبغي أن يصنعوا توبة، ماداموا لم يذنسوا أياديهم بذبائح الأوّلاد، إن ذلك الإعتراف يحمل كل الإنكار، هذه شهادة من مسيحي أنكر مسيحيته. لقد أتم فعله وجعل غيره يقوم بذلك نيابة عنه. مع أنه مكتوب: «لا يقدر أحد أن يخدم سيدّين» (مت ٦:٤٢) لقد أطاع السلطان الأرضي أكثر من الله، إنه لن يستطيع أن يهرب من الله الديّان، لأن الروح القدس يقول في المزامير: «رأيت عيناك أعضائي، وفي سفرك كلها كُتبت» (مز ١٣٩:١٦)! وأيضاً «الإنسان ينظر إلى العينين، وأماماً الرب فإنه ينظر إلى القلب» (صم ١٦:٧). والرب نفسه يحدّرنا ويعلّمنا بهذه الكلمات: «فستعرف جميع الكنائس أني أنا هو الفاحض الكلّي والقلوب» (رؤ ٢٣:٢٣). إنه يرى ما هو خفي وما هو مستتر ولا يوجد هناك شيء بعيد عن عيني الله الذي يقول «العلى إله من قريب... ولست إلّا من بعيد. إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة ألمّا أراه أنا» (إر ٢٣:٢٤ و ٢٣:٢٣). إنه يعرف ما في القلوب وحنّايا الصدور،

فالدينون لن تكون فقط عن أفعالنا وحسب، بل وأيضاً عن أفكارنا وكلماتنا، إنه يعلم كل ما هو خفي ومستتر.

٢٨ - كم هو عظيم إيمان هؤلاء المؤمنين، الذين على الرغم من أنهم لم يخالطوا ولم يقدموا للأوثان، لكن مجرد أنهم فكروا في هذه الأمور، يعترفون بذلك بحزن وبساطة أمام كهنة الله، طالبين العلاج حتى للجرحات مهما كانت بسيطة أو ضئيلة، عالمين أنه مكتوب: «الله لا يسمع عليه» (غل: ٦). فلا يمكن لأحد أن يسخر من الله أو يخدعه، ولا يستطيع أيضاً أحد أن يتحايل عليه بحيلة ماكرة، بل إن من يرى الله بطريقه بشرية هو بالأحرى يخطئ أكثر إذ يظن أنه يستطيع الإفلات من عقوبة إلهه مadam لم يفعل ذلك علانية. فالرب يقول في وصاياه: «من استحي بي وبكلامي... فإن ابن الإنسان يستحي به» (مر: ٨: ٣٨). هل يظن ذاك الذي يستحي أو يخاف من كونه مسيحيّاً أنه مسيحيّ؟ كيف يكون مع المسيح ذاك الذي يخجل منه أو يخشى من انتقامته له؟ نعم إنه لم يخطئ بذلك القدر الذي احتطأ به الذين دنسوا أيديهم بذبائح ميتة وبطعام نحس. لكن الضمير هنا ليس بلا جرم. نعم يستطيع أن ينال بسهولة أكثر غفران خططيه، لكنه ليس بلا خطية. ليت الذي فعل هذا لا يتوقف عن تقديم التوبة وطلب الرحمة لثلا تزداد خططيته.

٢٩ - أيها الإخوة أتوسل إليكم، أن يعترف كلّ منكم بخططيه بينما لا يزال هنا في هذا العالم، حيث هناك فرصة للتوبة، حيث لا يزال الصفح والمغفرة من خلال الكاهن يكون مقبولاً لدى الله. ليتنا

نلتفت للرب بكل قلوبنا ونعيّر عن توبتنا عن خططيانا بحزن صادق، وللتضرّع أمام مراحم الرب. ليت نفوسنا تنسكب أمامه، ولتكن رحاؤنا فيه، وهو نفسه يخبرنا كيف ينبغي لنا أن نسأل إذ يقول: «ارجعوا إلى بكل قلوبكم، وبالصوم والبكاء والتوبّ. ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم» (يو٢:١٣و١٢). لنعد إلى الرب من كل القلب، لنسكّن غضبه وحزنه كما يدعونا هو ذاته بالأصوات والبكاء والنحيب.

٣٠ - دعون أسألكم، هل الذي يندم من كل قلبه وينسحق أمام الرب بأصومات وبكاء على خططياه، يذهب مباشرة بعد سقوطه ويرتاد الحمامات؟ ويأكل من الولائم وبطنه متّخمة بالأطعمة ولا يُشرك الفقير والحتاج في طعامه؟ كيف يبكي على موته، ذاك الذي ينطلق بفرح وسعادة؟ فمع أنه مكتوب: «لا تفسد عارضيك» (لا١٩:٢٧)، تراه يخلق لحيته ويزين وجهه؟ كيف يستفاق لإرضاء البشر بينما هو يُحزن إلهه؟ وتلك التي لا تفكّر في رداء المسيح الذي فقدته، هل تبكي وتأوه بينما هي ترتدي الشياط الشمينة، تسعين للحصول على المحوهارات الغالية والخليل الشمينة، لكنك لا تملكون الوقت لتبكي على فقدانك للزينة السماوية؟ ترتدين الشياط الحريرية، لكنك روحيًا بلا ثياب، تحليين بالذهب والأحجار الكريمة، ألا تعلمين أنك قبيحة المنظر بدون زينة المسيح، وأنت يامن تصبغين شعرك، كفى عن ذلك على الأقل الآن في وسط أحزانك، يا من تضعي الكحل في عينيك اغسليهما الآن بدموع التوبة. لو أحد أحبائك فقدته لحزنت لموته وبكيت عليه وأظهرت حزنك بالثياب السوداء، والشعر غير المصفوف، والوجه الحالى من الزينة.

أيتها المرأة الحمقاء، لقد خسرت نفسك وبداً الموت الروحي يعيش فيك، إنك تحملين موتك داخلك وإن كنت تسيرين هنا وهناك، ألا تأوهين بعراة؟ ألا تبكين دوماً؟ إن الأسوأ من قسوة جروح الخطية وعظم التعذيبات، هو أن نخطئ ولا نقدم تكفير عن الخطأ، نتعذّى ولا ننوح على التعذّب.

٣١ - إن حنانيا وعزاريا ومصائيل، الثلاثة فتية القديسين لم يخلوا من الاعتراف العلني لله، حتى ولو كان ذلك في وسط آتون النار الملتهبة، إذ يقول الكتاب: «وقف عزاريا وصلى وفتح فمه واعترف لله مع رفيقيه في وسط النار» (دعا ٢٣: ١٣١) الأسفار القانونية الثانية). ودانيل أيضاً، ذو التعمة الغزيرة التي لإيمانه وبراءته جاهد في أصومام أكثر ليوجد مرضياً لله وغطى ذاته بالمسوح والرماد بينما هو يعترف بحزن قائلاً: «أيها رب الإله العظيم المهووب، حافظ العهد والرحمة تحبيه وحافظي وصاياه. أخطئنا وأثمنا وعملنا الشر، وتمردننا وحدتنا عن وصايتك وعن أحكامك. وما سمعنا من عبيدك الأنبياء الذين باسمك كلّموا ملوكنا ورؤسائنا وآبائنا وكل شعب الأرض. لك يا سيد البر، أمّا لنا فخزي الوجه» (دعا ٩: ٤-٧).

٣٢ - إن الودعاء والبساطاء والأطهار صنعوا هذه التكفيارات لمعرفتهم بعظمة الله، أمّا الذين حَجُدوا رب، فرفضوا التكبير للرب والتسلّل إليه!

أتوسل إليكم أيها الإخوة أن تقبلوا أدوية الخلاص، وأن تصغوا إلى النصائح، ضمموا دموعكم إلى دموعنا وأنينكم إلى أنينا. أنا

نستعطفكم لكيما يمكننا أن نستعطف رب الأجل لكم. نحن نتوسل إلى الله لأجلكم لكيما يصنع معنا رحمة وبهذه الطلبة ذاتها تتوجه إلينكم. أصنعوا توبية نقية. برهنوا بجزنكم ونجيبيكم على صدق توبتكم.

٣٣ - ليت الوقاحة والضلال الذي للبعض ولا هذه الحماقة أن تثيركم، فمع أنهم ساقطين في خطية عظيمة، إلا إن نفوسهم عمياً، حتى أنهم لم يدركوا خطاياهم ولا يكروا عليها. هذه هي المصيبة الأعظم كما هو مكتوب: «لأنَّ الرَّبَّ قد سَكَبَ عَلَيْكُمْ رُوحَ سَبَاتٍ» (إش ١٠:٢٩). وأيضاً: «لأنَّهُمْ لَمْ يَقْبِلُوا مَحْبَةَ الْحَقِّ حَقَّ يَخْلُصُوهُ. وَلِأَجْلِ هَذَا سَيَرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللَّهُ عَمَلَ الْضَّلَالِ، حَقَّ يَصْدِقُوهُ الْكَذْبُ، لَكِي يُدَانَ جَمِيعَ الَّذِينَ لَمْ يَصْدِقُوهُ الْحَقَّ، بَلْ سَرُّوا بِالْإِثْمِ» (٢٢ تس ١٠:٢).

ازدوا بوصايا الرب وأهملوا علاج جروحهم حتى أنهم غير راغبين في التوبة. كانوا غير متبهين قبل سقوطهم، ومعاندين بعد ذلك، فلا هم كانوا ثابتين في السابق، ولا توسلوا بعد سقوطهم، وحين كان يجب أن يتبتوا سقطوا، وعندما كان يجب أن يطرحوا ذواتهم أمام الله، ظنوا أنهم قائمين، وادعوا لذواتهم سلاماً من تلقاء أنفسهم لم ينحهم أحد إيماناً، اندعدوا بوعود كاذبة وارتبطوا بالهرطقة وغير المؤمنين وقبلوا الضلال على أنه حق ورأوا أن شركتهم مع من هم خارج الكنيسة شركة مقدسة، لم يؤمّنوا بالله وصدقوا البشر عوضاً عن الله.

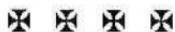
٣٤ - اهربوا من مثل هؤلاء الناس بكل قوتكم وانتبهوا من أولئك الملتصقين بالهرطقة. فكلامهم المعسول ينتشر كالمرض

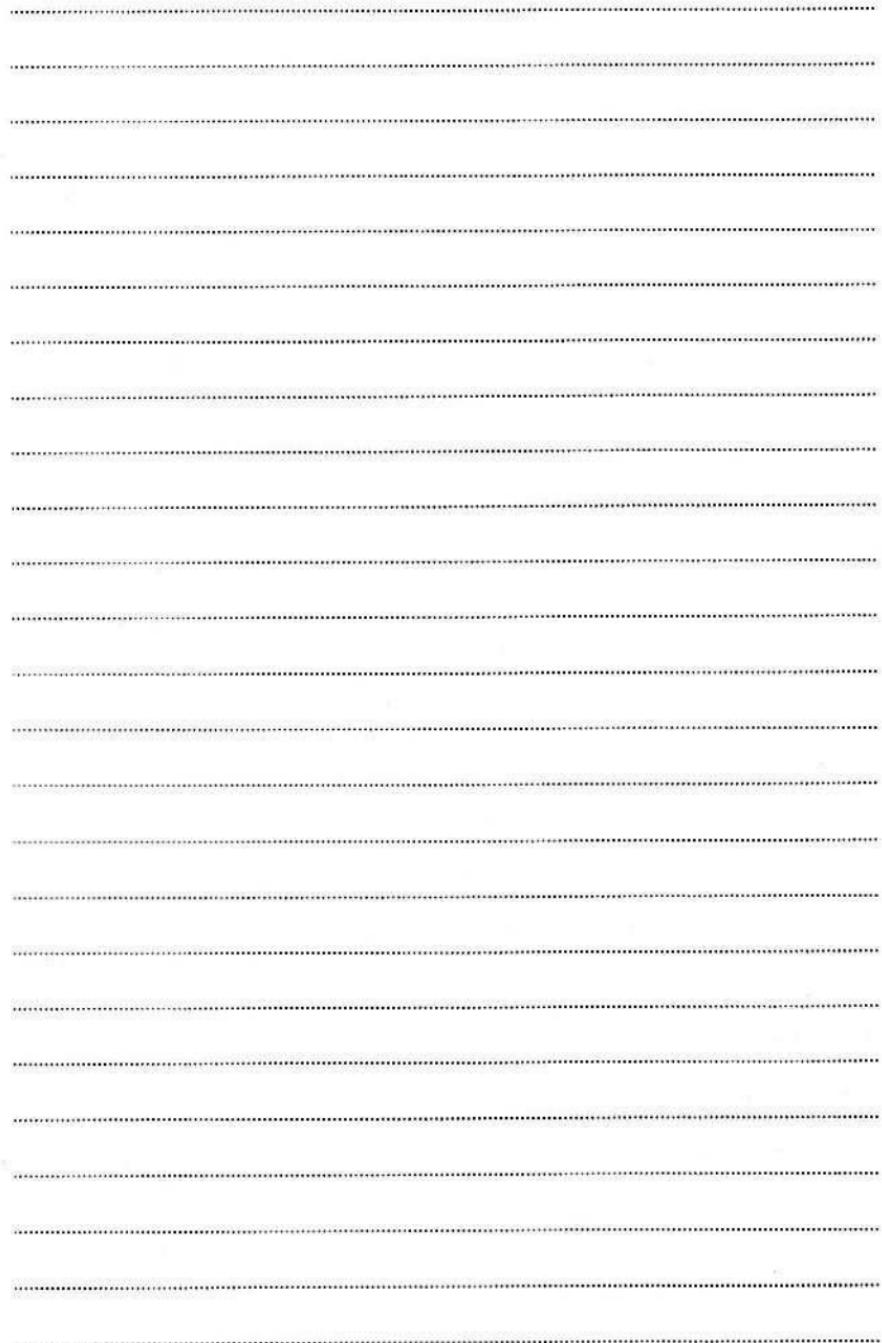
الخبيث وكالوباء الذى يتحطى كل الحواجز، إن كلامهم المملوء سماً هو أسوأ من الاصطهاد ذاته. إن باب التوبة مفتوح. أما هؤلاء الذين لم يقدموا توبة بعد كل هذا الجرم الذى ارتكبوه فإنهم يغلقون الطريق. فمن ذا الذى يصدقهم، أن كل من يصدق وعدهم بهذا الخلاص الكاذب، يُنسزع منه الخلاص资料.

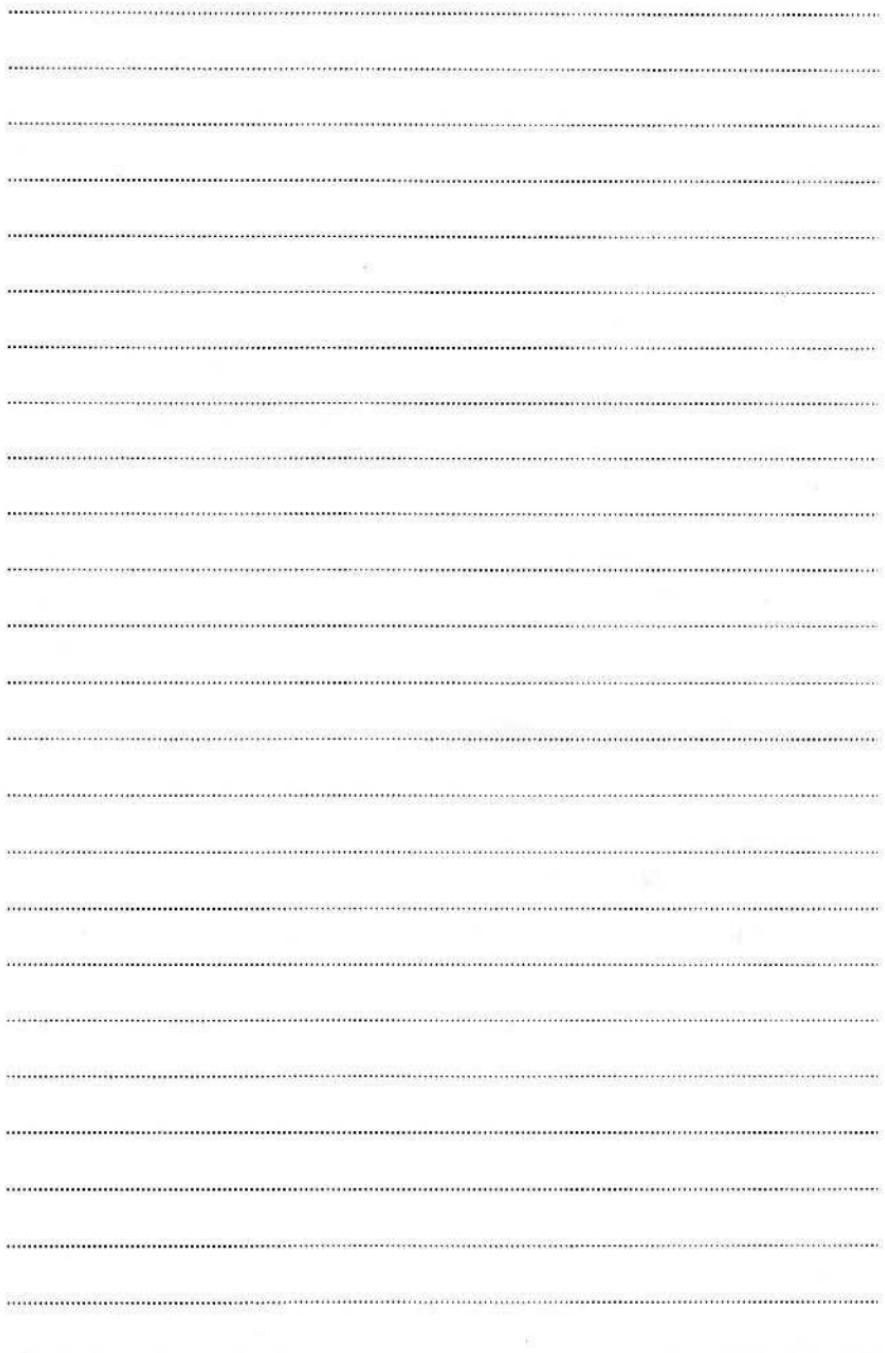
٣٥ - أيها الإخوة يا من قرية منكم مخافة الرب حتى ولو قليلاً في أذهانكم - ولو أنها قائمة في الملاك - افحصوا أنفسكم وذواتكم وضمائركم لتعرفوا الجرم الكبير الذى ارتكبتموه، افتحوا عيون قلوبكم لتعرفوا تقصيركم، دون أن تيأسوا من رحمة الله. فالله أبونا صالح ويقبل التوبة، كما أنه كديان لنا يجب أيضاً أن تخشاه، ليت الحزن يكون بقدر عظم الخطأ، فالجرح العميق يحتاج إلى عناية ورعاية لفترة طويلة، ولذلك يجب ألا تكون التوبة أقل قدرًا من الخطية، هل تظن أنك بسهولة تستطيع أن ترضي الله بعد أن أنكرته بكلماتك الأثيمة وفضلت ثروتك عليه وانتهكت هيكله ودنسست مقدسه؟ هل تظن بعد أن تيرأت منه أنه يرحمك بسهولة؟ يجب أن تصلى وتضرع بشدة، وأن تقضي يومك كله في تحب وحزن، وأن تمضى لياليك في سهر وبكاء، وأن تلتتصق بالرماد وترتدي المسوح بعد أن فقدت ثوب المسيح، وأن تصوم بعد أن أكلت طعام الشيطان، وأن تكرس ذاتك للأعمال الصالحة حتى تتطهّر من الخطية، وأن تعطى الصدقة دائمًا والتي بها تتحرر النفوس من الموت. والذى حاول المعاند سلبك إياه، اجعل المسيح يناله، تحاشى الثروة كعدو واهرب منها كلص، كسيف تخشى من يملكه وكسمه

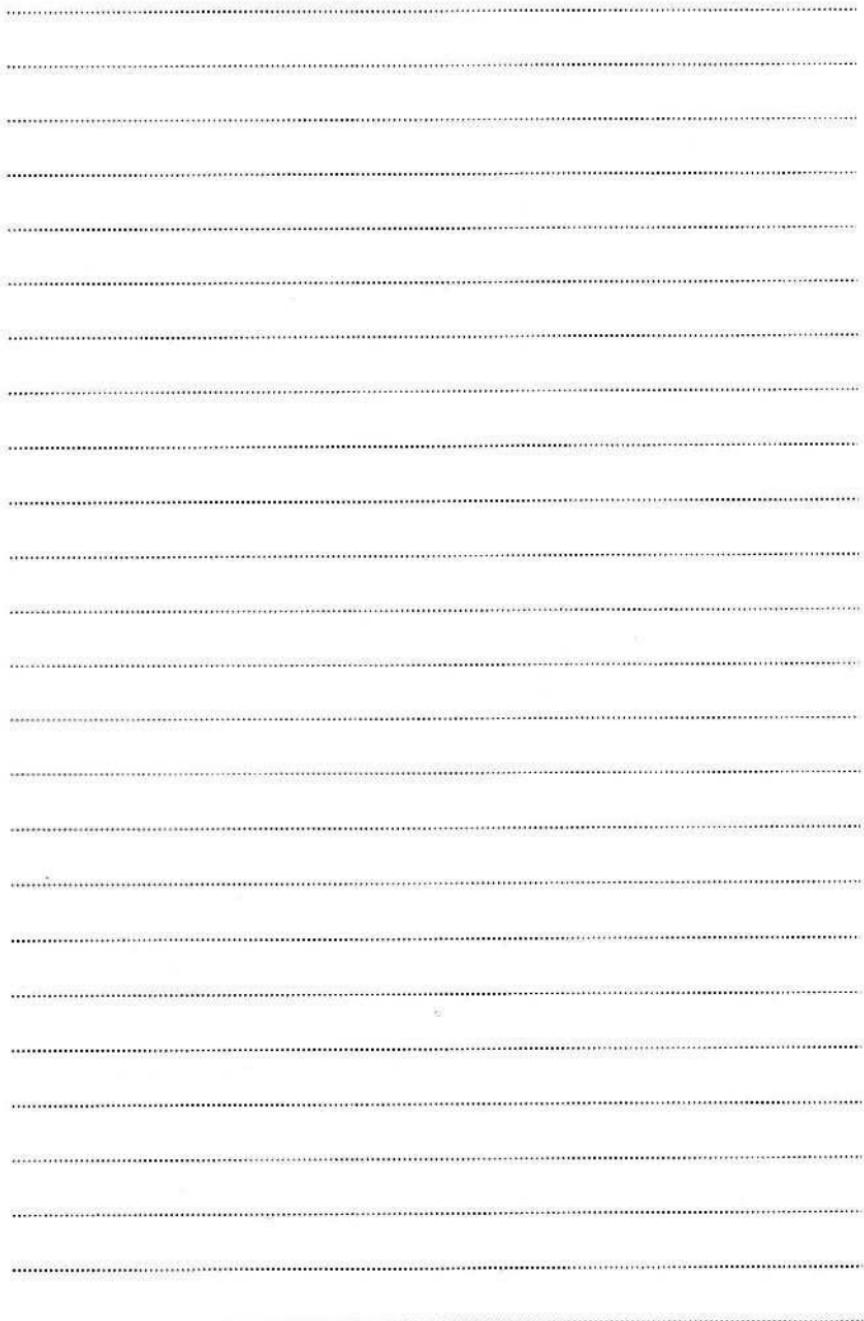
ميت. ليتنا نستجده بكل وسيلة لشفاء الجرح، ليت الله ديانا يكون مدين لنا بثرواتنا وممتلكاتنا. فهكذا حفظ المؤمنين الأوائل وصايا المسيح، وكانوا مستعدين وأسخياء ووهبوا كل ما عندهم حتى ما يقوموا الرسل بتوزيعه ولم يكونوا يقدمون توبة عن مثل هذه الخطايا.

٣٦ - لو قدم الإنسان صلاة بكل قلبه، لو ندم بدموع وصدق وبتوبه من القلب، لو توسل للرب ليغفر خططيته مُقدماً في ذلك أعماله الباردة الدائمة، يمكن مثل هذا أن ينال رحمة من الذي أظهر رحمته بهذه الكلمات: «بالرجوع والسكنون تخلصون». بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم» (إش ١٥:٣٠) وأيضاً: «إني لا أسرّ بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيى» (حز ٣٣:١١)، ويؤثيل النبي يعلن رحمة الله: «ارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رءوف رحيم، بطبع الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر» (يو ٢:١٣). فالرب يمكنه أن يمنح رحمته وأن يحيد عن حكمه. وأن يغفر لمن يتوب ويتصرّع ويعمل أعمالاً صالحة. يمكنه أن يقبل كل ما يطلبه الشهداء والمعترفون وكل ما قدمه الكهنة مثل هؤلاء، والذي أرضى الله هكذا بتوبته، وبالخزي من خططيته أدرك المزيد من الفضيلة والإيمان، يستحبب الله له ويعينه، وبذاته سيكون مصدرًا للبهجة في الكنيسة وهي التي كانت في حزن من أجله وحينئذ لن يستحق فقط غفران الله وحسب، بل إكليله أيضاً.









«من لا تكون الكنيسة له أماً لا يكون الله له أباً، (وحدة الكنيسة، ١).  
متى يكون إذن بلا نور، من كان في قلبه النور الإلهي؟ أو متى يفتقد  
إلى النهار أو إلى الشمس من كان أهليّ نهاره وشمسه؟ (الصلوة  
الريانية، ٢٥).»

«وطئنا هو السماء...وهذاك عدد كبير من الأحباء ينتظروننا، عدد لا  
يُحصى من الآباء والأمهات، والإخوة والأخوات والأبناء يتوقفون علينا،  
وإذا اطمأنوا هم الآن على خلاصهم، يترجّون خلاصنا نحن. لنسرع  
في الوصول إليهم، مشتّهين بحرارة أن نكون في أقصر وقت عندهم،  
بل عند أهليّهم» (الخلود، ٤٤).

«أعمال الرحمة الدائمة تقوم بعمل شبيه بالعمودية لأنها تمنحنا  
رحمة الله مرة أخرى» (العطاء والصدقات، ٢).

«فلتكن دوماً بين يديك القراءة الإلهية (أي الكتاب المقدس)، وفي  
فكرك فكرة رب، ولا تتوقف أبداً عن الصلاة» (الغيرة والحسد، ١١).

فمن ذا الذي هو هكذا فاسى القلب وعديه المشاعر حتى لا يتذكر  
المحبة الأخوية ويقف مُشاهدًا لهلات أصدقائه وعيّنه جافتان. أيها  
الإخوة، أنا حزين معكم، ولا أعتقد إن كان لي كمال أو قداسة أنها  
ستفلح في أن تخفف من ألامي» (الجادين، ٤).